

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بمقتضى

محمد أبو الفضل إبراهيم

دار الحياء الكتب العربية

ميسى الباني الجليلي وشركاه

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



الجزء العشرون

١٩٦٤

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بيان

هذا هو الجزء العشرون من كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، بحسب
التجزئة التي وضعها المؤلف لهذا الكتاب ، المتراعى الأطراف ، المنتسب الأغراض ، الجامع
لصنوف المعارف والفنون والآداب .

ولقد لقيت هذه الطبعة عند الأدباء والباحثين من بشاشة القبول وحسن التقدير
وجميل الثناء ما يملأ النفس اطمئنانا وارتياحا ؛ وأقبل الناس على اقتنائها من مختلف
النواحي والأرجاء ؛ كما عمرت بها دور الكتب وخزائن العلماء . وكان حرصنا على
معارضته بأصوله ، وتحقيقه على مراجعه ، والأهتمام بصيغ ألفاظه ، وشرح ما انتبه من
كلماته ، والتعليق عليه بما يقرب بعيدة ، ويدنى أقاصيه ؛ يعادل حرصنا على المضى في إخراجه
ونشره ، وتيسيره لدى العلماء وجمهرة القراء والمتأدبين ؛ بما يتر الله وهدي ،
ووفق وأعان .

وقد ذكرت في مقدمة الجزء الثالث أنى سوف لا أنقطع عن النظر فيما يتم طبعه من
أجزائه ؛ كلما رأيت مجالا للتصحيح ، أو موقعا للتعليق ، أو سبيلا إلى الاستدراك
والتعقيب ؛ مما يتهيأ لى من مراجعة ما يجت من النسخ ، أو حصل عليه من الأصول ،
أو يتبين لى من توجيه الرأى عند معاودة النظر ، أو يظهر لى من أخطاء الطبع ،
أو ينبهنى إليه إخوانى من العلماء الغير على العربية وآدابها ، وأن أثبت هذا تباعا فى
باب الاستدراك والتعقيب ؛ فى آخر كل جزء من أجزاء الكتاب ، وشرعت فى ذلك فعلا
فى نهاية بعض الأجزاء ؛ إلا أن مواصلة العمل فى الكتاب ، وما اقتضاه من جهد ووقت
فى تحقيقه ومراجعته وتحرير نصوصه ، والرغبة الملحة عند العلماء والباحثين فى التوفر على

(ب)

إنجازه ومتابعة إخراجه ما صلاح أن يكون عذرا في تأجيل نشر ما عن من الملاحظات وما اقتضاه المقام من الاستدراكات ، إلى حين .

والآن وقد تمّ والحمد لله طبعه جميعه ، وأوشكت الأجزاء الأولى منه على النفاذ ؛ فإن الأمل قد انفسح في معاودة تحقيقه ، وتعلق الرجاء في إمكان الحصول على نسخ أخرى لم نرجع إليها في هذه الطبعة ، والوقوف على مراجع لم يتيسر لنا الوقوف عليها من قبل ؛ وصحت النية على إصدار طبعة جديدة منه ؛ نستدرك فيها ما فات ؛ وثبت بها ما ظهر من تصويبات واستدراكات ، ونضيف إليها من التعليل ما نراه نافعا في تقريب الكتاب والتهدي إلى مقاصده ومراميه ؛ رغبة منا في أن نصل بهذا الكتاب إلى المنزلة التي نرجوها له من التوفيق والكمال .

أما القهارس العامة ، فإننا ماضون في العمل فيها ؛ ونرجو أن تصدر في جزء مستقل إن شاء الله .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ؛ هو الواحد المقصود لا ربّ سواه .

محمد أبو الفضل إبراهيم

مصر الجديدة في { ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٨٣ هـ
٢٧ مارس سنة ١٩٦٤ م }

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحَكَمِ دِينِ دَرَسِي
(٥٨٦ - ٦٥٦)

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء العشرون



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل

(٤٠٩)

الأصل :

وقال عليه السلام :

مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَايِلِهِمْ

الشرح :

إلى هذا نظر المتنبي في قوله :

وَحَلَّةٍ فِي جَالِسٍ أَتَقِيهِ بِهَا كَيْفَا يَرَى أَنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهَنِ (١)

وَكَلِمَةٍ فِي طَرِيقٍ خِفْتُ أُعْرِبُهَا فَيَهْتَدِي لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحَنِ

وقال الشاعر :

وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا صَحُوتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّمَانُ أُمُوتُ (٢)

وكان يقال : إذا نزلت على قوم فتشبه بأخلاقهم ، فإن الإنسان من حيث يوجد ،

لا من حيث يُولد . وفي الأمثال القديمة : من دخل ظفار حمر .

شاعر :

أَحَامِلُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقِلَةً

الأمنل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَعْضِ مُحَاطِيهِ وَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَصْفَرُ مِنْهُ عَنْ
قَوْلٍ مِثْلِهَا :
لَقَدْ طَرُتَ شَكِيرًا ، وَهَدَرْتَ سَقْبًا .

قَالَ : الشَّكِيرُ هَاهُنَا : أَوَّلُ مَا بَنَيْتُ مِنْ زِيْرِ الطَّائِرِ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى وَيَسْتَحْصِفَ .
وَالسَّقْبُ : الصَّغِيرُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَلَا يَهْدُرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَفْجِلَ .

مركز تحقيق تكبير برزنجي *** ردي

السنج :

هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ : قَدْ زَيَّبَ قَبْلَ أَنْ يُحْصِرَ .
وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَامَّةِ : يقرأ بالشواذ ، وما حَفِظَ بَعْدُ جُزْءَ الْفَصْلِ .

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مَتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ الْحِيلُ .

الشرح :

قيل في تفسيره : من أستدل بالمتشابه من القرآن في التوحيد والعَدْل انكشفت حيلته ، فإن علماء التوحيد قد أوضحوا تأويل ذلك .
 وقيل : من بنى عقيدة له مخصوصة على أمرين مختلفين : حق وباطل ، كان مُبْطَلاً .
 وقيل : من أومأ بطمعه وأمله إلى فائتٍ قد مضى وأتقضى لن تنفعه حيلة ، أي لا يُنْبِئُ أَحَدُكُمْ أَمَلُهُ مَا قَدْ فَاتَهُ ؛ وهذا ضعيف لأن المتفاوت في اللغة غيرُ القائِم .

الأصل :

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ :
 إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَنَا ، فَمَتَى مَلَكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ مِنَّا
 مِنَّا كَلَّفْنَا ، وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَلَيْنَا .



الشرح :

مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَعَلَ الْحَوْلَ عِبَارَةً عَنِ الْمِلْكِيَّةِ وَالتَّصَرُّفِ ،
 وَجَعَلَ الْقُوَّةَ عِبَارَةً عَنِ التَّكْلِيفِ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : لَا تَمْلِكُ وَلَا تَصْرُفُ إِلَّا بِاللَّهِ ،
 وَلَا تَكْلِفُ لَأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا بِاللَّهِ ؛ فَنَحْنُ لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا ، أَيْ لَا نَسْتَقِلُّ بِأَنْ
 نَمْلِكُ شَيْئًا ؛ لِأَنَّهُ لَوْلَا إِقْدَارُهُ إِيَّانَا وَخَلْقَتُهُ لَنَا أَحْيَاءَ لَمْ نَكُنْ مَالِكِينَ وَلَا مُتَصَرِّفِينَ ،
 فَإِذَا مَلَكَنَا شَيْئًا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ - أَيْ أَقْدَرُ عَلَيْهِ مِنَّا - صَرَفْنَا مَالِكِينَ لَهُ كَالْمَالِ مِثْلًا حَقِيقَةً ،
 وَكَالْعَقْلِ وَالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ مَجَازًا ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مَكْلُفًا لَنَا أَمْرًا يَتَعَلَّقُ بِمَا مَلَكَنَا إِيَّاهُ ،
 نَحْوُ أَنْ يَكْلِفُنَا الزَّكَاةَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْمَالَ ، وَيَكْلِفُنَا النَّظَرَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْعَقْلَ ، وَيَكْلِفُنَا
 الْجِهَادَ وَالصَّلَاةَ وَالْحَجَّ وَغَيْرَ ذَلِكَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْأَعْضَاءَ وَالْجَوَارِحَ ، وَمَتَى أَخَذَ مِنَّا الْمَالَ
 وَضَعَ عَلَيْنَا تَكْلِيفَ الزَّكَاةِ ، وَمَتَى أَخَذَ الْعَقْلَ سَقَطَ تَكْلِيفُ النَّظَرِ ، وَمَتَى أَخَذَ الْأَعْضَاءَ
 وَالْجَوَارِحَ سَقَطَ تَكْلِيفُ الْجِهَادِ وَمَا يَجْرِي مِجْرَاهُ .

هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ فَأَمَّا غَيْرُهُ فَقَدْ فَسَّرَهُ بِشَيْءٍ آخَرَ ، قَالَ

أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام : فلا حَوْلَ على الطاعة ولا قوَّةَ على ترك المعاصي
إلا بالله ؛ وقال قوم - وهم المجبرة : لا فعل من الأفعال إلا وهو صادرٌ من الله ، وليس
في اللفظ ما يدل على ما ادَّعوا ، وإنما فيه أنه لا اقتدار إلا بالله ، وليس يلزم من نفي
الأقتدار إلا بالله صدق قولنا : لا فعل من الأفعال إلا وهو صادرٌ عن الله ؛ والأولى في
تفسير هذه اللفظة أن تُحمَّل على ظاهرها ، وذلك أن الحَوْلَ هو القوَّة ، والقوَّة هي الحَوْلُ
كلاهما مُترادفان ؛ ولا ريب أن القدرة من الله تعالى ، فهو الذي أقدر المؤمنين على الإيمان ،
والكافرين على الكفر ، ولا يلزم من ذلك مخالفة القول بالتعدُّل ؛ لأن القدرة ليست
موجبة .

فإن قلت : فأى فائدة في ذكر ذلك وقد علم كل أحد أن الله تعالى خلق القدرة في
جميع الحيوانات ؟

قلت : المراد بذلك الرد على من أثبت صانعاً غير الله ، كالجوس والثنوية ، فإنهم
قالوا بالهين : أحدهما يخلق قدرة الخير ، والآخر يخلق قدرة الشر .

الأصل :

وقال عليه السلام لِعِمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَقَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ الْمَغِيرَةَ
ابْنَ شُعْبَةَ كَلَامًا :

دَعَهُ يَا عِمَّارُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَهَلَى عَمْدٌ لَبَسَ
عَلَى نَفْسِهِ ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَازِرًا لِسَقَطَاتِهِ



مركز تحقيقات كتابية و تاريخية و علوم اسلامی

الشرح :

[المغيرة بن شعبة]

أصحابنا غير متفقين على السكوت على المغيرة ، بل أكثر البغداديين يفسقونه ،
ويقولون فيه ما يقال في الفاسق ؛ ولما جاء عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله صلى الله
عليه وآله عام الحديبية نظر إليه قائما على رأس رسول الله مقلدا سيفا ، فقيل :
من هذا ؟ قيل : ابن أخيك للمغيرة ، قال : وأنت ها هنا يا عذر ! والله إني إلى الآن
ما غسكت سوءتك .

وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح ، ولا إنابة ونية جميلة ، كان قد صحب قوما في
بعض الطرق ، فاستغفلهم وهم نيام ، فقتلهم وأخذ أموالهم وهرب خوفا أن يلحق فيقتل ،
أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم ؛ فقدم المدينة فأظهر الإسلام ، وكان رسول الله صلى الله

عليه وآله لا يرد على أحد إسلامه ؛ أسلم عن علة أو عن إخلاص ، فامتنع بالإسلام ، واعتصم ، وحجى جانبه .

ذكر حديثه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب " الأغاني " (١) ، قال : كان المغيرة يحدث حديث إسلامه ، قال : خرجت مع قوم من بني مالك ونحن على دين الجاهلية إلى القوقس ملك مصر ، فدخلنا إلى الإسكندرية ، وأهدينا للملك هدايا كانت معنا ، فكنت أهون أصحابي عليه ، وقبض هدايا القوم ، وأمرهم بجوائز ، وفضل بعضهم على بعض ، وقصر بي فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له ، وخرجنا ، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون ، ولم يعرض أحد منهم على مواساة ، فلما خرجوا تحلوا معهم خمرًا ، فكانوا يشربون منها ، فأشرب معهم ، ونفسي تأبى أن تدعني معهم ، وقلت : ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا ، وما حباهم به الملك ، ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدراؤه إليّ ! فأجمعت على قتلهم ، فقلت : إني أجِدُ صداعاً ، فوضعوا شرابهم ودعوني ، فقلت رأسي يصدع ، ولكن اجلسوا فأسقيكم ، فلم ينكروا من أمرى شيئاً ، فجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح ، فلما دبت الكأس فيهم اشتبهوا الشراب ، فجعلت أصرف لهم وأترع الكأس ، [فيشربون ولا يدرون (٢)] ، فأهدتهم الخمر حتى ناموا ، ما يعقلون ، فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً ، وأخذت جميع ما كان معهم .

وقدِمَتُ المدينة فوجدتُ النبي صلى الله عليه وآله بالمسجد وعنده أبو بكر - وكان بي عارفاً - فلما رأيته قال : ابن أخي عُرْوَةُ ؟ قلت : نعم ، قد جئتُ أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : الحمد لله : فقال أبو بكر من مصر أقبلت ؟ قلت : نعم ؟ قال : فما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان

(١) الأغاني ١٦ : ٨٠ - ٨٢ (طبعة دار الكتب) مع اختلاف الرواية .

(٢) من الأغاني

بينى وبينهم بعض ما يكون بين العرب ، ونحن على دين الشرك ، فقتلتهم ، وأخذت أسلابهم ، وجئتُ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليُخَمِّسَهَا [ويرى فيها رأيه] ^(١) ؛ فإنها غنيمة من المشركين ، فقال رسول الله : أما إسلامك فقد قبلته ، ولا تأخذ من أموالهم شيئاً ولا تخمسها ، لأنّ هذا عذر ، والعذر لا خير فيه ، فأخذني ما قُرب وما بُعد ، فقلتُ : يا رسول الله ، إنما قتلهم وأنا على دين قومي ، ثمّ أسلمتُ حين دخلتُ إليك الساعة ، فقال عليه السلام : الإسلام يحبّ ما قبله . قال : وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً ، واحتوى على ما معهم ؛ فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف ، فتداعوا للقتال ، ثمّ اصطَلَحُوا على أن حمل عمى عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية .

قال : فذلك معنى قول عروة يوم الحديبية : « يا عذر ، أنا إلى الأمس أغسل سوءتك ، فلا أستطيع أن أغسلها » ، فلهذا قال أصحابنا البغداديون : مَنْ كان إسلامه على هذا الوجه ، وكانت خاتمته ما قد تواتر الخبر به ؛ من لعن على عليه السلام على المنابر إلى أن مات على هذا الفعل ، وكان المتوسط من عمره الفسق والفجور وإعطاء البطن والفرج سؤالهما ، ومما لآفة الفاسقين ، وصرف الوقت إلى غير طاعة الله ، كيف تتولاه ! وأى عذر لنا في الإمساك عنه ، وألا نكشف للناس فسقه !

[إيراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة والرد عليه]

وحضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي البصري في سنة إحدى عشرة وستمائة ببغداد ، وعنده جماعة ، وأحدهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج ، فمرّ ذكر المنيرة بن شعبة وخاض القوم ، فذمه بعضهم ، وأثنى عليه بعضهم ، وأمسك عنه آخرون ؛ فقال

بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتغل بطرف من علم الكلام على رأى الأشعرى : الواجب الكف والإمسك عن الصحابة ، وعمّا شجر بينهم ، فقد قال أبو المعالي الجوينى : إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك ، وقال : « إياكم وما شجر بين صحابتي » ، وقال : « دعو إلى أصحابي ، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا لما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه » ؛ وقال : « أصحابي كالنجوم ، بأيّهم اقتديتم اهتديتم » ، وقال : « خيركم القرن الذي أنا فيه ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه » ، وقد ورد في القرآن الثناء على الصحابة وعلى التابعين ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « وما يذرك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ؛ وقد روى عن الحسن البصري أنه ذكر عنده الرجل وصيفين ، فقال : تلك دماء طهر الله منها أسياقنا ، فلا نلطّخ بها ألسنتنا .

ثم إن تلك الأحوال قد غابت عنا وبُعدت أخبارها على حقائقها ؛ فلا يليق بنا أن نخوض فيها ؛ ولو كان واحد من هؤلاء قد أخطأ لوجب [أن يحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله فيه ، ومن الرواة ^(١) أن يحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في عائشة زوجته ، وفي الزبير ابن عمته ، وفي طلحة الذي وقاه بيده . ثم ما الذي أزمنا وأوجب علينا أن نلعن أحداً من المسلمين أو نبرأ منه ! وأى ثواب في اللعنة والبراءة ! إن الله تعالى لا يقول يوم القيامة للكَاف : لم لم تلعن ؟ بل قد يقول له : لم لعنت ؟ ولو أن إنساناً عاش بصره كله لم يلعن إياي لم يكن عاصياً ولا آثماً ، وإذا جعل الإنسان عِوَضَ اللعنة أَسْتَغْفِرَ الله كان خيراً له . ثم كيف يجوز للعامة أن تدخل أنفسها في أمور الخاصة ، وأولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمة وقادتها ، ونحن اليوم في طبقة سافلة جدا عنهم ؛ فكيف يحسن بنا التعرض لذكرهم ! أليس يقبح من الرعية أن تخوض في دقائق أمور الملك وأحواله وشئونه التي تجري بينه وبين أهله وبني عمه ونسائه وسراريه ! وقد كان رسول الله صلى

الله عليه وآله صهراً لمعاوية : وأخته أم حبيبة تحته ، فالأدب ، أن تحفظ أم حبيبة وهي أم المؤمنين في أخيها .

وكيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بينه وبين رسوله مودة ! أليس المفسرون كلهم قالوا : هذه الآية أنزلت في أبي سفيان وآله ، وهي قوله تعالى : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً ﴾ ^(١) ! فكان ذلك مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وآله أبا سفيان وتزويجه ابنته . على أن جميع ما تنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لم تثبت ، وما كان القوم إلا كبنى أم واحدة ولم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قط ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع .

فقال أبو جعفر رحمه الله : قد كنت منذ أيام علقته بخطي كلاماً وجدته لبعض الزيدية في هذا المعنى نقضاً ورداً على أبي المعالي الجويني فيما اختاره لنفسه من هذا الرأي ، وأنا أخرج به إليكم لأستغنى بتأمله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه ، فإنني أجد لما يمتنعني من الإطالة في الحديث ؛ لا سيما إذا خرج تخرج الجدال ومقاومة الخصوم . ثم أخرج من بين كتبه كراساً قرأناه في ذلك المجلس وأستحسنه الحاضرون ، وأنا أذكر هاهنا خلاصته .

قال : لولا أن الله تعالى أوجب معاداة أعدائه ، كما أوجب موالاة أوليائه ، وضيق على المسلمين تركها إذا دل العقل عليها ، أو صبح الخبر عنها بقوله سبحانه : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ ^(٢) ، وبقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ ﴾ ^(٣) ، وبقوله سبحانه : ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا

غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ^(١)؛ ولإجماع المسلمين على أن الله تعالى فرضَ عداوة أعدائه ، وولاية أوليائه ، وعلى أن : البغض في الله واجب ، والحب في الله واجب - لما تعرضنا لمعاداة أحدٍ من الناس في الدين ، ولا البراءة منه ، ولكانت عداوتنا للقوم تكلفنا . ولو ظنننا أن الله عز وجل يعذّرنا إذا قلنا : يارب غاب أمرهم عنا ، فلم يكن لخوضنا في أمرٍ قد غاب عنا معنًى ، لأعتمدنا على هذا العذر ، وواليتناهم ، ولكننا نخاف أن يقول سبحانه لنا : إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم ، فلم يغيب عن قلوبكم وأسماعكم ؛ قد أنتمكم به الأخبارُ الصحيحة التي بمنيلها ألزمتكم الإقرار بالنبي صلى الله عليه وآله ومُوالاة مَنْ صدّقه ، ومعاداة مَنْ عصاه وجحدّه ، وأمرتم بتدبر القرآن وما جاء به الرسولُ ، فهلاً حذرتهم من أن تكونوا من أهل هذه الآية غداً : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا ﴾^(٢) .

فأما لفظة لعن فقد أمر الله تعالى بها ، وأوجبها ، ألا تَرَى إلى قوله : ﴿ أَوَلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾^(٣) ، فهو إخبارٌ بمعناه الأمر ، كقوله : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾^(٤) ؛ وقد لعن الله تعالى العاصين بقوله : ﴿ لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا ﴾^(٧) ، وقال الله تعالى لإبليس : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾^(٨) وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾^(٩) .

(١) سورة الممتحنة ١٣

(٢) سورة الأحزاب ٦٧

(٤) سورة البقرة ٢٢٨

(٦) سورة الأحزاب ٥٧

(٨) سورة م ٧٨

(٣) سورة البقرة ١٥٩

(٥) سورة المائدة ٧٨

(٧) سورة الأحزاب ٦١

(٩) سورة الأحزاب ٦٤

فأما قول من يقول : « أي ثواب في اللعن ! وإن الله تعالى لا يقول للمكلف لم لم تلعن ؟ بل قد يقول له : لم لمعت ؟ وأنه لو جعل مكان لعن الله فلانا ، اللهم اغفر لي لكان خيراً له ، ولو أن إنساناً عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يؤاخذ بذلك » ؛ فكلام جاهل لا يدري ما يقول ؛ اللعن طاعة ، ويستحق عايبها الثواب إذا فُعت على وجهها ، وهو أن يلعن مستحق اللعن لله وفي الله ، لا في المصيبة والهوى ، ألا ترى أن الشرع قد ورد بها في نفي الولد ، ونطق بها القرآن ، وهو أن يقول الزوج في الخامسة : ﴿ أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ﴾^(١) ، فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفظ عباده بهذه اللفظة وأنه قد تعبد بهم بها ، لما جعلها من معالم الشرع ، ولما كثرها في كثير من كتابه العزيز ، ولما قال في حق القاتل : ﴿ وغضب الله عليه ولعنه ﴾^(٢) ، وليس المراد من قوله : « ولعنه » إلا الأمانة لنا بأن نلعنه ، ولو لم يكن المراد بها ذلك لكان لنا أن نلعنه ، لأن الله تعالى قد لعنه ، أفيلعن الله تعالى إنساناً ولا يكون لنا أن نلعنه ! هذا ما لا يسوغ في العقل ؛ كما لا يجوز أن يمدح الله إنساناً إلا ولنا أن نمدحه ، ولا يذمه إلا ولنا أن نذمه ؛ وقال تعالى : ﴿ هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله ﴾^(٣) ، وقال : ﴿ ربنا آتتهم ضرة ثنتين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾^(٤) ، وقال عز وجل : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ﴾^(٥) . وكيف يقول القاتل : إن الله تعالى لا يقول للمكلف : لم لم تعان ؟ ألا يعلم هذا القاتل أن الله تعالى أمر بولاية أوليائه ، وأمر بعداوة أعدائه ، فكما يسأل عن التولي يسأل عن الذم ؛ ألا ترى أن اليهودي إذا أسلم يطالب بأن يقال له : تلفظ بكلمة الشهادتين ، ثم قل : برئت

(٢) سورة النساء ٩٣

(٤) سورة الأحزاب ٦٨

(١) سورة النور ٧

(٣) سورة المائدة ٦٠

(٥) سورة المائدة ٦٤

من كل دين يخالف دين الإسلام ، فلا بد من البراءة ، لأن بها يتم العمل ! ألم يسمع هذا القائل قول الشاعر :

تَوَدُّ عَدُوِّيَ نِم تَزْعُمُ أَنِّي صَدِيقُكَ ، إِن الرأى عَنْكَ لِعَارِبُ

فودة العدو خروج عن ولاية الولي ، وإذا بعالم المودة لم يبق إلا البراءة ؛ لأنه لا يجوز أن يكون الإنسان في درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى وعُصَاتِهِ بآلايودهم ولا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نفى هذه الوسطة .

وأما قوله : « لو جعل عوض اللعنة أستغفر الله لكان خيراً له » ، فإنه لو استغفر من غير أن يلعن أو يعتقد وجوب اللعن لما نفعه استغفاره ولا قبل منه ، لأنه يكون طاصياً لله تعالى ، مخالفاً أمره في إمساكه عن أوجب الله تعالى عليه البراءة منه ، وإظهار البراءة ، والمصير على بعض المعاصي لا تقبل توبته واستغفاره عن البعض الآخر ، وأما من يعيش عمره ولا يلعن إبليس ، فإن كان لا يعتقد وجوب لعنه فهو كافر ، وإن كان يعتقد وجوب لعنه ولا يلعنه فهو مخطئ ؛ على أن الفرق بينه وبين ترك لعنه رموس الضلال في هذه الأمة كماوية والمغيرة وأمثالها ، أن أحداً من المسلمين لا يورث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبهة في أمر إبليس ، والإمساك عن لعن هؤلاء وأضرابهم يثير شبهة عند كثير من المسلمين في أمرهم ، وتجنب ما يورث الشبهة في الدين واجب ، فلهذا لم يكن الإمساك عن لعن إبليس نظيراً للإمساك عن أمر هؤلاء .

قال : ثم يقال للمخالفين : رأيتم لو قال قائل : قد غاب عنا أمر يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف ، فليس ينبغي أن نخوض في قصتهما ، ولا أن نلعنهما ونعاديهما . ونبرأ منهما ؛ هل كان هذا إلا كقولكم : قد غاب عنا أمر معاوية والمغيرة بن

شعبة وأضرأبهما ، فليس نخوضنا في قصتهم معني !

وبعد ، فكيف أدخلتم أيها العامة والحشوية وأهل الحديث أنفسكم في أمر عثمان وخُضتم فيه ، وقد غاب عنكم ! وبرئتم من قتلته ، ولعنتموه ! وكيف لم تحفظوا أبا بكر الصديق في محمد ابنه فإنكم لعنتموه وفسقتموه ، ولا حفظتم عائشة أم المؤمنين في أخيها محمد المذكور ، ومنعتمونا أن نخوض وندخل أنفسنا في أمر علي والحسن والحسين ومعاوية الظالم له ولهما ، المتغلب على حقه وحقوقهما ! وكيف صار لعن ظالم عثمان من السنة عندهم ، ولعن ظالم علي والحسن والحسين تكلفا ! وكيف أدخلت العامة أنفسها في أمر عائشة وبرئت ممن نظر إليها ، ومن القائل لها : يا حميراء ، أو إنما هي حميراء ، ولعنته بكشفه سترها ، ومنعنا نحن عن الحديث في أمر فاطمة وما جرى لها بعد وفاة أبيها .

فإن قلتم : إن بيت فاطمة إنما دُخل ، وسترها إنما كُشف ، حفظا لنظام الإسلام ، وكَيْلا يَنْتَشِرَ الأمرُ ويُخْرَجَ قومٌ من المسلمين أعناقهم من رِبْقَةِ^(١) الطاعة ولزوم الجماعة .

قيل لكم : وكذلك ستر عائشة إنما كُشف ، وهودجها إنما هتك ، لأنها نشرت^(٢) جبل الطاعة ، وشمت عصا المسلمين ، وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول علي بن أبي طالب عليه السلام إلى البصرة ، وجرى لها مع عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ومن كان معها من المسلمين الصالحين من القتل وسفك الدماء ما تنطق به كتب التواريخ والسير ؛ فإذا جاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعدُ جاز كشف ستر عائشة على ما قد وقع وتحقق ، فكيف صار هتك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار ،

(٢) نشرت جبل الطاعة : أي قطعت .

(١) رِبْقَةُ الطاعة : عرقها .

والبراءة من فاعله ، ومن أؤكد عُرَا الإيمان ، وصار ككشف بيت فاطمة والدخول عليها منزلها وجمع خطب بيابها ، وتهذدها بالتحريق من أؤكد عُرَا الدين ، وأثبت دعائم الإسلام ؛ ومما أعزَّ الله به المسلمين وأطفا به نار الفتنة ؛ والحرماتان واحدة ، والستران واحد . وما نحب أن نقول لكم : إن حرمة فاطمة أعظم ، ومكانها أرفع ، وصياتها لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله أولى ، فإنها بضعة منه ، وجزء من لحمه ودمه ، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها وبين الزوج ، وإتمامي وصلة مستمارة ، وعقد يجرى مجرى إجارة المنفعة ، وكما يملك رقب الأمة بالبيع والشراء ، ولهذا قال الفرضيون : أسباب التوارث ثلاثة : سبب ، ونسب ، وولاء ؛ وقالنسب القرابة ، والسبب النكاح ، والولاء : ولأه العتيق ؛ فجعلوا النكاح خارجا عن النسب ؛ ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين .

مركز تحقيق تكملة ترمذ علوم اسلامی

وكيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة ، وقد أجمع المسلمون كلهم من يحبها ومن لا يحبها منهم أنها سيِّدة نساء العالمين !

قال : وكيف يلزمنا اليوم حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في زوجته ، وحفظ أم حبيبة في أخيها ، ولم تلزم الصحابة أنفسها حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته ، ولا ألزمت الصحابة أنفسها حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في صهره وابن عمه عثمان بن عفان ، وقد قتلوه ولعنوه ؛ ولقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة ؛ منهم عائشة كانت تقول : اقتلوا نعلًا ، لعن الله نعلًا ؛ ومنهم عبد الله بن مسعود ؛ وقد لعن معاوية على بن أبي طالب وابنيه حسنًا وحسينًا وهم أحياه يرزقون بالعراق ، وهو يلعنهم بالشام على المنابر ، ويقنت عليهم في الصلوات ، وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة وهو حي ، وبرئانه ، وأخرجاه من المدينة إلى الشام ، ولعن عمر

خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة ، وما زال الأمن فاشيا في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضي اللعن والبراءة .

قال : ولو كان هذا أمراً معتبراً وهو أن يُحفظ زيد لأجل عمرو فلا يلعن ، لوجب أن تُحفظ الصحابة في أولادهم ، فلا يلعنوا لأجل آبائهم ، فكان يجب أن يُحفظ سعد بن أبي وقاص فلا يلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين ، وأن يُحفظ معاوية فلا يلعن يزيد صاحب وقعة الخرة وقاتل الحسين ، ونخيف المسجد الحرام بمكة ، وأن يُحفظ عمر بن الخطاب في عبيد الله ابنه قاتل الهرمزان ، والمحارب علياً عليه السلام في صفين .

مركز تحقيق تكملة نوري علوم إسلامي

قال : على أنه لو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه ورعاية عهده وعقده لم نعدم ولو ضربت رقابنا بالسيوف ، ولكن محبة رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه ليست كحبة الجهال الذين يضع أحدهم محبته لصاحبه موضع العصبية ، وإنما أوجب رسول الله صلى الله عليه وآله محبة أصحابه لطاعته ، فإذا عصوا الله وتركوا ما أوجب محبتهم ؛ فليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله محابة في ترك لزوم ما كان عليه من محبتهم ، ولا تفطرس في العدول عن التمسك بمواليتهم ، فاقدر كان صلى الله عليه وآله يحب أن يُعادي أعداء الله ولو كانوا عترته ، كما يحب أن يوالي أولياء الله ولو كانوا أبعد الخلق نسباً منه ؛ والشاهد على ذلك إجماع الأمة على أن الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتد بعد الإسلام ، وعداوة من نافق وإن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي أمر بذلك ودعا إليه

وذلك أنه صلى الله عليه وآله قد أوجب قطع السارق وضرب القاذف ، وجلد البكر إذا زنى ، وإن كان من المهاجرين أو الأنصار ؛ ألا ترى أنه قال : لو سرقت فاطمة لقطعناها ؛ فهذه ابنته ، الجارية تجرى نفسه ، لم يُجأبها في دين الله ، ولا راقبها في حدود الله ، وقد جلد أصحاب الإفك ، ومنهم مسطح بن أثانة ، وكان من أهل بدر .

قال : وبعد ، فلو كان محل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محل من لا يعادى إذا عصى الله سبحانه ولا يذكر بالقبيح ، بل يجب أن يُراقب لأجل اسم الصحبة ، وينفى عن عيوبه وذنوبه ، لكان كذلك صاحب موسى المصور ثناؤه في القرآن لما اتبع هواه ، فانسأخ مما أوتي من الآيات وغوى ، قال سبحانه : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَأخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ ^(١) ، ولما كان ينفى أن يكون محل عبدة العجل من أصحاب موسى هذا المحل ، لأن هؤلاء كلهم قد صحبوا رسولا جليلا من رسل الله سبحانه .

قال : ولو كانت الصحابة عند أنفسهم بهذه المنزلة ؛ لعلمت ذلك من حال أنفسهم ، لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا ، وإذا قدرت أفعال بعضهم ببعض ذلك على أن القصة كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوب الناس اليوم ؛ هذا على وعمار ، وأبو الهيثم بن الشَّيثان ، وخزيمة بن ثابت ، وجميع من كان مع علي عليه السلام من المهاجرين والأنصار ، لم يروا أن يتغافلوا عن طائفة والزبير حتى فعلوا بهما وبين منعهما ما يفعل بالشرارة في عصرنا ، وهذا طائفة والزبير وعائشة ومن كان معهم في جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن علي ؛ حتى قصدوا له كما يقصد المتغلبين في زماننا ، وهذا معاوية وعمر بن الخطاب

عليًا بالعين التي يرى بها العاني صديقه أو جاره، ولم يُقَصِّرْ دُونَ ضَرْبِ وَجْهِهِ بِالسِّيفِ وَلَعْنِهِ وَلَعْنِ أَوْلَادِهِ وَكُلِّ مَنْ كَانَ حَيًّا مِنْ أَهْلِهِ ، وَقَتْلِ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ لَعَنَهُمَا هُوَ أَيْضًا فِي الصَّلَوَاتِ الْمَقْرُوضَاتِ ، وَلَعْنِ مَعَهُمَا أَبَا الْأَعْمُورِ السَّامِيُّ ، وَأَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ ، وَكُلَّاهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَهَذَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَعَمْرُو بْنُ نَفِيلٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍ ، وَحُسَيْنُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ ، لَمْ يَرَوْا أَنْ يَقْلُدُوا عَلِيًّا فِي حَرْبِ طَالِحَةَ ، وَلَا طَالِحَةَ فِي حَرْبِ عَلِيٍّ ، وَطَالِحَةُ وَالزَّيْبِرُ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَعْدُودِينَ ، لِأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ لَقَدْ خَافُوا أَنْ يَكُونَ عَلِيٌّ قَدْ غَلَطَ وَزَلَّ فِي حَرْبِهِمَا ، وَخَافُوا أَنْ يَكُونَا قَدْ غَلَّغَا وَزَلَّا فِي حَرْبِ عَلِيٍّ ؛ وَهَذَا عُثْمَانُ قَدْ نَفَى أَبَا ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ كَمَا يُفْعَلُ بِأَهْلِ الْخَلَاءِ وَالرَّيْبِ ، وَهَذَا عَمَّارُ وَابْنُ مَسْعُودٍ تَلَقَّيَا عُثْمَانَ بِمَا تَلَقَّيَاهُ بِهِ لَمَّا ظَهَر لَهَا - بَزَعْمَهُمَا - مِنْهُ مَا وَعَظَاهُ لِأَجَلِهِ ، ثُمَّ فَعَلَ بِهِمَا عُثْمَانُ مَا تَنَاهَى إِلَيْكُمْ ، ثُمَّ فَعَلَ الْقَوْمُ بِعُثْمَانَ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ وَعَلِمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، وَهَذَا عَمْرُ يَقُولُ فِي قِصَّةِ الزَّيْبِرِ بْنِ الْعَوَّامِ لَمَّا أَسْتَأْذَنَهُ فِي الْغَزْوِ : هَا إِنِّي مَعِيكَ بِيَابِ هَذَا الشَّعْبِ أَنْ يَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ فِي النَّاسِ فَيُضَلُّوهُمْ ، وَزَعِمَ أَنَّهُ وَأَبُو بَكْرٍ كَانَا يَقُولَانِ : إِنَّ عَلِيًّا وَالْعَبَّاسَ فِي قِصَّةِ الْمِيرَاثِ زَعَمَاهُمَا كَاذِبَيْنِ ظَالِمَيْنِ فَاجِرَيْنِ ؛ وَمَا رَأَيْنَا عَلِيًّا وَالْعَبَّاسَ اعْتَذَرَا وَلَا تَنَصَّلَا ، وَلَا نَقْلُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ ذَلِكَ ، وَلَا رَأَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْكَرُوا عَلَيْهِمَا مَا حَكَاهُ عَمْرُ عَنْهُمَا ، وَنَسَبَهُ إِلَيْهِمَا ، وَلَا أَنْكَرُوا أَيْضًا عَلِيَّ عَمْرُ قَوْلُهُ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّهُمْ يَرِيدُونَ إِضْلَالَ النَّاسِ وَيَهْمُونَ بِهِ ، وَلَا أَنْكَرُوا عَلِيَّ عُثْمَانُ دَوَّسَ بَطْنِ عَمَّارٍ ، وَلَا كُشْرَ ضَلَعِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَلَا عَلِيَّ عَمَّارُ وَابْنُ مَسْعُودٍ مَا تَلَقَّيَا بِهِ عُثْمَانُ ، كَانِ انْكَارُ الْعَامَّةِ الْيَوْمَ الْخُلُوصَ فِي حَدِيثِ الصَّحَابَةِ ، وَلَا اعْتَقَدَتْ الصَّحَابَةُ فِي أَنْفُسِهَا مَا يَعْتَقِدُهُ الْعَامَّةُ فِيهَا ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَزْعُمُوا أَنَّهُمْ أَعْرَفَ بِحَقِّ الْقَوْمِ مِنْهُمْ . وَهَذَا عَلِيٌّ

وفاطمة والعباس مازالوا على كلمة واحدة يكذبون الرواية : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » ، ويقولون : إنها مختلفة .

قالوا : وكيف كان النبي صلى الله عليه وآله يُعرف هذا الحكم غيرنا وبكثته عنا ونحن الورثة ؛ ونحن أولى الناس بأن يُؤدَّى هذا الحكم إليه ، وهذا عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى أنهم الفقراء الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راضٍ ، ثم يأمر بضرب أعناقهم إن أخروا فصل حال الإمامة ، هذا بعد أن تكلمهم ، وقال في حقهم ما لو سمعته العامة اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سحبا إلى السلطان ، ثم شهدت عليه بالرَّفْض واستعلت دمه ، فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضا فعمرو بن الخطاب أرفض الناس وإمام التوافض كلهم . ثم ماشاع وأشتهر من قول عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتمة ، وقى الله شرها ؛ فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ؛ وهذا طعن في العقد ، وقدح في البيعة الأصلية .

ثم ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في صلاته ، وقوله عن عبد الرحمن أبنه : دؤيبة سوء وهو خير من أبيه . ثم عمر القائل في سعد بن عبادة ، وهو رئيس الأنصار وسيدها : اقتلوا سعدا ، قتل الله سعدا ، اقتلوه فإنه منافق . وقد شتم أبا هريرة وطعن في روايته ، وشتم خالد بن الوليد وطعن في دينه ، وحكم بفسقه وبوجوب قتله ، وخون عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان ونسبهما إلى سرقة مال الفتي ، وأقتطاعه ، وكان سريعا إلى المساءة ، كثير الجلبه والشتم والسب لكل أحد ، وقل أن يكون في الصحابة من سليم من بكرة لسان أو يده ، ولذلك أبغضوه وملأوا أيامه مع كثرة الفتوح فيها ، فهلا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامة ! إنا أن يكون عمر مخطئا ، وإنا أن تكون العامة على الخطأ !

فإن قالوا : عمرُ ما شتم ولا ضرب ، ولا أساء إلا إلى عاصٍ مستحقٍ لذلك ، قيل لهم : فسكأتنا نحن نقول : إننا نريد أن نبرأ ونعادي من لا يستحق البراءة والمعاداة ، كلاً ما قلنا هذا ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل .

وإنما غرضنا الذي إليه نجرى بكلامنا هذا أن نوضح أن الصحابة قومٌ من الناس لهم مال للناس ، وعليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذمناه ، ومن أحسن منهم حمدناه ، وليس لهم على غيرهم من المسلمين كبيرٌ فضلٌ إلا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير ، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم ، لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات ، فقربت اعتقاداتهم من الضرورة ، ونحن لم نشاهد ذلك ، فسكأت عقائدنا نحض النظر والفكر ، وبعرضية الشبه والشكوك ، فعاصينا أخف لأننا أعذر .

مركز تحقيق تكملة ترمذى

ثم نعود إلى ما كنا فيه فنقول : وهذه عائشة أم المؤمنين ؛ خرجت بقميص رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت للناس : هذا قميص رسول الله لم يبل ، وعثمان قد أبلى سنته ؛ ثم تقول : اقتلوا نعثلاً ، قتل الله نعثلاً ، ثم لم ترض بذلك حتى قالت : أشهد أن عثمان جيفة على الصراط عدداً . فمن الناس من يقول : روت في ذلك خبراً ، ومن الناس من يقول : هو موقوفٌ عليها ؛ وبدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامة زنديقاً . ثم قد حصر عثمان ؛ حصرته أعيان الصحابة ، فما كان أحدٌ يشكر ذلك ، ولا يعظمه ولا يسعى في إزالته ، وإنما أنكروا على من أنكر على المحاصرين له ، وهو رجلٌ كما علمت من وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم من أشرفهم ، ثم هو أقرب إليه من أبي بكر وعمر ؛ وهو مع ذلك إمام المسلمين ، والختار منهم للخلافة ، وللإمام حقٌ على رعيته عظيم ، فإن كان القوم قد أصابوا فإذاً ليست الصحابة في الموضع الذي وضعت به العامة ، وإن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي نقول ؛ من أن الخطأ جائزٌ على

آحاد الصحابة ؛ كما يجوز على آحادنا اليوم . ولَسْنَا نَقْدَحُ فِي الْإِجْمَاعِ ، وَلَا نَدْعِي
إِجْمَاعًا حَقِيقِيًّا عَلَى قَتْلِ عُمَافٍ ، وَإِنَّمَا نَقُولُ : إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ
وَأَخْلَصُوا بِسَلَامٍ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ خَطَأً وَمَعْصِيَةً ، فَقَدْ سَلَّمَ أَنَّ الصَّحَابِيَّ يَجُوزُ أَنْ يُخْطِئَ
وَيَعْصِيَ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

وهذا المُنْغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، ادَّعَى عَلَيْهِ الزَّنا ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ قَوْمٌ بِذَلِكَ ،
فَلَمْ يُنْكَرْ ذَلِكَ عَمْرٌ ، وَلَا قَالَ : هَذَا مُحَالٌ وَبَاطِلٌ لِأَنَّ هَذَا صَحَابِيٌّ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الزَّنا . وَهَلَّا أَنْكَرَ عَمْرٌ عَلَى الشُّهُودِ وَقَالَ لَهُمْ : وَيَحْكُمُ
هَلَّا تَغَافَلْتُمْ عَنْهُ لَمَّا رَأَيْتُمُوهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْجَبَ الْإِمْسَاكَ عَنْ مَسَاوِي
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَوْجَبَ السَّتْرَ عَلَيْهِمْ ! وَهَلَّا تَرَكَتُمُوهُ لِرَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي قَوْلِهِ : « دَعُوا إِلَى أَصْحَابِي » ، مَا رَأَيْنَا عَمْرٌ إِلَّا قَدْ انْتَصَبَ لِسَمَاعِ الدَّعْوَى ،
وَإِقَامَةِ الشَّهَادَةِ ، وَأَقْبَلَ يَقُولُ لِلْمَغِيرَةِ : يَا مَغِيرَةُ ، ذَهَبَ رَبُّكَ ، يَا مَغِيرَةُ ، ذَهَبَ نَصْفُكَ ،
يَا مَغِيرَةُ ، ذَهَبَ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِكَ ، حَتَّى اضْطَرَبَ الرَّابِعُ ، فَجَاوَدَ الثَّلَاثَةَ . وَهَلَّا قَالَ الْمَغِيرَةُ لِعَمْرٍ :
كَيْفَ تَسْمَعُ فِي قَوْلِ هَؤُلَاءِ ، وَلَيْسُوا مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَأَنَا مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ قَالَ : « أَصْحَابِي كَالنَّجُومِ ، بَأْيُهُمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ » ! مَا رَأَيْنَاهُ قَالَ ذَلِكَ ، بَلِ
اسْتَسْلَمَ لِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى . وَهَاهُنَا مَنْ هُوَ أَمْثَلُ مِنَ الْمَغِيرَةِ وَأَفْضَلُ ، قَدَامَةُ بْنُ مَطْعُونٍ ،
لَمَّا شَرِبَ الْخَمْرَ فِي أَيَّامِ عُمَرَ ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ عِلْيَةِ الصَّحَابَةِ وَمِنْ
أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَالْمَشْهُودُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَمْرُ الشَّهَادَةَ ، وَلَا ذَرَأَ عَنْهُ الْحَدَّ لَعَلَّ أَنْ
يَذَرِي ، وَلَا قَالَ : قَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِي الصَّحَابَةِ .
وَقَدْ ضَرَبَ عَمْرٌ أَيْضًا ابْنَهُ حَدًّا فَهَاتِ ، وَكَانَ مِمَّنْ عَاصَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ
يَكُنْهُ مَعَاصِرَتَهُ لَهُ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ .

وهذا على عليه السلام يقول : ما حدثني أحدٌ بحديثٍ عن رسول الله صلى الله عليه

وآله إلا استخلفته عليه ؛ أليس هذا اتهاماً لهم بالكذب ! وما استثنى أحداً من المسلمين إلا أبا بكر على ما ورد في الخبر ، وقد صرح غير مرة بتكذيب أبي هريرة ، وقال : لا أحد أ كذب من هذا الدؤسي على رسول الله صلى الله عليه وآله . وقال أبو بكر في مرضه الذي مات فيه : وَدِدْتُ أَتَى لَمْ أَ كَشِفْ بَيْتَ فَاطِمَةَ وَلَوْ كَانَ أَغْلِقَ عَلَى حَرْبٍ فَتَدَمَ ، وَالتَّدَمُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَن ذَنْبٍ .

ثم ينبغي للعاقل أن يفكر في تأخر علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر ستة أشهر إلى أن ماتت فاطمة ، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة ، وإن كان أبو بكر مصيباً فعلي على الخطأ في تأخره عن البيعة وحضور المسجد ؛ ثم قال أبو بكر في مرض موته أيضاً للصحابة : فَلَمَّا اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ خَيْرَ كُمْ فِي نَفْسِي - بَعْنِي عُمَرُ - فَكُلُّكُمْ وَرِمَ لِنَلِكِ أَنْفَهُ ، بَرِيدٌ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ لَهُ ، لَمَّا رَأَيْتُمُ الدُّنْيَا قَدْ جَاءَتْ ، أَمَا وَاللَّهِ لَتَتَخَذَنَّ سِتَارَ الدِّيَاجِ وَنَضَائِدَ الْحَرِيرِ ^(١) ؛ أليس هذا طعننا في الصحابة ، وتصريحاً بأنه قد نسبهم إلى الحسد لعمر ، لما نص على العهد ! ولقد قال له طلحة لما ذكر عمر للأمر : مَاذَا تَقُولُ لِرَبِّكَ إِذَا سَأَلَكَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَقَدْ وَلَّيْتَ عَلَيْهِمْ قِطْعًا غَلِيظًا ! فقال أبو بكر : أَجْلِسُونِي أَجْلِسُونِي ، يَا اللَّهِ تَخَوَّفَنِي ! إِذَا سَأَلَنِي قُلْتُ : وَلَّيْتَ عَلَيْهِمْ خَيْرَ أَهْلِكَ ؛ ثُمَّ شَتَمَهُ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ مَّنْقُولٍ ؛ فَهَلْ قَوْلُ طَلْحَةَ إِلَّا طَعْنٌ فِي عُمَرَ ، وَهَلْ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا طَعْنٌ فِي طَلْحَةَ !

ثم الذي كان بين أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود من السباب حتى نفي كل واحد منهما الآخر عن أبيه ، وكلمة أبي بن كعب مشهورة منقولة : مَا زَالَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ مَكْبُوبَةٌ عَلَى وَجْهِهَا مِنْذُ قَقَدُوا نَبِيَّهُمْ ، وَقَوْلُهُ : أَلَا هَلَكُ أَهْلُ الْعَقِيدَةِ ، وَاللَّهُ مَا آسَى عَلَيْهِمْ إِنَّمَا آسَى عَلَى مَنْ يَضَلُّونَ مِنَ النَّاسِ .

ثم قولُ عبد الرحمن بن عوف : ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان : يا منافق ؛ وقوله : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما ولّيت عثمان شِيعَ نعلي^(١) ؛ وقوله : اللهم إن عثمان قد أبى أن يقيم كتابك فافعلْ به وافعل .

وقال عثمانُ لعليّ عليه السلام في كلامٍ دارَ بينهما : أبو بكر وعمرُ خيرٌ منك ؛ فقال عليّ : كذبت ، أنا خيرٌ منك ومنهما ، عبدتُ الله قبلهما ، وعبدته بعدهما .

وروى سُفيانُ بن عُيينة عن عمرو بن دينار ، قال : كنت عند عروة بن الزبير ، فذاكرناكم أقام النبيُّ بمكة بعد الوحي ؟ فقال عروة : أقام عشرة ، قلت : كان ابنُ عباس يقول : ثلاث عشرة ، فقال : كذب ابنُ عباس . وقال ابنُ عباس : المتعة^(٢) حلال ؛ فقال له جُبَيْر بن مُطْعِم : كان عمرُ ينهى عنها ، فقال يا عديّ نفسه ، من هاهنا ضلّتم ، أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتحدثني عن عمر !

وجاء في الخبر عن عليّ عليه السلام ، لولا ما فعل عمرُ بنُ الخطاب في المتعة ما زنى إلا شقي ؛ وقيل : ما زنى إلا شفا ، أي قليلا .

فأما سبّ بعضهم بعضا وقدّح بعضهم في بعض في المسائل الفقهية فأكثر من أن يُحصَى ، مثلُ قول ابن عباس وهو يردّ على زيد مذهبه القول في الفرائض : إن شاء - أو قال : من شاء - بأهلته^(٣) إن الذي أحصى رَمْلُ طالج^(٤) عدداً أعدل من أن يجعل في مالٍ نصفاً ونصفاً وثلاثاً ، هذان النصفان قد ذهبا بالمال ، فأين موضعُ الثلث !

(١) الشيع : قبائل النعل .

(٢) نكاح المتعة ؛ هو أن يتزوج الرجل المرأة يستمتع بها أياماً ثم يتركها .

(٣) بأهل القوم بعضهم بعضاً وابتهلوا : تلاعنوا .

(٤) طالج : موضع به رمل ، معروف .

ومثل قول أبي بن كعب في القرآن : لقد قرأت القرآن وزيد هذا غلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكث .

وقال علي عليه السلام في أمهات الأولاد وهو على المنبر : كان رأيي ورأي عمر ألا يبعن ، وأنا أرى الآن بيعهن ، فقام إليه عبيدة السلماني ، فقال : رأيك في الجماعة^(١) أحب إلينا من رأيك في الفرقة .

وكان أبو بكر يري التسوية في قسم الغنائم ، وخالفه عمر وأنكر فعله .
وأنكرت عائشة على أبي سلمة بن عبد الرحمن خلافه على ابن عباس في عدة التوقي عنها زوجها وهي حامل ؛ وقالت : فزوج يصقع^(٢) مع الدبكة .
وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله في الصرف ، وسفهوا رأيه حتى قيل : إنه تاب من ذلك عند موته .
واختلفوا في حد شارب الخمر حتى خطأ بعضهم بعضا .

وروى بعض الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : الشؤم في ثلاثة : المرأة والدار ، والفرس ، فأنكرت عائشة ذلك ، وكذبت الراوي وقالت : إنه إنما قال عليه السلام ذلك حكاية عن غيره .

وروى بعض الصحابة عنه عليه السلام أنه قال : التاجر فاجر ، فأنكرت عائشة ذلك ، وكذبت الراوي وقالت : إنما قاله عليه السلام في تاجر دلس .

وأنكر قوم من الأنصار رواية أبي بكر : « الأئمة من قريش » ، ونسبوه إلى اختلال هذه الكلمة .

(٢) صقع الدبكة صقاً : صاح .

(١) ب : « الجماعة » .

وكان أبو بكر يقضي بالقضاء فيتنفضه عليه أصغر الصحابة كبلال
وسهيب ونحوهما . قد روي ذلك في عدة قضايا .

وقيل لأبن عباس : إن عبد الله بن الزبير يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى
بنى إسرائيل ؛ فقال : كذب عدو الله ! أخبرني أبي بن كعب ، قال : خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وآله وذکر کذا ؛ بكلام يدل على أن موسى صاحب الخضر هو موسى
بنى إسرائيل .

وباع معاوية أواني ذهب وفضة بأكثر من وزنها ، فقال له أبو الدرداء : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى عن ذلك ، فقال معاوية : أما أنا فلا أرى به بأسا ؛
فقال أبو الدرداء : من عذيري من معاوية ! أخبره عن الرسول صلى الله عليه وسلم ،
وهو يخبرني عن رأيه ! والله لا أساكنك بأرضي أبدا .

وطعن ابن عباس في أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله :
« إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يمدخلن يده في الإناء حتى يتوضأ » ، وقال : فما
فصنع بالمهراس ^(١) !

وقال علي عليه السلام لعمر وقد أفتاه الصحابة في مسألة وأجمعوا عليها : إن كانوا
راغبوك فقد غشوك ، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطئوا .

وقال ابن عباس : ألا يأتى الله زيد بن ثابت ، يجعل ابن الأبن ابناً ، ولا يجعل
أب الأب أباً !

وقالت عائشة : أخبروا زيد بن أرقم أنه قد أحبط جهاده مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

(١) المهراس : إناء مسطيل مشهور يصب فيه .

وأنكرت الصحابة على أبي موسى قوله : إن النوم لا ينقض الوضوء ، ونسبته إلى الغفلة وقلة التحصيل ، وكذلك أنكرت على أبي طلحة الأنصاري قوله : إن أكل البرد لا يفطر الصائم ، وهزئت به ونسبته إلى الجهل :

وسمع عمر بن عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد ، فصعد المنبر وقال : إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن أي فتياكم يصدر المسلمون ! لا أسمع رجلين يختلفان بعد مقامي هذا إلا فعلت وصنعت .

وقال جرير بن كليب : رأيت عمر ينهى عن المتعة ، وعلى عليه السلام يأمر بها ، فقلت : إن ينسكما لشرًا ، فقال علي عليه السلام : ليس بيننا إلا الخير ، ولكن خيرنا أتبعنا لهذا الدين .

مركز تحقيق كتيب علوم إسلامي

قال هذا المتكلم : وكيف يصح أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ؛ لا شبهة أن هذا يوجب أن يكون أهل الشام في صفين على هدي ، وأن يكون أهل العراق أيضا على هدي ؛ وأن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتديا ؛ وقد صح الخبر الصحيح أنه قال له : « تقتلك الفئة الباغية » ، وقال في القرآن : ﴿ فَاقْرَأُوا الَّتِي تَنبِئُ حَتَّى تَنفَى إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ؛ فدل على أنها ما دامت موصوفة بالمقام على البغي ، مفارقة لأمر الله ، ومن يفارق أمر الله لا يكون مهتديا .

وكان يجب أن يكون بسر بن أبي أرطاة الذي ذبح وكلى عبيد الله بن عباس الصنبرين مهتديا ، لأن بسرًا من الصحابة أيضا ، وكان يجب أن يكون عمرو بن العاص ومعاوية اللذان كانا يلعبان عليًا أديار الصلاة وولديه مهتدين ؛ وقد كان في الصحابة من يزني ومن يشرب الخمر كابي محجن الثقفي ، ومن يرتد عن الإسلام كطليحة ابن خويلد ، فيجب أن يكون كل من اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهتديا .

قال : وإنما هذا من موضوعات متعصبة الأموية ، فإن لهم من ينصرهم بلسانه ، وبوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم بالسيف .

وكذا القول في الحديث الآخر ، وهو قوله : « القرن الذي أنا فيه » ، ومما يدل على بطلانه أن القرن الذي جاء بعده بخمسين سنة شر قرون الدنيا ، وهو أحد القرون التي ذكرها في النص ، وكان ذلك القرن هو القرن الذي قُتل فيه الحسين ، وأوقع بالمدينة ، وحُوصرت مكة ، وقُضت الكعبة ، وشربت خلفاؤه والقائمون مقامه والمنتصبون في منصب النبوة الخوارج ، وارتكبوا الفجور ، كما جرى ليزيد بن معاوية وليزيد بن عاتكة ولوليد بن يزيد ، وأريق الدماء الحرام ، وقُتل المسلمون ، وسُبي الحرّيم ، واستُعبد أبناء المهاجرين والأنصار ، ونُقش على أيديهم كما يُنقش على أيدي الرثوم ، وذلك في خلافة عبد الملك وإمرة الحجاج . وإذا تأملت كتب التواريخ وجدت الحسين الثانية شرأ كلها لا خير فيها ، ولا في رؤسائها وأمرائها ، والناس برؤسائهم وأمرائهم ، والقرن تخسون سنة ، فكيف يصح هذا الخبر .

قال : فأما ماورد في القرآن من قوله تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين ﴾ ^(١) . وقوله : ﴿ محمد رسول الله والذين معه ﴾ ^(٢) .

وقول النبي صلى الله عليه وآله : إن الله اطلع على أهل بدر ؛ إن كان الخبر صحيحا فكلمه مشروط بسلامة العاقبة ، ولا يجوز أن يخبر الحكيم مكلفا غير معصوم بأنه لا عقاب عليه ، فليعمل ما شاء .

قال هذا المتكلم : ومن أنصف وتأمل أحوال الصحابة وجدّهم مثلنا ، يجوز عليهم مايجوز علينا ، ولا فرق بيننا وبينهم إلا بالصحبة لا غير ، فإن لها منزلة وشرفا ،

ولكن لا إلى حدٍّ يمتنع على كلٍّ من رأى الرسول أو صحبه يوماً أو شهراً أو أكثر من ذلك أن يخطئ ويزل ، ولو كان هذا صحيحاً ما احتاجت عائشة إلى نزول براءتها من السماء ، بل كان رسول الله صلى الله عليه وآله من أول يوم يعلم كذب أهل الإفك ، لأنها زوجته ، وصحبته آكد من صحة غيرها . وصفوان بن المفضل أيضاً كان من الصحابة ، فكان يبنى ألا يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا يحمل ذلك الهم والغم الشديدتين اللذين حملهما ويقول : صفوان من الصحابة ، وعائشة من الصحابة ، والمعصية عليهما ممتنعة .

وأمثال هذا كثير ، وأكثر من الكثير ؛ لمن أراد أن يستقرئ أحوال القوم ، وقد كان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك ، ويقولون في العصاة منهم مثل هذا القول ،

وإنما اتخذهم العامة أرباباً بعد ذلك .

قال : ومن الذى يجترئ على القول بأن أصحاب محمد لا تجوز البراءة من أحدهم منهم وإن أساء وعصى بعد قول الله تعالى للذى شرفوا برؤيته : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ ^(١) بعد قوله : ﴿ قل أتى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ ^(٢) وبعد قوله : ﴿ فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ﴾ ^(٣) ، إلا من لا فهم له ولا نظر معه ، ولا تمييز عنده .

قال : ومن أحب أن ينظر إلى اختلاف الصحابة ، وطعن بعضهم في بعض ورد بعضهم على بعض ، وما رد به التابعون عليهم واعترضوا به أقوالهم ، واختلاف التابعين أيضاً فيما بينهم ، وقدح بعضهم في بعض ، فلينظر في كتاب النظام ، قال الجاحظ : كان النظام

أشدّ الناس إنكاراً على الرافضة ، لطفنهم على الصحابة ، حتى إذا ذكر القُتَيْبَا وتغلّ الصحابة فيها ، وقضايهم بالأمور المختلفة ، وقول من استعمل الرأي في دين الله ، انتظم مطاعن الرافضة وغيرها ، وزاد عليها ؛ وقال في الصحابة أضعاف قولها .

قال : وقال بعض رؤساء المعتزلة : غلطُ أبي حنيفة في الأحكام عظيم ، لأنه أضل خلقاً وغلط حماد^(١) أعظم من غلط أبي حنيفة ، لأن حمادا أصلُ أبي حنيفة الذي منه تفرّع ، وغلط إبراهيم أغلظ وأعظم من غلط حماد ، لأنه أصلُ حماد وغلط علقمة^(٢) والأسود^(٣) أعظم من غلط إبراهيم لأنهما أصله الذي عليه اعتمد ، وغلط ابن مسعود أعظم من غلط هؤلاء جميعاً ، لأنه أول من بدّر إلى وضع الأذيان برأيه ، وهو الذي قال : أقول فيها برأى ، فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فني .

قال : واستأذن أصحاب الحديث على ثمانية^(٤) بحراسان حيث كان مع الرشيد بن المهدي ، فسألوه كتابه الذي صنّفه على أبي حنيفة في اجتهاد الرأي ، فقال : لست على أبي حنيفة كتبت ذلك الكتاب ، وإنما كتبت على علقمة والأسود وعبد الله بن مسعود لأنهم الذين قالوا بالرأي قبل أبي حنيفة .

قال : وكان بعض المعتزلة أيضاً إذا ذكر ابن عباس استصغره وقال : صاحب الذّوابة يقول في دين الله برأيه .

وذكر الجاحظ في كتابه المعروف « بكتاب التوحيد » أنّ أبا هريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ قال : ولم يكن على عليه السلام بوثقه في الرواية ، بل يتهمه ، ويقدر فيه ، وكذلك عمر وعائشة .

(٢) علقمة بن قيس

(٤) ثمانية بن أشرس

(١) حماد بن حماد بن أبي سفيان .

(٣) الأسود بن بزيه

وكان الجاحظ يفسق عمر بن عبد العزيز ويستهزئ به ويكفره ، وعمر بن العزيز
وإن لم يكن من الصحابة فأكثر العامة يرى له من الفضل ما يراه لواحد
من الصحابة .

وكيف يجوز أن نحكم حكماً جزئياً أن كل واحد من الصحابة عدل ، ومن جملة
الصحابة الحكم بن أبي العاص ! وكفالك به عدواً مبغضاً لرسول الله صلى الله عليه وآله !
ومن الصحابة الوليد بن عتبة الفاسق بنصر الكتاب ، ومنهم حبيب بن مسلمة الذي
قفل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية ، وبشر بن أبي أرطاة عدو الله وعدو رسوله ، وفي
الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس . وقال كثير من المسلمين : مات رسول الله
صلى الله عليه وآله ولم يعرفه الله سبحانه كل المنافقين بأعيانهم ، وإنما كان يعرف
قوماً منهم ، ولم يعلم بهم أحداً إلا حذيفة فيما زعموا ، فكيف يجوز أن نحكم حكماً
جزئياً أن كل واحد ممن صحب رسول الله أو رآه أو عاصره عدل مأمون ، لا يقع
منه خطأ ولا معصية ، ومن الذي يمكنه أن يتحجر واسعا كهذا التحجر ، أو يحكم
هذا الحكم !

قال والعجب من الحشوية وأصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء ، ويثبتون
أنهم عصوا الله تعالى ، وينكرون على من ينكر ذلك ، ويطعنون فيه ، ويقولون :
قد رى معزلى ، وربما قالوا : ملحد مخالف لنصر الكتاب ؛ وقد رأينا منهم الواحد
والمائة والألف يجادل في هذا الباب ، فتارة يقولون : إن يوسف قعد من امرأة
العزیز مقعد الرجل من المرأة ، وتارة يقولون : إن داود قتل أوريا لينكح امرأته ،
وتارة يقولون : إن رسول الله كان كافراً ضالاً قبل النبوة ، وربما ذكروا زينب بنت
جحش وقصة الفداء يوم بدر .

فأما قدحهم في آدم عليه السلام ، وإثباتهم معصيته ومناظرتهم من يذكر ذلك

فهو دأبهم ودينتهم ، فإذا تكلم واحد في عمرو بن العاص أو في معاوية وأمثالهما ونسبهم إلى المعصية وفعل القبيح ، احمرت وجوههم ، وطالت أعناقهم ، وتنازرت أعينهم ، وقالوا : مبتدع رافضى ، يسب الصحابة ، ويشتم السلف ، فإن قالوا : إنما اتبعنا في ذكر معاصي الأنبياء نصوص الكتاب ؛ قيل لهم : فاتبعوا في البراءة من جميع العصاة نصوص الكتاب ، فإنه تعالى قال : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَتَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٣) .

ثم يسألون عن بيعة علي عليه السلام ، هل هي صحيحة لازمة لكل الناس ؟ فلا بد من « بلى » ، فيقال لهم : فإذا خرج على الإمام الحق خارج أليس يجب على المسلمين قتاله حتى يعود إلى الطاعة ؟ فهل يكون هذا القتال إلا البراءة التي نذكرها لأنه لا فرق بين الأسيرين ، وإنما برثنا منهم لأننا لسنا في زمانهم ، فيمكننا أن نقاتل بأيدينا ، فقصارى أمرنا الآن أن نبرأ منهم ونلعنهم ، وليكون ذلك عوضاً عن القتال الذي لا سبيل لنا إليه .

قال هذا المتكلم : على أن النظام وأصحابه ذهبوا إلى أنه لا حجة في الإجماع ، وأنه يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ والمعصية ، وعلى الفسق ، بل على الردة ، وله كتاب موضوع في الإجماع يطقن فيه في أدلة النقيض ، ويقول : إنها ألفاظ غير صريحة في كون الإجماع حجة ، نحو قوله : ﴿ جعلناكم أمة وسطا ﴾ ^(٤) وقوله : ﴿ كنتم خير أمة ﴾ ^(٥) وقوله : ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ ^(٦) .

(٢) سورة المجرات ٩

(٤) سورة البقرة ١٤٣

(٦) سورة النساء ١١٥

(١) سورة المجادلة ٥

(٣) سورة النساء ٥٩

(٥) سورة آل عمران ١١٠

وأما الخبر الذي صورته : « لا تجتمع أمتي على الخطأ » فغير واحد ، وأمثلة دليل الفقهاء قولهم : إن الهمم المختلفة ، والآراء المتباينة ، إذا كان أربابها كثيرة عظيمة ، فإنه يستحيل أجمعهم على الخطأ ، وهذا باطل باليهود والنصارى وغيرهم من فرق الضلال . هذه خلاصة ما كان النقيب أبو جعفر علقه بخطه من الجزء الذي أقرأناه .

ونحن نقول : أمّا إجماع المسلمين فحجة ، ولسنا نرضى ما ذكره عنا من أنه أمثلة دليل لنا أن الهمم المختلفة ، والآراء المتباينة ، يستحيل أن تتفق على غير الصواب ؛ ومن نظر في كتبنا الأصولية علم وثاقة أدلتنا على صحة الإجماع وكونه صواباً ، وحجة تحريم مخالفته ، وقد تكلمت في اعتبار الذريعة للمرتضى على ما طعن به للمرتضى في أدلة الإجماع .

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

وأما ما ذكره من الهجوم على دار فاطمة وجمع الخطب لتحريقها فهو خبر واحد غير موثوق به ، ولا معول عليه في حق الصحابة ، بل ولا في حق أحد من المسلمين ممن ظهرت عدالته .

وأما عائشة والزبير وطاعة فذهبنا أنهم أخطئوا ثم تابوا ، وأنهم من أهل الجنة ، وأن علياً عليه السلام شهد لهم بالجنة بعد حرب الجمل .

وأما طعن الصحابة بعضهم في بعض ، فإن الخلاف الذي كان بينهم في مسائل الاجتهاد لا يوجب إنمّا ، لأن كل مجتهد مُصيب ، وهذا أمرٌ مذكور في كتب أصول الفقه وما كان من الخلاف خارجاً عن ذلك فالكثير من الأخبار الواردة فيه غير موثوق بها وما جاء من جهة صحيحة نظر فيه ورجح جانب أحد الصحابيّن على قدر منزلته في الإسلام كما يروى عن عمر وأبي هريرة .

فَأَمَّا عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ عِنْدُنَا بِمَنْزِلَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي تَصَوُّبِ قَوْلِهِ ،
وَالْأَحْتِجَاجِ بِفِعْلِهِ ، وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ ؛ وَمَتَى صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ قَدْ بَرَىٰ مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ
بِرُئْثَانِهِ كَأَنَّمَا مَنْ كَانَ ، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ فِي تَصَحُّيحِ مَا يُرَوَّى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَكْثَرَ
السُّكُذْبَ عَلَيْهِ ، وَوُلِّدَتِ الْعَصَبِيَّةُ أَحَادِيثَ لَا أَصْلَ لَهَا .

فَأَمَّا بَرَاءَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَغِيرَةِ وَتَحْرِيمِ الْعَاصِ وَمَعَاوِيَةَ ، فَهُوَ عِنْدُنَا مَعْلُومٌ
جَارٍ تَجَرَّي الْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ ، فَلِذَلِكَ لَا يَتَوَلَّاهُمْ أَصْحَابُنَا ، وَلَا يُشْنُونَ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ عِنْدَ
الْمُعْتَزِلَةِ فِي مَقَامٍ غَيْرِ مَحْمُودٍ ، وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرًا مِنْ سَلَفٍ مِنْ شُيُوخِ
الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ وَالذِّكْرُ الْحَسَنُ بِمُوجِبِ مَا تَقْتَضِيهِ رِئَاسَتُهُ فِي الدِّينِ ، وَإِخْلَاصُهُ
فِي طَاعَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَمَنْ أَحَبَّ تَتَبُّعَ مَا رَوَىٰ عَنْهُ مِمَّا يُؤْمُ فِي الظَّاهِرِ خِلَافَ ذَلِكَ
فَلْيَرَاجِعْ هَذَا الْكِتَابَ ، أَعْنَى شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ، فَإِنَّا لَمْ نَتْرِكْ مَوْضِعًا يُؤْمُ خِلَافَ
مَذْهَبِنَا إِلَّا وَأَوْضَحْنَاهُ وَقَسَرْنَاهُ عَلَىٰ وَجْهِ يُوَافِقُ الْحَقَّ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

[عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَطَرَفٌ مِنْ أَخْبَارِهِ]

فَأَمَّا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَتَحْنُ نَذَكُرُ نَسَبَهُ وَطَرَفًا مِنْ حَالِهِ مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ
عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ الْأَسْتِيعَابِ ^(١) ، قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ .

هُوَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ حَصِينِ بْنِ ثَوَذِ بْنِ
قُلَيْبَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ خَارِثَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَافِ بْنِ عَنَسٍ - بِالنُّونِ - بْنِ مَالِكِ بْنِ أَدَدِ الْقُلَيْبِيِّ
الْمَذْحِجِيِّ ، يَكْنَىٰ أَبَا الْيَقْظَانَ ، حَالِفٌ لِبَنِي مَخْزُومٍ ، كَذَا قَالَ ابْنُ شَهَابٍ وَغَيْرُهُ .

(١) الْأَسْتِيعَابُ ٤٣٤ وَمَا بَعْدَهَا (طَبْعَةُ الْمَدِينَةِ) .

وقال موسى بن عقبة : وممن شهد بذرا عمار بن ياسر حليف بني مخزوم بن يقظة .

وقال الواقدي وطائفة من أهل العلم : إن ياسراً والد عمار بن ياسر عربي قحطاني من عَنَس ، من مذحج ، إلا أن ابنه عماراً مولى لبني مخزوم ، لأن أباه ياسراً تزوج أمة لبعض بني مخزوم فأولدها عماراً ، وذلك أن ياسراً قديم مكة مع أخوين له يقال لهما : الحارث ومالك في طلب أخ لهم رابع ، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن ، وأقام ياسر بمكة ، فخالف أباه حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لهما سمية بنت خياط ، فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة ، فصار ولأبيه لبني مخزوم ، وللحلف والولاء الذي بين بني مخزوم وعمار بن ياسر كان أجمع لبني مخزوم إلى عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب ، حتى انفتق له فتق في بطنه وكسروا ضلعاً من أضلاعه ، فاجتمعت بنو مخزوم ؛ وقالوا : والله لئن مات لا قتلنا به أحداً غير عثمان .

قال أبو عمر : وأسلم عمار وعبد الله أخوه وياسر أبوهما وسمية أمهما ، وكان إسلامهم قديماً في أول الإسلام فعذبوا في الله عذاباً عظيماً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمر بهم وهم يعذبون فيقول : « صبراً يا آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة » ، ويقول لهم أيضاً : « صبراً يا آل ياسر ، اللهم اغفر آل ياسر ، وقد فعلت » ^(٢) .

قال أبو عمر : ولم يزل عمار مع أبي حذيفة بن المغيرة حتى مات وجاء الله بالإسلام .

فأما سمية فقتلها أبو جهل ، طعنها بحربة في قبلها فماتت ، وكانت من الخيرات

الفاضلات وهي أول شهيدة في الإسلام، وقد كانت قريش أخذت يأسراً وُسْمِيَّةً وأَبْنِيَّهَا :
وبللاً وخبَّاباً وصُهَيْباً فَأَلْيَسُوهُم أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ ، وَصَهَرُوهُم فِي الشَّمْسِ حَتَّى يَبْلُغَ الْجَهْدُ مِنْهُمْ
كُلَّ مَبْلَغٍ ، فَأَعْطَوْهُم مَا سَأَلُوا مِنَ الْكُفْرِ ، وَسَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى
كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَوْمُهُ بِأَنْطَاعِ الْأَدَمِ فِيهَا الْمَاءُ فَأَقْوَمُوا فِيهَا ، ثُمَّ تَحَلَّوْا بِجَوَانِبِهَا ، فَلَمَّا
كَانَ الْعَشِيُّ جَاءَ أَبُو جَهْلٍ لِيَجْعَلَ يَشْتُمُ سُمِّيَّةَ وَيَرْفُثَ ، ثُمَّ وَجَّأَهَا بِحَرَبَةٍ فِي قُبُلِهَا فَقَتَلَهَا ؛
فَهِيَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَشْهَدَ فِي الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ عُمَارُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ
بَلِّغِ الْعَذَابَ مِنْ أُمِّي كُلِّ مَبْلَغٍ ، فَقَالَ : « صَبْرًا يَا أَبَا الْيَقْظَانِ ، اللَّهُمَّ لَا تُعَذِّبْ أَحَدًا مِنْ
آلِ يَاسِرٍ بِالنَّارِ » ، قَالَ أَبُو عَمْرٍ : وَفِيهِمْ أَنْزَلَ : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
بِالْإِيمَانِ ﴾ ^(١) .

مركز تحقيق تكملة تراث علوم اسلامی

قال : وَهَاجَرَ عُمَارُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَصَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ ، وَشَهِدَ بِدْرًا وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهُمَا
وَأَبْلَى بِلَاءَ حَسَنًا ، ثُمَّ شَهِدَ الْيَمَامَةَ ، فَأَبْلَى فِيهَا أَيْضًا ، وَيَوْمَئِذٍ قُطِعَتْ أُذُنُهُ .

قال : وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ : قَالَ :
رَأَيْتُ عُمَارَ بْنَ يَاسِرٍ يَوْمَ الْيَمَامَةِ عَلَى صَخْرَةٍ وَقَدْ أَشْرَفَ بِصَبِيحٍ : يَامُعْتَرِ الْمُسْلِمِينَ ، أَمِنْ
الْجَنَّةِ تَفْرُثُونَ ؟ أَنَا عُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ ، هَلُمُّوا إِلَيَّ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى أُذُنِهِ قَدْ قُطِعَتْ ، فَهِيَ
تَذْبَذِبُ وَهُوَ يِقَاتِلُ أَشَدَّ الْقِتَالِ .

قال أبو عمر : وَكَانَ عُمَارُ طَوِيلًا أَشْهَلَ ، بَعِيدَ مَايِنِ الْمُنْكَبِينَ ، قَالَ : وَقَدْ قِيلَ فِي
صِفَتِهِ : كَانَ آدَمَ طَوَالًا مُضْطَرَبًا ، أَشْهَلَ الْعَيْنِينَ ، بَعِيدَ مَايِنِ الْمُنْكَبِينَ ، رَجُلًا
لَا يَغْيَرُ شَيْئًا .

قال : وكان عمار يقول : أنا تراب^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله ، لم يكن أحداً أقرب إليه سناً مني .

قال : وقتل عمار وهو ابن ثلاث وتسعين سنة ، والخبر المرفوع مشهور في حقه : « تقتلك الفئة الباغية » ، وهو من دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه إخبار عن غيب .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في عمار : « ملئ إيماناً إلى مشاشه^(٢) » ، ويروى : « إلى أخمص قدميه » .

وفضائل عمار كثيرة ، وقد تقدم القول في ذكر عمار وأخباره ، وما ورد في حقه .

مرکز تحقیقات کتب ویراث علوم اسلامی

(١) تراب الإنسان : من ولد معه في العام الذي ولد فيه

(٢) المشاشة : الأصل .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله ، وأحسن منه تبه
الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله سبحانه .

الشرح :



قد تقدم شرح مثل هذه الكلمة مراراً .

مرکز تحقیقات اسلامی علوم اسلامی

وقال الشاعر :

ففتت فاعتقت نفسي ولن	أملك ذا نزوة رقبها
ونزعتها عن سؤال الرجا	ل ومنه من لا يرى حقها
وإن القناعة كنز لا يب	إذا ارتفت فتت رقبها
سبمت رزق الشفاء الغراث	وخص البطون الذي شقها ^(١)
فما فارقت مهجة جسها	لعمرك أو وقيت رزقها
مواعيد ربك صدقة	إذا غيرها فقدت صدقها

الأصل :

قال عليه السلام :

ما استودع الله امرأ عقلاً إلا يستنقذه به يوماً ما .

الشرح :

لا بد أن يكون للباري تعالى في إبداع العقل قلب زيد مثلاً غرض ، ولا غرض إلا أن يستدل به على مافيه نجاته وخلاصه ، وذلك هو التكليف ، فإن قصر في النظر وجَّه وأخطأ الصواب فلا بد أن يُنقذه عقله من ورطة من ورطات الدنيا ، وليس يخلو أحدٌ عن ذلك أصلاً ، لأن كل قافل لا بد أن يتخلص من مضرة سبيلها أن تُنال بإعمال فكرته وعقله في الخلاص منها ؛ فالحاصل أن العقل إما أن ينقذ الإقناذ الديني ، وهو الفلاح والنجاح على الحقيقة ، أو يُنقذ من بعض مهالك الدنيا وآفاتهما ، وعلى كل حال فقد صحَّ قولُ أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد رُويت هذه الكلمة مرفوعة ، ورُويت : « إلا استنقذه به يوماً ما » .

وعنه صلى الله عليه وآله : « العقل نورٌ في القلب يُفرَّق به بين الحقِّ والباطل » .
وعن أنسٍ قال : سئل رسولُ الله صلى الله عليه وآله عن الرجل يكون حسنَ العقل كثيرَ الذنوب ، فقال : ما من بشرٍ إلا وله ذنوب وخطايا يُقترِفها ، فمن كانت سجيته العقل ، وغريزته اليقين ، لم تضره ذنوبه ؛ قيل : كيف ذلك يا رسولَ الله ؟ قال :

كلما أخطأ لم يَلْبُثْ أَنْ يَتَذَكَّرَ ذَلِكَ بِتَوْبَةٍ وَندامةٍ على ما فرط منه ، فيسحُو ذُنُوبَهُ ، وَيَبْقَى لَهُ فَضْلٌ يَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ .

[نُكَّتْ فِي مَدْحِ الْعَقْلِ وَمَا قِيلَ فِيهِ]

وقد تقدّم من قولنا في العقل وما ذُكِرَ فيه ما فيه كفاية . ونحن نذكر هاهنا شيئاً آخر :

كان يقال : العاقل يُرَوَّى ثُمَّ يَرَوَى وَيُخْبَرُ ثُمَّ يُخْبِرُ .

وقال عبدُ اللهُ بنُ المعتز : ما أَيْبَنَ وجوهُ الخير والشرِّ في مِرْآةِ العقل !

لقمان : يا بني ، شاورْ مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ فَإِنَّهُ يَعْطِيكَ مِنْ رَأْيِهِ مَقَامَ عَلَيْهِ بِالْفَلَاحِ .

وتأخذه أنتَ بالْحِجَانِ .

مركز تحقيق كامبوتر علوم اسلامی

أردشير بن بابك : أربعة تحتاج إلى أربعة : الحسب إلى الأدب ، والسرور إلى

الأمن ، والقراءة إلى المودة ، والعقل إلى التجربة .

الإسكندر : لا تحتقر الرأيَ الجزيلَ من الحقيق ، فإنَّ الدُّرَّةَ لَا يُسْتَهَانَ بِهَا

لهوان غائصها .

مسلمة بن عبد الملك : ما ابتدأتُ أمراً قطُّ بحزمٍ فرجعتُ على نفسي بلائمةً ، وإن

كانت العاقبة على ، ولا أضمتُ الحزمَ فسررتُ وإن كانت العاقبة لي .

وصف رجلٌ عضدَ الدولة بن بويه ، فقال : لو رأيتَ لرأيتَ رجلاً له وجهٌ فيه

ألفُ عَيْنٍ ، وفمٌ فيه ألفُ لسانٍ ، وصدرٌ فيه ألفُ قلبٍ .

أثنى قومٌ من الصحابة على رجلٍ عند رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة والعبادة

وخصال الخير حتى بالعموا ، فقال صلى الله عليه وآله : كيف عقابه ؟ قالوا : يا رسول الله

تُخْبِرُكَ بِاجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَضُرُوبِ الْخَيْرِ، وَتَسْأَلُ عَنْ عَقْلِهِ ! فَقَالَ : إِنَّ الْأَحَقَّ لِيَصِيبُ بِحُكْمِهِ أَعْظَمُ مِمَّا يَصِيبُهُ الْفَاجِرُ بِفُجُورِهِ ، وَإِنَّمَا تَرْتَفِعُ الْعِبَادَةُ غَدَاً فِي دَرَجَاتِهِمْ ، وَيَنَالُونَ مِنَ الزُّلْفَى مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى قَدَرِ عُقُولِهِمْ .

الرَّيُّنَحَايَ : الْعَقْلُ مَلِكٌ ، وَالْحِصَالُ رَعِيَّتُهُ ، فَإِذَا ضَعُفَ عَنِ الْقِيَامِ عَلَيْهَا ، وَصَلَّ الْأَخْلَافُ إِلَيْهَا . وَسَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : هَذَا كَلَامٌ يَقْطُرُ عَسَلُهُ .

قَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ : مَا رَأَيْتُ قَفَاً رَجُلٌ إِلَّا عَرَفْتُ عَقْلَهُ ؛ قِيلَ : فَإِنْ رَأَيْتَ وَجْهَهُ ؟ قَالَ : ذَا كِتَابٍ يُقْرَأُ .

بَعْضُ الْفَلَّاسِفَةِ : عَقْلُ الْفَرِيزَةِ مُسَلَّمٌ إِلَى عَقْلِ التَّجَرِبَةِ .

بَعْضُهُمْ : كُلُّ شَيْءٍ إِذَا كَثُرَ خُصٌّ إِلَّا الْعَقْلُ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَثُرَ غَلَا .

قَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ عَقِيلاً ﴾ (١) ، أَيُّ مَنْ كَانَ عَاقِلاً .

وَمِنْ كَلَامِهِمْ : الْعَاقِلُ بِخُشُونَةِ الْعَيْشِ مَعَ الْعَقْلَاءِ آتَسُ مِنْهُ بِلَيْنِ الْعَيْشِ مَعَ السُّفَهَاءِ .

أَعْرَابِيٌّ : لَوْ صُوِّرَ الْعَقْلُ أَظْلَمَتْ مَعَهُ الشَّمْسُ ، وَلَوْ صُوِّرَ الْحَقُّ لِأَضَاءَ

مَعَهُ اللَّيْلُ .

قِيلَ لِلْحَكِيمِ : مَتَى عَقَلْتَ ؟ قَالَ : حِينَ وُلِدْتُ ، فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَمَّا أَنَا

فَقَدْ بَكَيْتُ حِينَ جُئْتُ ، وَطَلَبْتُ الْتَذَيَّ حِينَ احْتَجَجْتُ ، وَسَكَتُ حِينَ أُعْطِيتُ ؛

يُرِيدُ أَنْ مَنْ عَرَفَ مَقَادِيرَ حَاجَتِهِ فَهُوَ عَاقِلٌ .

الْمَأْمُونُ : إِذَا أَنْكَرْتَ مِنْ عَقْلِكَ شَيْئاً فَاقْدَسْهُ بِعَاقِلٍ .

بُزُرُجْمَهَرُ : الْعَاقِلُ الْحَازِمُ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ الرَّأْيُ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ أَضَلِّ لَوْلُوَةٍ يَجْمَعُ

مَاحُولَ مَسْقَطِهَا مِنَ التُّرَابِ ، ثُمَّ التَّمَسَّهَا حَتَّى وَجَدَهَا ، وَكَذَلِكَ الْعَاقِلُ يَجْمَعُ وَجُوهَ

الرأى فى الأمر المشكىل، ثم يضرب بعضها فى بعض حتى يستخلص الرأى الأصوب.

كان يقال : هجينٌ عاقلٌ خيرٌ من هيجان جاهل .

كان بعضهم إذا استشير قال لمشاوره : أنظرنى حتى أصقل عقلى بنومة .

إذا نزلت المقادير ، نزلت التدابير . من نظر فى المغاب ، ظفر بالحجاب . من استدت

عزائم اشتدت دعائمه . الرأى السديد ، أجدى من الأيد الشديد .

بعضهم :

وما ألف مطرُور السنان مشدّد يعارض يوم الرّوع رأياً مسدداً

أبو الطيّب :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أولٌ وهى المحلّ الثانى^(١)

فإذا هما اجتماعاً لنفسٍ حرّةً بلغت من العلياء كلّ مكانٍ

ولربّما طعن القسّى أقرانه بالرأى قبل تطاعن الأقران

لولا العقول لكان أدنى ضيّم أدنى إلى شرفٍ من الإنسان

ولما تفاضلت النفوس ودبرت أبدى الكُماة عوالى المزان

ذكر المأمونُ ولده على عليه السلام فقال : خُصّوا بتدبير الآخرة ، وحرّموا

تدبير الدنيا .

كان يقال : إذا كان الهوى مقهوراً تحت يدِ العقل ، والعقل مسلطٌ عليه ، صُرِفَتْ

مساوى صاحبه إلى المحاسن ، فعُدَّت بلادته حلماً ، وحِدَّتْه ذكاً ، وحَدَّرْه بلاغة ، وعِيَهُ

صمتاً ، وجُبِنَه حَدَرًا ، وإسراقه جُودًا .

وذكر هذا الكلام عند بعضهم فقال : هذه خصيصة الخطّ قلها مرتب هذا الكلام إلى العقل .

سمع محمد بن يزيد كاتب المأمون قول الشاعر :
إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإنّ فساد الرأي أن تترددا
فأضاف إليه :

وإن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلاً فإنّ فساد العزم أن يتفكّدا



مركز تحقیقات کتاب و اسناد اسلامی

(٤١٣)

الأصل :

وقال عليه السلام :
مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعهُ .

الشرح :

هذا مثل قوله في موضع آخر : مَنْ أَدَّى صَفْحَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ ، ونحو هذا

قول الطائي :

وَمَنْ قَامَرَ الْأَيَّامَ عَنْ ثَمَرَاتِهَا فَاسْجِرْ بِهَا أَنْ تَنْجِلِي وَلَهَا الْقَمَرُ

مركز تحقيق مكتبة نور علوم إسلامي

(٤١٤)

وقال عليه السلام :
الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ .

* * *

الشَّيْخُ :

هذا مثل قول الشاعر :

تَخَيَّرَنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَانَهُ وَمَا جَنَّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرُّ^(١)

يقول عليه السلام : كما أن الإنسان إذا نظر في المصحف قرأ ما فيه ، كذلك إذا أبصر الإنسان صاحبه فإنه يرى قلبه بوساطة رؤية وجهه ، ثم يعلم ما في قلبه من حُبٍّ وبُغْضٍ وغيرها ، كما يعلم برؤية الخط الذي في المصحف ما بدلت الخط عليه .

وقال الشاعر :

إِنَّ الْعَيُونَ لَتُبْدِي فِي تَقْلِيبِهَا مَا فِي الضَّمَائِرِ مِنْ وَدَعٍ وَمِنْ حَقِيقٍ^(٢)

(١) يقال : نظر إليه شزراً : إذا نظر بمؤخر عينيه . (٢) الحق : البغض .

الأصل :

وقال عليه السلام :
التقى رئيس الأخلاق .

الشرح :

يعنى رئيس الأخلاق الدينية ، لأن الأخلاق الحيدة كالجلود والشجاعة والحلم والعفة وغير ذلك ، لو قدرنا انتفاء التكاليف العقابية والشرعية ، لم يكن التقي رئيساً لها ، وإنما رئاسة التقي لها مع ثبوت التكليف ، لا سيما الشرعى . والتقى فى الشرع هو الورع والخوف من الله ، وإذا حصل حصت الطاعات كلها ، وانتفت القبائح كلها ؛ فصار الإنسان معصوماً ، وتلك طبقة عالية ، وهى أشرف من جميع الطبقات التى يمدح بها الإنسان ، نحو قولنا : جواد أو شجاع أو نحوها ، لأنها طبقة ينقل الإنسان منها إلى الجنة ودار الثواب الدائم ، وهذه مرتبة عظيمة يفضل بها على سائر طبقات الأخلاق .

الأصل :

وقال عليه السلام :

لَا تَجْعَلَنَّ ذَرْبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ ، وَبَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ .

الشرح :

يقول : لا شبهة أن الله تعالى هو الذي أنطقك ، وسدد لفظك ، وعلمك البيان كما قال سبحانه : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ بِعِلْمِهِ الْبَيَانِ ﴾ ^(١) فَيُبَيِّنُ أَنْ يَجْعَلَ الْإِنْسَانُ ذَرْبَ لِسَانِهِ وَفَصَاحَةً مَنْطِقَهُ عَلَى مَنْ أَنْطَقَهُ وَأَقْلَرَهُ عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَيُبَيِّنُ أَنْ يَجْعَلَ الْإِنْسَانُ بَلَاغَةَ قَوْلِهِ عَلَى مَنْ سَدَّدَ قَوْلَهُ ، وَجَعَلَهُ بَلِيفًا حَسَنَ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَعَانِي الَّتِي فِي نَفْسِهِ ، وَهَذَا كَمَنْ يُنْعِمُ عَلَى إِنْسَانٍ بِسَيْفٍ فَإِنَّهُ يَقْبَحُ مِنْهُ أَنْ يَقْتُلَهُ بِذَلِكَ السَّيْفِ ظُلْمًا قَبْعًا زَائِدًا عَلَى مَا لَوْ قَتَلَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ السَّيْفِ ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْمُتَنَبِّيِّ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

وَلَمَّا كَسَا كَعْبًا ثِيَابًا طَفَوُا بِهَا رَمَى كُلُّ ثَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقٍ ^(٢)
وَمَا يُوجِعُ الْحَرَمَانُ مِنْ كَفٍّ حَازِمٍ كَمَا يُوجِعُ الْحَرَمَانُ مِنْ كَفٍّ رَازِقٍ

الاحسن :

وقال عليه السلام :

كَفَّاكَ أَدَبًا لِنَفْسِكَ أَجَنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ .

الشرح :

قد قال عليه السلام هذا اللفظ أو نحوه مرارا ، وقد تكلمنا نحن عليه ، وذكرنا
مظاهر له كثيرة نثرا ونظما .

وكتب بعض الكتاب إلى بعض الملوك في حال اقتضت ذلك :

حَاغَىٰ ذَا افْتِرَاقِنَا بِشَبْدَانٍ^(١) إِذْ كُنَّا وَلَا هَكَذَا عَمِ—دُنَا الْإِخَاءَ
تَضْرِبُ النَّاسَ بِالْمَهْنَةِ الْبَيْضِ عَلَىٰ غُدْرِهِمْ وَتَنْسَى الْوَفَاءَ^(٢)

(١) كفنا في د : وهو الصواب والذي في ابن جرير ، وهو تصحيف .

(٢) المهنة : السيوف .

الأفضل :

وقال عليه السلام يعزّي قوما :
 من صبر صبر الأحرار ، ، وإلا سلا سلو الأغمار .
 وفي خبر آخر أنه عليه السلام قال للأشعث بن قيس معزّيّا عن ابن له :
 إن صبرت صبر الأكارم ، وإلا سلوت سلو البهائم .



الشرح :

أخذ هذا المعنى أبو تمام بل حكاة فقال :

وقال عليّ في التمازي لأشعث
 أنصبر للبلوى عزاء وخسبة
 وخاف عليه بعض تلك المآثم^(١)
 فتوجّر أم تسلو سلو البهائم !

الأفضل :

وقال عليه السلام في صفة الدنيا :

الدُّنْيَا تَفْرُوتُ وَتَضُرُّ وَتَمُوتُ ؛ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَرْضَ أَنْ يُولَإِئِهِ ، وَلَا عِقَابًا لَأَعْدَائِهِ .

الْبُخ :

قد تقدم لنا كلام طويل في ذم الدنيا .
ومن الكلام المستحسن قوله : « تَفْرُوتُ وَتَضُرُّ وَتَمُوتُ » ، والكلمة الثانية أحسن وأجمل .
وقرأت في بعض الآثار أن عيسى عليه السلام مر بقربة وإذا أهلها موتى في الطَّرَقِ والأفنية ، فقال للثلامذة : إن هؤلاء ماتوا عن سخطه ، ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا ، فقالوا : يا سيدنا ، ودِّدنا أنا علمنا خبرهم ، فسأل الله تعالى ، فقال له : إذا كان الليلُ فنادهم يجيئوك ؛ فلما كان الليلُ أشرف على نَشْرِ ثَمِّ ناداهم ، فأجابه مجيب ، فقال : ما حالكم ، وما قصتكم ؟ فقال : بتنا في عافية ، وأصبحنا في الهاوية ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لحبنا الدنيا ، قال : كيف كان حبكم لها ؟ قال : حب الصبي لأمه ، إذا أقبلت فرح بها ، وإذا أدبرت حزن عليها وبكى ، قال : فما بال أصحابك لم يجيئوني ؟ قال : لأنهم ملجئون بلجُم من نارٍ بأيدي ملائكة غلاظٍ شداد ؛ قال : فكيف أجبتني أنت من بينهم ؟ قال : لأنني كنتُ فيهم ، ولم أكن منهم ، فلما نزل بهم العذابُ أصابني معهم ، فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكنكب فيها ؟ فقال المسيح للثلامذة : لا تأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس السُّوح والنوم على المزابيل وسياخ الأرض في حر الصيف ، كثيرٌ مع العافية من عذاب الآخرة .

الأصل :

وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَّكِبٍ ، يَبْنَاهُمْ حُلُولًا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا .

التبنيح :

رُوي : « يَبْنَاهُمْ حُلُولٌ » ، وبيننا هي بين نفسها ، ووزنها « فَعْلٌ » ، أَشْبِهَتْ فَتَحَةَ النُّونِ
فَصَارَتْ أَلْفًا ؛ ثُمَّ قَالُوا : « يَبْنَا » فزادوا « ما » ، والمعنى واحد ، تقول : يَبْنَا نَحْنُ نَفْعَلُ كَذَا
جاء زيد ، أى بين أوقاتِ فَعَلْنَا كَذَا جاء زيدٌ ، والجلُّ قد يضافُ إليها أسماءُ الزمانِ
نحو قولهم : « أَتَيْتُكَ زَمَنَ الْحِجَّاجِ أَمِيرٍ » ، ثُمَّ حَذَفُوا الْمُضَافَ الَّذِي هُوَ أَوْقَاتٌ ، وَوَلَّى
الظَّرْفَ الَّذِي هُوَ بَيْنَ الْجُمْلَةِ الَّتِي أُقِيمَتْ مَقَامَ الْمَحذُوفِ .

وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَخْفِضُ بَعْدَ « يَبْنَا » إِذَا صَلَحَ فِي مَوْضِعِهِ يَبْنَى ، وَيُبَشِّدُ قَوْلَ أَبِي
ذُؤَيْبٍ بِالْكَسْرِ :

يَبْنَا تَمَنُّهُ الْكُفَاةَ وَرَوْغَهُ يَوْمَا أُتِيحَ لَهُ جَرَى سَلَفَعُ

وغيره يرفع ما بعد « يَبْنَا » و « يَبْنَا » على الابتداء والخبر ، فأما إِذْ وَإِذَا فَإِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ
العَرَبِ يَمْنَعُونَ مِنْ تَحْيِيئِهَا بَعْدَ يَبْنَا وَيَبْنَا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجَيِّزُهُ ، وَعَلَيْهِ جَاءَ كَلَامُ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنشَدُوا :

يَبْنَا النَّاسُ عَلَى عَالِيَاهَا إِذْ هَوَّوْا فِي هَوَاةٍ مِنْهَا فَعَارُوا

وقالت الحرقة بنت النعمان بن المنذر :

وَيَتَنَا نَسُوسُ النَّاسِ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سَوْفَةٌ تَنْصَفُ (١)

وقال الشاعر :

اسْتَقْدِرَ اللَّهُ خَيْرًا وَارْضَيْنَ بِهِ فَيُنَا الْعُسْرَ إِذَا دَارَتْ مَيَاسِيرُ

وَيُنَا الْمَرْءَ فِي الْأَحْيَاءِ مُقْتَبِطٌ إِذْ صَارَ فِي اللَّحْدِ تَعْفُوهُ الْأَعْصِيرُ

ومما جاء في وصف الدنيا مما يناسب كلام أمير المؤمنين قول أبي العتاهية :

إِنَّ دَارَنَا نَحْنُ فِيهَا لِدَارُ لَيْسَ فِيهَا لِمَقِيمٍ قَرَارُ

كَمْ وَكَمْ قَدْ حَلَّهَا مِنْ أَنْاسٍ ذَهَبَ اللَّيْلُ بِهِمْ وَالنَّهَارُ

فَهُمُ الرِّكْبُ أَصَابُوا مَنَاخًا فَاسْتَرَا حَوْسًا ثُمَّ سَارُوا

وَكَذَا الدُّنْيَا عَلَى مَارَأَيْنَا يَذْهَبُ النَّاسُ وَتَخْلُو الدِّيَارُ

(١) في الأصل « تنصف » وهو غير مستقيم ، والصواب ما أثبتنا .

الأضل :

وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام :

يَا بُنَيَّ ؛ لَا تُخْلَفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ تُخْلَفُهُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : إِمَّا رَجُلٌ يَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ ؛ فَكُنْتَ عَوْنًا لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ؛ وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ حَقِيقًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ .

وَيُرْوَى هَذَا الْكَلَامُ عَلَى وَجْهِ آخَرَ ، وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِ بَعْدِكَ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : رَجُلٌ عَمِلَ فِيهَا جَمْعَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، أَوْ رَجُلٌ عَمِلَ فِيهَا جَمْعَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ ؛ وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ أَهْلًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ ، أَوْ تُحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ ؛ فَارْجُ لِمَنْ مَغَى رَحْمَةَ اللَّهِ ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللَّهِ تَعَالَى .

البُخ :

رُوي : « فَإِنَّكَ لَا تُخْلَفُهُ إِلَّا لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ » ، وَهَذَا الْفَصْلُ نَهَى عَنْ الْأَذْخَارِ ، وَقَدْ سَبَقَ لَنَا فِيهِ كَلَامٌ مُقْنَعٌ .

وِخْلَاصَةُ هَذَا الْفَصْلِ أَنَّكَ إِنِ خَافْتَ مَا لَا ؛ فَإِمَّا أَنْ تُخَافَهُ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، أَوْ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيهِ بِمَعْصِيَتِهِ ، فَالْأَوَّلُ يَسَعِدُ بِمَا شَقِيتَ بِهِ أَنْتَ ، وَالثَّانِي يَكُونُ مُعَانًا

منك على المصيبة بما تركته له من المال ، وكلا الأمرين مذموم ، وإنما قال له : « فارجُ
لمن مضى رحمة الله ، ولمن بقي رزق الله » ، لأنه قال في أوّل الكلام : « قد كان لهذا المال
أهلٌ قبلك ، وهو صائرٌ إلى أهلٍ بعدك » .

والكلام في ذمّ الادّخار والجمع كثيرٌ ، وللشعراء فيه مذاهبٌ واسعة ومعانٍ حسنة .

وقال بعضهم :

يا جامعاً مانعاً والدهرُ يرمقه	مدبراً أيّ باب عنه يُفاته
وناسياً كيف تأتيه منيته	أغادياً أم بها يسرى فتطرقه
جمعتَ مالاً فقل لي هل جمعت له	يا جامعَ المال أيا ما تُفرقه
المالُ عندك مخزونٌ لو ارثه	ما المالُ مالكٌ إلا يومَ تُنفقه
أزفه بيالٍ فتى يمدو على ثقته	إن الذي قسم الأوزاق يوزقه
فالعرض منه مَصُونٌ لا يُداسه	والوجهُ منه جديدٌ ليس يُخلقه
إنّ القناعة من يحلّ بساحتها	لم يلق في ظلمها همّاً يورقه

الأصل :

وقال عليه السلام لقائل قال بحضرتہ استغفرُ الله : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ! أتَدْرِي
 ما الاستِغْفَارُ ؟ إنَّ للاستِغْفَارَ دَرَجَةً الْعَلِيِّينَ ، وَهُوَ اسْمٌ وَقَعَ عَلَى سِتَّةٍ مَعَانٍ : أَوَّلُهَا
 النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى ، وَالثَّانِي الْعَزَمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَدًا ، وَالثَّالِثُ أَنْ تُؤَدَّى
 إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمْسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ ، وَالرَّابِعُ
 أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَمِيمَتِهَا فَتُؤَدَّى حَقُّهَا ، وَالخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ
 الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذَيِّبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ ، وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا
 لَحْمٌ جَدِيدٌ ، السَّادِسُ أَنْ تُدَبِّقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ ، فَعِنْدَ
 ذَلِكَ تَقُولُ : اسْتَغْفِرُ اللَّهَ .

الشرح :

قد رُوي : « إنَّ الاستِغْفَارَ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ » ، فيكون على تقدير حذف مضاف ، أى أن
 دَرَجَةُ الاستِغْفَارِ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ ، وعلى الرواية الأولى يكون على تقدير حذف مضاف
 أى أن لصاحب الاستِغْفَارِ دَرَجَةُ الْعَلِيِّينَ . وهو هنا جمعٌ على « فَعِيلٍ » كضَائِلٍ وَحَمِيرٍ ،
 تقول : هذا رجلٌ على ؛ أى كثيرُ العلوِّ ، ومنه العُلْيَةُ للفرقة على إحدى اللغتين ، ولا يجوز
 أن يفسر بما فسره الراوندى من قوله : إنه اسمُ السماء السابعة ، ونحو قوله : « هو سِدْرَةُ
 المنتهى » ، ونحو قوله : « هو موضعٌ تحت قائمة العرش المبني » ؛ لأنه لو كان كذلك لكان

علمًا ، فلم تدخله اللام . كما لا يقال : « الجَهَنَّم » ، وكذلك أيضا لا يجوز تفسيره بما فسره
الراوندي أيضا ؛ قال : العليين : جمع على : الأمكنة في السماء ، لأنه لو كان كذلك لم يجمع
بالنون لأنها مختصة بمن يعقل ، وتصلح أن تكون الوجوه الأولى تفسيراً لقوله تعالى :
﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ .

قوله : « نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ » ، أى على الحرام ؛ يقال : سَحَتَ بالتسكين ، وسُحِتَ
بالضَم ، وأسَحَتِ الرُّجُلُ في تجارتِهِ ؛ أى اكتسب السُّحْتِ .



[فصل في الاستغفار والتوبة]

وبينى أن نذكر في هذا الموضوع كلاماً مختصراً مما يقوله أصحابنا في التوبة ؛ فإن
كلام أمير المؤمنين هو الأصل الذي أخذ منه أصحابنا مقالهم ، والذي يقولونه في التوبة ،
فقد أتى على جوامع عليه السلام في هذا الفصل على اختصاره .

قال أصحابنا : الكلام في التوبة يقع من وجوه : منها الكلام في ماهية التوبة
والكلام في إسقاطها الذم والعقاب ، والكلام في أنه يجب علينا فعلها ، والكلام في
شروطها .

أما ماهية التوبة فهي الندم والعزم ، لأن التوبة هي الإنابة والرجوع ، وليس
يمكن أن يرجع الإنسان عما فعله إلا بالندم عليه ، والعزم على ترك معاودته ، وما يتوب
الإنسان منه ؛ إما أن يكون فعلاً قبيحاً ، وإما أن يكون إخلالاً بواجب ، فالتوبة من
الفعل القبيح هي أن يندم عليه ، ويترجم ألا يعود إلى مثله ، وعزمه على ذلك هو
كراهيته لفعله ، والتوبة من الإخلال بالواجب هي أن يندم على إخلاله بالواجب

ويعزم على أداء الواجب فيما بعد .

فأما القول في أن التوبة تُسقط العذاب فمندنا أن العقل يقتضي قبْح العقاب بعد التوبة ،
وخالف أكثر المرجئة في ذلك من الإمامية وغيرهم ؛ واحتج أصحابنا بقبح عقوبة المسيء
إلينا بعد ندمه واعتذاره وتنصله ، والعلم بصدقه والعلم بأنه عازم على ألا يعود .

فأما القول في وجوب التوبة على العصاة ؛ فلا ريب أن الشرع يوجب ذلك ، فأما
العقل فالقول فيه أنه لا يخلو المكلف إما أن يعلم أن معصيته كبيرة ، أو يعلم أنها صغيرة ،
أو يجوز فيها كلا الأمرين ؛ فإن علم كونها كبيرة وجب عليه في العقول التوبة منها ، لأن
التوبة مزيلّة لضرر الكبيرة ، وإزالة المضار واجبة في العقول ، وإن جوز كونها كبيرة
وجوز كونها صغيرة ، لزمه أيضا في العقل التوبة منها ، لأنه يأمن بالتوبة من مضرّة
مخوفة ، وفعل ما يؤمن من المضار المحوفة واجب ، وإن علم أن معصيته صغيرة ؛ وذلك
كعاصي الأنبياء ، وكن عصى ثم علم بإخبار نبي أن معصيته صغيرة محبطة ، فقد
قال الشيخ أبو علي : إن التوبة منها واجبة في العقول ، لأنه إن لم يقب كان مُعِيرًا
والإصرار قبيح .

وقال الشيخ أبو هاشم : لا تجب التوبة منها في العقل بالشرع ، لأن فيها مصلحة
يعلمها الله تعالى ؛ قال : إنه يجوز أن يخلو الإنسان من التوبة عن الذنب ، ومن الإصرار
عليه ، لأن الإصرار عليه هو العزم على معاودة مثله ، والتوبة منه أن يكره معاودة
مثله مع الندم على ما مضى ؛ ويجوز أن يخلو الإنسان من العزم على الشيء ،
ومن كراهته .

ومال شيخنا أبو الحسين رحمه الله إلى وجوب التوبة ها هنا نقلا ، لدليل غير دليل أبي
علي رحمه الله .

فأما القول في صفات التوبة وشروطها فإنها على ضربين :

أحدهما يعم^(١) كل توبة ، والآخر يختلف بحسب اختلاف ما يتاب منه ، فالأول هو الندم والعزم على ترك المعاودة .

وأما الضرب الثاني ؛ فهو أن ما يتوب منه المكلف إما أن يكون فعلاً أو إخلالاً بواجب ؛ فإن كان فعلاً قبيحاً وجب عند الشيخ أبي هاشم رحمه الله أن يندم عليه ، لأنه فعل قبيح ، وأن يكره معاودة مثله لأنه قبيح ، وإن كان إخلالاً بواجب وجب عليه عنده أن يندم عليه ، لأنه إخلال بواجب ، وأن يعزم على فعل مثل ما أخل به لأنه واجب ؛ فإن ندم خوف النار فقط ، أو شوقاً إلى الجنة فقط ، أو لأن القبيح الذي فعله يضر ببدنه كانت توبته صحيحة^(٢) ، وإن ندم على القبيح لقبحه وخوف النار ، وكان لو انفرد قبحه ندم عليه ، فإن توبته تكون صحيحة ، وإن كان لو انفرد القبح لم يندم عليه ؛ فإنه لا تكون توبته صحيحة عنده ، والخلاف فيه مع الشيخ أبي علي وغيره من الشيوخ رحمهم الله ؛ وإنما اختار أبو هاشم هذا القول لأن التوبة تجزئ عن الاعترار بيننا ؛ ومعلوم أن الواحد منا لو أساء إلى غيره ثم ندم على إساءته إليه واعتذر منها خوفاً من معاقبته له عليها ، أو من معاقبة السلطان حتى لو أمن العقوبة ، لما اعتذر ولا ندم ، بل كان بواصل الإساءة ، فإنه لا يسقط ذمّه ، فكذلك التوبة خوفاً من النار لا لقبح الفعل .

وقد نقل قاضي القضاة هذا المذهب عن أمير المؤمنين عليه السلام والحسن البصري وعلي بن موسى الرضا والقاسم بن إبراهيم الزينبي .

قال أصحابنا : وللتوبة شروط أخرى تختلف بحسب اختلاف المعاصي ، وذلك أن

(١) د : « يعم » . (٢) في ب : « توبة كانت صحيحة » .. وموايه من د ، ١

ما يتوب منه المكلف ؛ إما أن يكون فيه لآدمي حقٌ أولاً حقٌ فيه لآدمي ، فما ليس للآدمي فيه حقٌ فنحو ترك الصلاة ، فإنه لا يجب فيه إلا الندم والعزم على ما قدمنا وما لآدمي فيه حقٌ على ضربين : أحدهما أن يكون جنابةً عليه في نفسه أو أعضائه أو ماله أو دينه ، والآخر ألا يكون جنابةً عليه في شيء من ذلك ، فما كان جنابةً عليه في نفسه أو أعضائه أو ماله ، فالواجب فيه الندم والعزم ، وأن يشرع في تسليم بدل ما أتلف ، فإن لم يتمكن من ذلك لفقرٍ أو غيره عزم على ذلك إذا تمكن منه ، فإن مات قبل التمكن لم يكن من أهل العقاب ، وإن جنى عليه في دينه بأن يكون قد أضله بشبهة استزله بها ؛ فالواجب عليه مع الندم والعزم والأجتهاد في حلِّ شبهته من نفسه ، فإن لم يتمكن من الاجتماع به عزم على ذلك إذا تمكن ، فإن مات قبل التمكن ، أو تمكن منه وأجتهد في حلِّ الشبهة فلم تنحل من نفسه ذلك الضال ، فلا عقاب عليه ؛ لأنه قد استفرغ جهده ؛ فإن كانت المعصية غير جنابة نحو أن يفتابه أو يسمع غيبته فإنه يلزمه الندم والعزم ، ولا يلزمه أن يستحله أو يعتذر إليه ، لأنه ليس يلزمه أرش^(١) لمن أغتابه فيستحله ، يسقط عنه الأرش ، ولا غمّة فيزيل غمّة بالأعتذار ، وفي ذكر الغيبة له ليستحله فيزيل غمّة منها إدخال غمّة عليه ، فلم يجز ذلك ، فإن كان قد أسمع المقتاب غيبته فذلك جنابةً عليه ، لأنه قد أوصل إليه مضرّة الغمّة ، فيلزمه إزالة ذلك بالأعتذار .

(٢) الأرض : دية الجراحات ؛ وقيل هو الجراحات نفسها تكون على قدر معلوم .

الأفضل :

وقال عليه السلام : الحلمُ عَشيرةٌ .

الشُّرْحُ :

كان يقال : الحلم جنودٌ مجنّدة لا أرزاق لها .
وقال عليه السلام : وجدتُ الأَحمالَ أنصُرَ لي من الرجال .

مركز تحقيق كتابي نور علوم اسلامی

وقال الشاعر :

وللَّكفِّ عن شتمِّ اللّثيمِ تَكْرُماً أضربْ له من شتمِّه حينَ يشتم
وكان يقال : مَنْ غَرَسَ شجرةَ الحِلْمِ ، اجتنَبَ كَمَرَةً ^(١) السِّلْمِ .
وقد تقدّم من القول في الحِلْمِ ما فيه كفاية .

(٢) في ب « شجرة » وهو تصحيف .

الأصل :

وقال عليه السلام :

مُسْكِينُ ابْنِ آدَمَ ! مَكْتُومُ الْأَجَلِ ، مَكْنُونُ الْعِلَلِ ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ ، تَوَلَّيْتُمُ
الْبَقَّةَ ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةَ ، وَتَذْنِبُهُ الْعَرَقَةُ .



الشرح :

قد تقدم هاهنا خبر المبتدأ عليه ، والتقدير : «ابن آدم مسكين» ، ثم بين مسكنته من
أين هي ؟ فقال : إنها من ستة أوجه : أجله مكتوم لا يدري متى يحترم ، وعمله باطنة
لا يدري بها حتى تهيج عليه ، وعمله محفوظ ؛ (مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة إلا أحصاها) ^(١) ، وقرص البقة يؤلمه ، والشرقة بالماء تقتله ، وإذا
عرق أنتفتحه العرق الواحدة وغيرت ريحه ؛ فمن هو على هذه الصفات فهو مسكين
لا محالة ، لا ينبغي أن يأمن ولا أن يفخر .

الأصل :

وَيُرَوَّى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ إِذْ مَرَّتْ بِهِمْ امْرَأَةٌ بَهِيمَةٌ
فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُجُورِ طَوَامِحُ ، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هَيْبَتِهَا ؛ فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ
إِلَى امْرَأَةٍ أَمْحَجَتْهُ فَلْيُحْلِلْ مِنْ أَهْلِهَا ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَأَمْرَأَتِهِ .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ : قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِرًا ، مَا أَفْقَهُ !

قَالَ : فَوَسَّيْتُ الْقَوْمَ لِيَقْتُلُوهُ ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

رَوَيْدًا ، إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبِّ ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ .

الشرح :

قول : هَبَّ الْفُجُلُ وَالْتَيْسَ يَهَبُ بِالْكَسْرِ هَيْبًا أَوْ هَيْبًا ؛ إِذَا هَاجَ لِلضَّرَابِ
أَوْ لِلسَّفَادِ ، وَالْهَيْبُ أَيْضًا : صَوْتُ ، وَالتَّيْسُ إِذَا هَبَّ فَهُوَ مِنْهَابٌ ؛ وَقَدْ هَبَّهتُهُ ، أَيْ
دَعَوْتُهُ لِيَنْزُوَ ^(١) فَتَهَبُ أَيْ تَزْعَزَعُ .

وَسَأَلَنِي صَدِيقُنَا عَلِيُّ بْنُ الْبَطْرِيقِ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ فَقَالَ : مَا بَالُهُ عَفَا عَنْ الْخَارِجِيِّ
وَقَدْ طَعَنَ فِيهِ بِالْكَفْرِ ، وَأَنْكَرَ عَلَى الْأَشْعَثِ قَوْلَهُ : « هَذِهِ عَلَيْكَ لَا لَكَ » ، فَقَالَ :

(١) تَرَا : وَثَبَ .

ما يُذَرِّبُكَ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ مَا صُلِيَ بِمَا لِي ! حَائِكُ ابْنِ حَائِكُ ، مُنَافِقُ ابْنِ كَافِر ! وَمَا وَاجِبُهُ
بِهِ الْخَارِجِيُّ أَفْطَحَ مِمَّا وَاجِبُهُ الْأَشْعَثُ ! قُلْتُ : لَا أَدْرِي .

قَالَ : لِأَنَّ كُلَّ صَاحِبِ فَضِيلَةٍ يَعْظُمُ عَلَيْهِ أَنْ يُطْعَمَ فِي فَضِيلَتِهِ تِلْكَ ، وَبُذِّعَ عَلَيْهِ
أَنَّهُ فِيهَا نَاقِصٌ ، وَكَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَبْتَغِي الْعِلْمَ ، فَلَمَّا طَعِنَ فِيهِ الْأَشْعَثُ طَعِنَ بِأَنَّكَ
لَا تَدْرِي مَا عَلَيْكَ مِمَّا لَكَ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَأَمْتَعَصَ مِنْهُ ، وَجَبَّهِ وَلَعَنَهُ ؛
وَأَمَّا الْخَارِجِيُّ فَلَمْ يُطْعَمَ فِي عِلْمِهِ ، بَلْ أُثْبِتَ لَهُ ، وَاعْتَرَفَ بِهِ ، وَتَعَجَّبَ مِنْهُ ، فَقَالَ :
« نَأْتَلَهُ اللَّهُ كَافِرًا مَا أَفْقَهَهُ ! » ، فَأَغْتَفَرَ لَهُ لَفْظَةَ « كَافِر » بِمَا أَعْتَرَفَ لَهُ بِهِ مِنْ عُلُوِّ طَبَقَتِهِ
فِي الْفِقْهِ ، وَلَمْ يَخْشُنْ عَلَيْهِ خُسُوفُهُ عَلَى الْأَشْعَثِ ، وَكَانَ قَدْ مَرَّنَ عَلَى سَمَاعِ قَوْلِ الْخَوَارِجِ :
أَنْتَ كَافِرٌ ، وَقَدْ كَفَرْتَ ، يَعْنُونَ التَّحْكِيمَ ، فَلَمْ يَحْفَلِ بِتِلْكَ اللَّفْظَةِ وَنَهَى أَصْحَابَهُ عَنْ قَوْلِهِ
مُحَافَظَةً وَرِعَايَةً لَهُ عَلَى مَا مَدَّجَهُ بِهِ .

مركز تحقیقات کتب و ترمیم علوم اسلامی

الأفضل :

وقال عليه السلام :

كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ ، مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيْبِكَ مِنْ رُشْدِكَ .

الشرح :

يقول عليه السلام : كَفَى الْإِنْسَانُ مِنْ عَقْلِهِ مَا يَفْرِقُ بِهِ بَيْنَ الْغَيْبِ وَالرَّشَادِ ، وَبَيْنَ الْحَقِّ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْبَاطِلِ ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَتِمُّ تَكْلِيفُهُ ، وَلَا حَاجَةَ فِي التَّكْلِيفِ ، وَالْفَرْقِ بَيْنَ الْغَيْبِ وَالرُّشْدِ إِلَى زِيَادَةِ ذَلِكَ نَحْوَ التَّجَارِبِ الَّتِي تَفِيدُهُ الْحَزْمُ التَّامُ ، وَمَعْرِفَةُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ، وَأَيْضًا لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مِنَ الْغَيْبِ الثَّاقِبَةِ وَالذِّكَاةِ التَّامِ مَا يَسْتَنْبِطُ بِهِ دَقَائِقَ الْكَلَامِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْعُلُومِ الْغَامِضَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فَضْلٌ مُسْتَفْتًى عَنْهُ ، فَإِنْ حُصِّلَ لِلْإِنْسَانِ فَقَدْ كَمُلَ ، وَإِنْ لَمْ يُحْصَلْ لِلْإِنْسَانِ فَقَدْ كَفَاهُ فِي تَكْلِيفِهِ وَنَجَاتِهِ مِنْ مَعَاطِبِ الْعِصْيَانِ مَا يَفْرِقُ بِهِ بَيْنَ الْغَيْبِ وَالرَّشَادِ ، وَهُوَ حَصُولُ الْعُلُومِ الْبَدِيعِيَّةِ فِي الْقَلْبِ ، وَمَا جَرَى تَجَرُّعُهَا مِنْ عُلُومِ الْعَادَاتِ ، وَمَا يَذْكُرُهُ أَصْحَابُنَا فِي بَابِ التَّكْلِيفِ .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

افْتَلُوا الْخَيْرَ ، وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئًا ، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ ، وَقَلِيلُهُ كَثِيرٌ
وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي ، فَيَكُونَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ .



الْبَيْزُج :

القليل من الخير خير من عدم الخير أصلاً .

قال عليه السلام : لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ فُلَانًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي ؛ فَيَكُونَ وَاللَّهِ
كَذَلِكَ ، مِثْلَهُ قَوْمُ مُوسَى فِي مَحَلَّةٍ وَاحِدَةٍ ، قَصَدَ وَاحِدًا مِنْهُمْ سَائِلٌ فَرَدَّهُ ، وَقَالَ لَهُ :
اذهبْ إِلَى فُلَانٍ ، فَهُوَ أَوْلَى بِأَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيْكَ مِنِّي ، فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ تُقَالُ دَائِمًا . نَهَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهَا وَقَالَ : فَيَكُونَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ ، أَيْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوَفِّقُ ذَلِكَ
الشَّخْصَ الَّذِي أُحِيلَ ذَلِكَ السَّائِلُ عَلَيْهِ ، وَيُيَسِّرُ الصَّدَقَةَ عَلَيْهِ ، وَيُقَوِّمُ دَوَاعِيَهُ إِلَيْهَا ، فَيَفْعَلَهَا
فَتَكُونَ كَلِمَةً ذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْأَوَّلُ قَدْ صَادَفَتْ قَدْرًا وَقَضَاءً ، وَوَقَعَ الْأَمْرُ بِمَوْجِبِهَا .

الأصل :

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَاللِّشْرِ أَهْلًا ، فَمَهْمَا تَرَ كُتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَا كُتُمُوهُ أَهْلُهُ .

الشرح :

يقول عليه السلام : إِنْ عَنَّ لَكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ وَتَرَكَتَهُ ، فَسَوْفَ يَكْفِيكَ
بَعْضُ النَّاسِ مِمَّنْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلًا لِلْخَيْرِ وَإِسْدَاءَ الْمَعْرُوفِ إِلَى النَّاسِ ، وَإِنْ عَنَّ لَكَ
بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الشَّرِّ فَتَرَكَتَهُ ، فَسَوْفَ يَكْفِيكَ بَعْضُ النَّاسِ مِمَّنْ جَعَلَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَسُوءُ
اخْتِيَارِهِمْ أَهْلًا لِلشَّرِّ وَأَذَى النَّاسِ ؛ فَأَحْذَرْ لِنَفْسِكَ أَيْمًا أَحَبَّ إِلَيْكَ ، أَنْ تَحْظِيَ بِالْمُحْتَمَةِ
وَالثَّوَابِ ، وَتَفْعَلَ مَا إِنْ تَرَكَتَهُ فَعَلَهُ غَيْرُكَ وَحَظِيَ بِحَمْدِهِ وَثَوَابِهِ ، أَوْ أَنْ تَتْرُكَهَ ، وَأَيْمًا
أَحَبَّ إِلَيْكَ ، أَنْ تَشْقَى بِالذَّمِّ عَاجِلًا ، وَالْعِقَابِ آجِلًا ، وَتَفْعَلَ مَا إِنْ تَرَكَتَهُ كَفَاكَ غَيْرُكَ ،
وَبَلَغْتَ غَرَضَكَ مِنْهُ عَلَى يَدِ غَيْرِكَ ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَ ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْعَاقِلَ يَخْتَارُ فِعْلَ الْخَيْرِ
وَيَتْرَكُ الشَّرَّ إِذَا أَفْكَرَ حَقَّ الْفِكْرِ فِيمَا قَدْ أَوْضَحْنَاهُ ^(١) .

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ ، أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ ، أَحْسَنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .



الشرح :

لا ريب أن الأعمال الظاهرة تتبع للأعمال الباطنة ، فمن صلح باطنه صلح ظاهره وبالعكس ، وذلك لأن القلب أمير مسيطر على الجوارح ، والرعية تتبع أميرها ولا ريب أن من عمل لدينه كفاه الله أمر دُنْيَاهُ ، وقد شهد بذلك الكتاب العزيز في قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (١) .

ولهذا أيضا علة ظاهرة ؛ وذلك أن من عمل لله سبحانه وللدين فإنه لا يخفى حاله في أكثر الأمر عن الناس ، ولا شبهة أن الناس إذا حسنت عقيدتهم في إيمان وعلموا متانة دينه بؤبؤوا له إلى الدنيا أبوابا لا يحتاج أن يتكلفها ، ولا يتعب فيها ، فيأتيه رزقه من غير كلفة ولا كدر ؛ ولا ريب أن من أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس ، وذلك لأن القلوب بالضرورة تميل إليه وتحنه ، وذلك لأنه إذا كان محسنا بينه وبين الناس عفا عن أموال الناس وديارهم وأعراضهم ، وترك الدخول فيما لا يعنيه ، ولا شبهة أن من كان بهذه الصفة فإنه يحسن ما بينه وبين الناس .

(٤٣٠)

الأصل :

وقال عليه السلام :

أَلِئِمَّ غِطَاءُ سَاتِرٍ ، وَالْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ ، فَاسْتَرْخَلَّ خَلْقُكَ بِحِلْمِكَ ، وَقَاتِلَ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ .



الشرح :

لما جعل الله أَلِئِمَّ غِطَاءُ ، وَالْعَقْلُ حُسَامًا ، أَمَرَ أَنْ يَسْتَرْخَلَّ خَلْقُهُ بِذَلِكَ الْغِطَاءِ ، وَأَنْ يُقَاتِلَ هَوَاهُ بِذَلِكَ الْحُسَامِ ، وَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي الْحِلْمِ وَالْعَقْلِ .

الأصل :

وقال عليه السلام :

إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا يَخْتَصِمُهُمُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ ، فَيَقْرُئُهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَدَّلُوهَا فَإِذَا
سَمِعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ، ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ .



الشرح :

قد ذكرنا هذا المعنى فيما تقدم ، وقد قالت الشراة فيه فأكثرُوا ، وقريبٌ من ذلك
قول الشاعر :

وبالناس عاش الناس قَدَمًا ولم يزل
وأشدَّ تصريحًا بالمعنى قول الشاعر :

يُعْطِيكَ اللَّهُ مَا أُعْطَاكَ مِنْ نِعْمٍ
فَإِنْ مَنَعَتْ فَأَخْلَقْ أَنْ تُصَادِفَهَا
إِلَّا لتوسّع من برّجوك إحسانًا
تطير عنك زرافاتٍ ووخداتًا

الأصل :

وقال عليه السلام :

لَا يَذْبَحِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ : الْعَافِيَةِ وَالْغِنَى ، بَيْنَمَا تَرَاهُ مُعَافًى إِذَا سَقِمَ
وَبَيْنَمَا تَرَاهُ غَنِيًّا إِذَا افْتَقَرَ .



الشيخ :

قد تقدم القول في هذا المعنى . مركز تحقيقات كتابية بر علوم اسلامی

وقال الشاعر :

وبينا المرة في الأحياء مُغْتَبِطٌ إِذَا صَارَ فِي اللَّحْدِ تَسْفِيهِ الْأَعْصِرُ

وقال آخر :

لَا يَفْرُتُكَ عِشَاءً مَا كُنْ قَدْ يُوَافِي بِاللَّيْلِ السَّعَرُ

وقال عبيد الله بن طاهر :

وَإِذَا مَا أَمَارَكَ الدَّهْرُ شَيْئًا فَهُوَ لَا يَدَّ أَخِيذًا مَا أَمَارَا

آخر :

يَفْرُ الْقَتَى مَرُّ اللَّيْلِ سَلِيمٌ وَهُنَّ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ عَوَائِرُ

وقال آخر :

وَرُبَّ غَنَى عَظِيمٍ التَّاءِ أَمْسَى مُقْلًا عَدِيمًا قَسِيرًا

وَكَمْ بَاتٍ مِنْ مُتَرَفٍ فِي الْقُصُورِ فَعَوَّضَ فِي الصَّبْحِ عَنْهَا الْقُبُورَا

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْ شَكَاهُ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا شَكَاهُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ شَكَاهُ إِلَى
كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَاهُ إِلَى اللَّهِ .



الْبَيِّن :

قد تقدّم القولُ في شكوى الحال وكرهيتها ، وكلامُ أمير المؤمنين عليه السلام
يدلُّ على أنه لا يكره شكوى الحال إلى المؤمن ، ويكرهها إلى غير المؤمن ، وهذا
مذهب ديني غير المذهب العرفي .

وأكثر مذاهبه ومقاصده عليه السلام في كلامه ينحرف فيها نحو الدين والورع والإسلام
وكأنه يجعل الشكوى إلى المؤمن كالشكوى إلى الخالق سبحانه ، لأنه لا يشكو إلى المؤمن
إلا وقد خلت شكواه من التسخُّط والتأفف ، ولا يشكو إلى الكافر إلا وقد شاب
شكواه بالاستزادة والتضجر ، فافترقت الحال في الموضعين .

فأما المذهب المشهور في العرف والعادة فاستهجانُ الشكوى على الإطلاق
لأنها دليل على ضعف النفس وخذلانها ، وقلة الصبر على حوادث الدهر ، وذلك
عندهم غير محمود .

الأصل :

وقال عليه السلام في بعض الأعياد :
 وإِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِّمَنْ قَبِلَ اللَّهَ صِيَامَهُ ، وَشَكَرَ قِيَامَهُ ، وَكُلَّ يَوْمٍ لَا تَمْنَعِي اللَّهَ
 فِيهِ فَهُوَ يَوْمٌ عِيدٌ .



الشرح :

المعنى ظاهرٌ ، وقد نقله بعضُ المحدثين إلى الغزل فقال :
 قالوا أُنِّي العِيدُ قلتُ أهلاً إنَّ جاء بالوصل فهو عِيدُ
 من ظفرتُ بالمتى يداهُ فكلَّ أيامه شعورُ
 ورأيتُ بعضَ الصوفيَّة وقد سمع هذين البيتين من مُغنٍ حاذقٍ ، فطرب وصنق
 وأخذها المعنى عنده .

وقد قال بعضُ المحدثين في هذا المعنى أيضاً .

قالوا أُنِّي العِيدُ والأيامُ مشرقةٌ وأنتَ بكِ وكلُّ امرئٍ مرزورُ
 قلتُ إنَّ واصلَ الأحبابِ كان لنا عيداً وإلا فهذا اليومُ عاشورُ

الأصل :

وقال عليه السلام :

إِنَّ أَكْثَرَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ
 اللَّهِ فَوَرَّثَهُ رَجُلًا فَانْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ ، وَدَخَلَ الْأَوَّلُ
 فِي النَّارِ .



الشرح : مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

كان يقال لعمر بن عبد العزيز بن مروان : السعيد ابن الشقي ، وذلك أن عبد العزيز
 ابن مروان ملك ضياعا كثيرة بمصر والشام والعراق والمدينة من غير طاعة الله ، بل بسلطان
 أخيه عبد الملك ، وبولاية عبد العزيز نفسه مصر وغيرها ، ثم تركها لابنه عمر ، فكان ينفقها
 في طاعة الله سبحانه وفي وجوه البر والقربات ، إلى أن أفضت الخلافة إليه ، فلما أفضت
 إليه أخرج سجلات عبد الملك بها لعبد العزيز فزقها بمحض من الناس ، وقال : هذه
 كتبت من غير أصل شرعي ، وقد أعدتها إلى بيت المال .

الأصل :

وقال عليه السلام :

إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفَقَةً ، وَأَخْيَبَهُمْ سَعْيًا ، رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ
مَالِهِ ^(١) ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَحْشَرَتِهِ ، وَقَدِمَ عَلَى
الْآخِرَةِ بِتَقِيعَتِهِ .



مركز تحقيقات کتب پیر علوم اسلامی

الشرح :

هذه صورة أ كثر الناس ، وذلك لأن أ كثرهم يكذب بدنه ونفسه في بلوغ الآمال
الدنيوية ، والقليل منهم من تساعده المقادير على إرادته ، وإن ساعدته على شيء منها بقي
في نفسه ما لا يئلفه ، كما قيل :

نَروُحٌ وَنَفْسُودٌ لِحَاجَتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عِلَشٍ لَا تَنْقِضِي

تَمُوتُ مَعَ الْمَرءِ حَاجَتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ

فأكثرهم إذن يخرج من الدنيا بمحشرته ، ويخدم على الآخرة بقيعته ، لأن تلك
الآمال التي كانت الحركة والسعي فيها ليست متعلقة بأمور الدين والآخرة ، لا جرم
أنها تبعات وعقوبات ، ونسأل الله عفوّه .

(١) في د « د آله » ، وهو مستقيم أيضاً

الأصل :

وقال عليه السلام :

الرِّزْقُ رِزْقَانِ : طَالِبٌ وَمَطْلُوبٌ ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا ، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفَى مِنْهَا رِزْقَهُ^(١) .



الشرح :

هذا تحريض على طلب الآخرة ، ووعد لمن طلبها بأنه سيكفي طلب الدنيا ، وإن الدنيا ستطلبه حتى يستوفي رزقه منها .

وقد قيل : مثل الدنيا مثل ظلك ، كلما طلبته بمد عنك ، فإن أدبرت عنه تبعك .

الأصل :

وقال عليه السلام :

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا
وَأَشْتَقَلُّوا بِآجِلِهَا إِذَا أَشْتَقَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا ، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا أَحْصَوْا أَنْ يُمَيِّتَهُمْ
وَتَرَكَوْا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتَرُكُهُمْ ، وَرَأَوْا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالًا ، وَدَرَكَهُمْ
لَهَا قَوَاتًا ، أَعْدَاهُ لِمَا سَلَّمَ النَّاسُ ، وَسَلَّمُوا لِمَنْ عَادَى النَّاسُ ، بِهِمْ عِلْمُ الْكِتَابِ ، وَبِهِ
عِلْمُوَا ، وَبِهِمْ قَامَ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبِهِ قَامُوا ، لَا يَرَوْنَ مَرَجُوءًا فَوْقَ مَا يَرَجُونَ ،
وَلَا يَخُوفُونَ فَوْقَ مَا يَخَافُونَ .

الشرح :

هذا يصلح أن يجعله الإمامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذهبهم ، لقوله : فوق
ما يَرَجُونَ ، بهم عِلْمُ الْكِتَابِ ، وبه عِلْمُوا ؛ وَأَمَّا نحن فنجعله شرح حال العلماء العارفين
وهم أولياء الله الذين ذكروهم عليه السلام لما نظر الناس إلى ظاهر الدنيا وزُخْرُفِهَا من
المنالك والملايس والشهوات الحسية ، نظروا هُمُ إلى باطن الدنيا ، فاشتغلوا بالعلوم
والمعارف والعبادة والزهد في اللذات الجثمانية ، فَأَمَاتُوا من شهواتهم وقواهم المذمومة
كقوة الغضب وقوة الحسد ما خافوا أن يميتهم ، وَتَرَكَوْا من الدنيا اقتناء الأموال
لعلهم أنها ستتركهم ، وأنه لا يمكن دوام الصُحبة معها ، فكان استكثار الناس من
تلك الصفات استقلالاً عندهم ، وبلوغ الناس لها قوتاً أيضاً عندهم ، فهم خصم لما سألته الناس

مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَسَلَّمَ لِمَا عَادَاهُ النَّاسُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْعِبَادَاتِ ، وَبِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ ، لِأَنَّهُ لَوْلَاهُمْ لِمَا عُرِفَ تَأْوِيلُ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ ، وَلِأَخْذِهَا النَّاسُ عَلَى ظَوَاهِرِهَا فَضَلُّوا وَبِالْكِتَابِ عُلِمُوا ، لِأَنَّ الْكِتَابَ دَلٌّ عَلَيْهِمْ ، وَنَبَّهَ النَّاسَ عَلَى مَوَاضِعِهِمْ ، نَحْوُ قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ^(٣) .

ونحو ذلك من الآيات التي تنادى عليهم ، وَتَخَطَّبُ بِفَضْلِهِمْ ، وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ لِأَنَّهُمْ قَرَّرُوا الْبَرَاهِينَ عَلَى صِدْقِهِ وَصَحَّةِ وَرُودِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَوْلَاهُمْ لَمْ يَقُمْ عَلَى ذَلِكَ دَلَالَةُ الْعُلَمَاءِ ، وَبِالْكِتَابِ قَامُوا ، أَيْ بِاتِّبَاعِ أَوَامِرِ الْكِتَابِ وَأَدَابِهِ قَامُوا ، لِأَنَّهُ لَوْلَا تَأْذِيبُهُمْ بِآدَابِ الْقُرْآنِ ، وَامْتِثَالِهِمْ بِأَوَامِرِهِ ؛ لَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ عِلْمُهُمْ شَيْئًا ، بَلْ كَانَ وَبِأَلِّهِ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ مَرَجُوءًا فَوْقَ مَا يَرَجُونَ ، وَلَا يَخُوفًا فَوْقَ مَا يَخَافُونَ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُونَ كَذَلِكَ وَمَرَجُوءُهُمْ بِجَاوِرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي حِطَائِرِ قُدْسِهِ ، وَهَلْ فَوْقَ هَذَا مَرَجُوءٌ لِرَاجٍ ، وَخَوْفُهُمْ سَخَطَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَإِبْعَادُهُمْ عَنْ جَنَابِهِ ، وَهَلْ فَوْقَ هَذَا خَوْفٌ خِلَافٌ .

الأصل :

وقال عليه السلام :

أَذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذَاتِ ، وَبَقَاءَ التَّوْبَاتِ .

الشرح :



قد تقدّم القولُ في نحو هذا مراراً ؛ وقال الشاعر :

تفنى اللذائذُ من نال بغيره ~~من الحرام~~ ، ويبقى الإثمُ والعارُ

تبسّقى عواقبُ سوءٍ في مغبّتها لا خير في لذةٍ من بعدها النارُ

ورأودَ رجل امرأة عن نفسها ، فقالت له : إن امرأً يبيع جنّةً عرضها السموات

والأرض بمقدار أصبعين لجاهلٍ بالمساحة ؛ فاستحيا ورجع .

الأصل :

وقال عليه السلام : أَخْبِرْ تَقَلَّه .

وقال الرضى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : ومنَ النَّاسِ مَنْ يَرُوى هَذَا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمِمَّا يُقَوِّى أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا حَكَاهُ ثَعْلَبُ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : قَالَ الْمَأْمُونُ : لَوْلَا أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : أَخْبِرْ تَقَلَّه لَقُلْتُ أَنَا أَقَلُّهُ تَخْبِرُ .



مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

الشرح :

المعنى اخبر الناس وجرّبهم تبغيضهم ، فإن التجربة تكشف لك عن مساوئهم وسوء أخلاقهم ، فضرِبْ مَثَلًا لِمَنْ يُظَنُّ بِهِ الْخَيْرُ وَلَيْسَ هُنَاكَ ، فَأَمَّا قَوْلُ الْمَأْمُونِ : لَوْلَا أَنَّ عَلِيًّا قَالَهُ لَقُلْتُ : أَقَلُّهُ تَخْبِرُ ، فليس المراد حقيقة القلى ، وهو البُغْضُ بل المراد الهجر والقطيعة ، يقول : قاطع أخاك مجرباً له هل يبقى على عهدك أم ينقضه ويحوّله عنك .

ومن كلام عتبة بن أبي سفيان . طيروا الدّم في وجوه الشباب ، فإن حَلَمُوا وَأَحْسَنُوا الجواب فهم هم ، وإلا فلا تَطْمَعُوا فيهم ، يقول : أغضبهم لأن الغضب يَحْمَرُّ وجهه ، فإن ثبتوا لذلك الكلام المُغْضِبِ وحَلَمُوا وأجابوا جوابَ الخليم العاقل ، فهم ممن يُعَقَّدُ عليه الْخِنَاصِرُ وَيُرْجَى فلاحه ، وإن سَفِهُوا وشتموا ولم يثبتوا لذلك الكلام فلا رجاء لفلاحهم . ومن المعنى الأول قولُ أبي العلاء :

جَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ لِيَ التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِئٍ غَرَضًا^(١)
وقال آخر :

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ التَّجَارِبَ عُدَّةٌ نَحَاتَتْ رِثْقَاتُ النَّاسِ حَتَّى التَّجَارِبُ
وقال عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب :

رَأَيْتُ فُضَيْلًا كَانَ شَيْئًا مَلْفَفًا فَأَبْرَزَهُ التَّمْحِيصُ حَتَّى بَدَأَ الْيَأْسَ^(٢)
آخر :

عَتَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا فَهَدْتُهُ وَجَرَبْتُ أَقْوَامًا رَجَعْتُ إِلَى سَلَمٍ
مثله :

ذَمَمْتُكَ أَوَّلًا حَتَّى إِذَا مَا بَلَوتُ سِوَاكَ عَادَ الذَّمُّ حَتَّى
وَلَمْ أَتَّخِذْكَ مِنْ خَيْرٍ وَلَكِنْ وَجَدْتُ سِوَاكَ شَرًّا مِنْكَ جِدًّا
فَعُدْتُ إِلَيْكَ مُضْطَرًّا ذَلِيلًا لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ مِنْ ذَاكَ بُدًّا
كَجُهْدٍ تَحَامَى أَمَّا كُلُّ مَيْتٍ فَلَمَّا اضْطُرَّ عَادَ إِلَيْهِ شَدًّا
الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ غَرَضُنَا مِنَ الْآيَاتِ هُوَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ ، وَذَكَرْنَا سَائِرَهَا لِحُسْنِهَا .

(١) سقط الزند ٦٥٦

(٢) الأغاني ١٢ : ٢١٤ ، وروايته « رأيت قصيا » .

(٦ - نهج - ٢٠)

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيُفْتَحَ عَلَى عَبْدِهِ بَابُ الشُّكْرِ وَيُغْلَقَ عَنْهُ يَابُ الزُّيَادَةِ ، وَلَا
لِيُفْتَحَ عَلَى عَبْدِهِ بَابُ الدُّعَاءِ وَيُغْلَقَ عَنْهُ يَابُ الْإِجَابَةِ ، وَلَا لِيُنْزَحَ عَلَيْهِ بَابُ التَّوْبَةِ ،
وَيُغْلَقَ عَنْهُ بَابُ الْمَغْفِرَةِ .



مركز تحقيقات كتابية وعلوم اسلامی

الشرح :

قد تقدم القول في الشكر واقتضائه الزيادة [و] ^(١) اقتضاء الدعاء الإجابة ؛ والتوبة ؛
المغفرة ؛ على وجه الاستقصاء في الجميع .

الأصل :

وقال عليه السلام :

أَوْلَى النَّاسِ بِالْكَرَمِ مَنْ عَرَّقَتْ فِيهِ الْكَرَامُ .

الْبَيِّنُ :

أَعَرَّقَتْ وَعَرَّقَتْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَى ، أَيْ ضَرَبَتْ عُرُوقَهُ فِي الْكَرَمِ ، أَيْ لَهُ سَلَفٌ وَأَبَاءٌ كَرَامٌ . وَقَالَ الْمُبَرَّدُ : أَنْشَدَنِي أَبُو بَحْلَمٍ السَّعْدِيُّ :

إِنَّا سَأَلْنَا قَوْمَنَا نَحْيَسَارُهُمْ
أَعْطَى الَّذِي أَعْطَى أَبُوهُ قَبْلَهُ
مَنْ كَانَ أَفْضَلُهُمْ أَبُوهُ الْأَفْضَلُ^(١)
وَبَدَّلَتْ أَبْنَاءُ مَنْ يَدْخُلُ
قَالَ : وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا فِي الْمَعْنَى :

لَطَلْحَةَ بْنِ خُثَيْمٍ حِينَ تَسَالَهُ
وَيْتُ طَلْحَةَ فِي عَزٍّ وَمَكْرُمَةٍ
أَلَا فِتَى مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ يَحْمِلُنِي
فَقُلْتُ طَلْحَةُ أَوْلَى مِنْ عَمَدَتُ لَهُ
أَنْدَى وَأَكْرَمُ مِنْ فَيْدِ بْنِ هَطَّالٍ^(٢)
وَيْتُ فَيْدٍ إِلَى رَبِّي وَأَحْمَالٍ^(٣)
وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي إِلَّا ابْنُ حَمَّالٍ^(٤)
وَجِئْتُ أَمْشِي إِلَيْهِ مَشْيَ مُخْتَالٍ
مُسْتَقِينًا أَنْ حَبْلِي سَوْفَ يُعْلِقُهُ
فِي رَأْسِ ذَبَالَةٍ أَوْ رَأْسِ ذَبَالٍ^(٥)

(١) الكامل ١ : ٣٦٣ ، وروايته : « أبوه الأول » .

(٢) الكامل ١ : ٣٦٣ ، وروايته : « لطلحة بن حبيب » .

(٣) ربيق : جبل فيه عدة عرا ، نشد به إليهم . وأحمال : جمع حمل ، بالتحريك ؛ وهو الحروف .

(٤) قال أبو العباس : « يعني ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر » .

(٥) قوله : « في رأس ذبالة أو رأس ذبال » ، يعني فرسا أبيض أو حصانا . والذبان : الطويل الذنب .

وقال آخر :

عندَ الملوك مَضْرَبَةٌ وَمَنْسَافَةٌ وأرى البرامِكَ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
إنَّ العُرُوقَ إِذَا اسْتَسْرَ بها التَّرى أترى النَّبَاتُ بها وطابَ المَزْرَعُ
وإذا جهلتَ من امرى أعرافه وقسديمه فانظار إلى ما يصنمُ

وقال آخر :

إنَّ السَّرىَّ إِذَا سرى فينفسه وابنُ السَّرىَّ إِذَا سرى أسراهما
وقال البحتري :

وأرى النجاة لا يكون تمامها لتجيب قوم ليس بابن نجيب^(١)



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد اسلامی

الأصل

وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيُّمَا أَفْضَلُ ؟ الْعَدْلُ أَوْ الْجُودُ ؟ فَقَالَ :
 الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا ، وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا ، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ
 عَامٌّ ؛ وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا .



الشرح :

هذا كلامٌ شريفٌ جليلٌ القدرُ ؛ فَضِّلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَدْلَ بِأَمْرَيْنِ :
 أحدهما أن العدل وضعُ الأمور مواضعها ، وهكذا العدالة في الاصطلاح الحكمي ،
 لأنها المرتبة المتوسطة بين طرفي الإفراط والتفريط ، والجود يُخْرِجُ الأمر عن
 موضعه ، والمراد بالْجُود هاهنا هو الجود العرفي ، وهو بذلُ المُفْتَئِنَاتِ للغير ، لا الجود
 الحقيقي ، لأنَّ الجود الحقيقي ليس يُخْرِجُ الأمر عن جِهَتِهِ ، نحو جود الباري تعالى .
 والوجه الثاني : أن العدل سائِسٌ عامٌّ في جميع الأمور الدنيوية والدنيوية ، وبه نظام العالم
 وقوام الوجود ؛ وأما الجود فامرٌ عَارِضٌ خاصٌّ ، ليس عموم نفعه كعموم نفع العدل .

الأفضل :

وقال عليه السلام :
النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا .

الشرح :

هذه من أفاضله الشريفة التي لا نظير لها ، وقد تقدّم ذكرها وذكر ما يناسبها .
وكان يقال : مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادِيَ .
وقال الشاعر :

جهلتَ أمراً فأبديتَ النكيرَ له والجاهلون لأهلِ العلمِ أعداءُ
وقيل لأفلاطون : لِمَ يُبْغِضُ الجاهلُ العالمَ ، ولا يُبْغِضُ العالمُ الجاهلُ ؟ فقال : لأنَّ
الجاهلَ يَستشعرُ النقصَ في نفسه ، ويظنُّ أنَّ العالمَ يَحْتَقِرُه ، ويزدريه فيُبغِضُه ، والعالمُ
لا نقصُ عنده ولا يظنُّ أنَّ الجاهلَ يَحْتَقِرُه ، فإيسَ عنده سببٌ لبُغضِ الجاهلِ .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

الرُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ ^(١) ، وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الرُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ .



البنج :

مركز تحقيقات کامیوتر علوم اسلامی

قد تقدم القول في هذين المعنيين بما فيه كفاية .

الأصل :

وقال عليه السلام :

أولاً بات مضافاً أمير الرجال .

الشرح :

أى تعرف الرجال بها كما تعرف الخيل بالمضمار ، وهو الموضع أو المدة التى تضر فيها الخيل ، فمن الولاية من يظهر منه أخلاق حميدة ، ومنهم من يظهر منه أخلاق ذميمة .
وقال الشاعر :

سكرات خمس إذا مفي المر بهما صار عرضة للزمان
سكرة المال والحدائث والمث في وسكر الشراب والسلطان

وقال آخر :

يابن وهب والمرء في دولة السا طان أعمى مادام يدعى أميراً
فإذا زالت الولاية عنه واستوى بالرجال عاد بصيراً

وقال البحتري :

وتاه سعيد أن أمير رئاسة وقلد أمراً كان دون رجاله
وضاق على حتى يعقب اتساعه فأوسقته عذراً لضيق أحماله
فأدبر عني عند إقبال خطه وغير حالي عنسده حسن حاله
فليت أبا عثمان أمسك يمينه كما مسكه عند الحقوق بماله

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ !

الشرح :

هذه الكلمة قد سبقت ، وتكلمنا عليها ، وما أحسن قول المَعْرِي :

مَا قَضَى الْحَاجَاتِ إِلَّا شَيْئًا نَوْمُهُ فَوْقَ فِرَاشٍ مِنْ نَمَالٍ^(١)

وقال الرضی رحمه الله :

عَایَهَا أَخَامِصُ مِثْسَلُ الصَّقُورِ طَوَالَ الرَّجَاءِ جِسَامُ الْأَرْبِ

وَكُلَّ فَنَى حَظُّ أَجْفَانِهِ مِنَ النَّوْمِ مَضْمُضَةٌ يُسْتَلَبُ^(٢)

فَبَيْنَا يُقَالُ كَرَى جَفْنُهُ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ إِذْ قِيسَلُ هَبْ

(٢) يقال : مضض العين في عينه ، إذا دب.

(١) الشمل : السريح

الأفضل :

وقال عليه السلام :

لَيْسَ بِلَدٍّ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ ؛ خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ .

الشيخ :

هذا المعنى قد قيل كثيرا ، ومن ذلك قول الشاعر :

لا يَصْدِقُنكَ عَنْ أَمْرٍ تُحَاوِلُهُ ^(١) فِرَاقُ أَهْلِ وَأَحْبَابٍ وَجِيرَانٍ ^(٢)
 تَأْتِي بِكُلِّ دِيَارٍ مَا حَلَّتْ بِهَا ^(٣) أَهْلًا بِأَهْلٍ وَأَوْطَانًا بِأَوْطَانٍ

وقال شيخنا أبو جعفر يحيى بن أبي زيد نقيب البصرة :

أَنْسَيْتَنِي بِلَدِّي وَأَرْضَ عَشِيرَتِي وَنَزَلْتُ مِنْ نِعْمَاكَ أَكْرَمَ مَنَزِلٍ
 وَأَخَذْتُ فِيكَ مَدَامِحِي فَكَأَنِّي فِي آلِ شَمَّاسٍ مَدَامِحُ جَرَوَلٍ
 أَبُو عُبَادَةَ الْبُعْثَرِيُّ :

فِي نِعْمَةٍ أَوْطَنْتَهَا وَأَقْتُ فِي أَكْنَافِهَا فَكَأَنِّي فِي مَنَبِجٍ ^(٤)

ومَنَبِجٌ ، هي مدينة البعثري .

أبو تمام :

كُلُّ شَيْعٍ كُنْتُمْ بِهِ آلَ وَهْبٍ فَهُوَ شَيْعِي وَشَيْعُ كُلِّ أَدِيبٍ ^(٥)

(١) في د ه فراق ربح ، والمعنى عليه يستقيم أيضاً (٢) في د ه بلاد ، وهو مستقيم أيضاً .

(٣) ديوانه ١ : ١٠٣

(٤) ديوانه ١ : ١٣١

(٥) ديوانه ١ : ١٠٣

إن قلبي لكم لكالكد الحري وقلبي لغيركم كالقلوب
وقد ذهب كثير من الناس إلى غير هذا المذهب ، فعملوا بعض البلاد أحق بالإنسان
من بعض ، وهو الوطن الأول ومسقط الرأس ، قال الشاعر :
أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَعَجٍ إِلَى وَسْكَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا^(١)
بِلَادُهَا نِيَطَتْ عَلَى تَمَانِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تَرَابُهَا
وكان يقال : مَيْلُكَ إِلَى مَوْلَدِكَ مِنْ كَرَمٍ تَحْتَدُكَ ..
وقال ابن عباس : لو قُتِلَ النَّاسُ بِأَرْزَاقِهِمْ قُتِلَتْهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ ، لما اشْتَكَى
أَحَدُ الرِّزْقِ .

وكان يقال : كَأَنَّ لِحَاضِنَتِكَ حَقَّ لَبَنِهَا فَلْأَرْضُ حُرْمَةٌ وَطَنُهَا .
وكانت العرب تقول : رَحِمَكَ أَحَى لَكَ ، وَأَهْلَكَ أَحَى بِكَ .
وقال الشاعر :

وَكُنَّا أَلِفْنَاهَا وَلَمْ تَكُ مَالِفًا وَقَدْ يُوَلِّفُ الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ بِالْحَسَنِ
كَأَتُوَلِّفُ الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ يَطْبُ بِهَا هَوَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلَكِنَّا وَطَنُ
أَعْرَابِي :

رَمَلَةٌ حَضَنْتَنِي أَحْسَاؤُهَا ، وَأَرْضَعْتَنِي أَحْسَاؤُهَا .
كانت العرب إذا سافرت حلت منها من تربة أرضها ما تستنشق ريحه ، وتطبخه
في الماء إذا شربته ، وكذلك كانت فلاسفة يونان تفعل .
وقال الشاعر في هذا المعنى :

نَسِيرُ عَلَى عَمٍّ بِسَكْنِهِ مَسِيرَنَا بِعَفَّةٍ^(٢) زَادَ فِي بَطُونِ النَّوَادِرِ

(١) معجم البلدان ٨ : ١٨٠ في ثلاثة أبيات نسبها إلى بعض الأعراب .

(٢) العفة : بقية اللبن في الفرج بعد أن يحلب أكثر ما فيه .

ولا بدّ في أسفارنا من قبضة من التراب نسقاها لحبّ الموالد
وقالت الهند : حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك ، كان غذاؤك منهما وأنت جنين
وكان غذاؤهما منك .

ومن الكلام القديم : لولا الوطنُ وحبُّه نُحْرِبُ بلادَ السَّوءِ .
ابن الرومي :

وَحَبَّ أَوْطَانِ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ مَا رَبُّ قَضَّاهَا الشَّبَابُ هُنَاكَ
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ عُهُودُ الصَّبَا فِيهَا لَحْنُوا لِذَلِكَ



مرکز تحقیقات کتاب و اسناد ملی ایران

الأصل :

وقال عليه السلام وقد جاءه نعي الأشتر رحمه الله :
مالك ، وما مالك ؟ والله لو كان جبلاً لكان فنداً ، أو كان حجراً لكان صلدأ
لا يرتقيه الحافر ، ولا يوفي عليه الطائر .

وقال الرضى رحمه الله تعالى .

والفند : المنفرد من الجبال .



مركز تحقيقات كتب التراث والعلوم الإسلامية

الشرح :

يقال : إن الرضى ختم كتاب نهج البلاغة بهذا الفصل ، وكتب به نسخ متعددة
ثم زاد عليه إلى أن وفي الزيادات التي ذكرها فيما بعد .

وقد تقدم ذكر الأشتر ، وإنما قال : لو كان جبلاً لكان فنداً ، لأن الفند قطعة الجبل
طولا ، وليس الفند القطعة من الجبل كيفما كانت ، ولذلك قال : لا يرتقيه الحافر ، لأن
القطعة المأخوذة من الجبل طولا في دقة لا سبيل للحافر إلى صعودها ، ولو أخذت
عرضاً لأمكن صعودها .

ثم وصف تلك القطعة بالعلو العظيم ، فقال : ولا يوفي عليه الطائر ، أي لا يصعد عليه ،
يقال : أوفى فلان على الجبل : أشرف .

الأصل

وقال عليه السلام:

قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَحْمُولٍ مِنْهُ .



التبنيح :

هذا كلامٌ يُخاطَبُ به أهل العبادات والصلاة ، قال: قائلٌ من التوافل يدومُ المره عليه خيرٌ له من كثير منها يتله ويتذكره .

والجيد النادر في هذا قولُ رسول الله صلى الله عليه وآله: إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برقي ، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

وكان يقال : كل كثير مملول .

وقالوا : كل كثير عدو للطبيعة .

وقال الشاعر :

إني كُتِبْتُ عليه في زيارته فلّ والشيء مملولٌ إذا كُثِرَا
ورأيتُ منه أني لا أزالُ أرى في طرفه قصراً عني إذا نَظَرَا

الأصل :

وقال عليه السلام :

إذا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِعَةٌ ، فانتظروا مِنْهُ أَخَوَاتِهَا .



الشرح :

مثال ذلك إنسان مستور الحال عينا رأينا وقد صدرت عنه حركة تروعث وتعجبك ؛ إما لحسنها أو لقبحها ، مثل أن يتصدق بشيء له وقع ومقدار من ماله ، أو ينكر منكرا عجز غيره عن إنكاره ، أو يسرق أو يزني ؛ فينبغي أن ينتظر ويُتَرَقَّب منه أخوات ما وقع منه ؛ وذلك لأن العقل والطبيعة التي فيه الحركة له إلى فعل تلك الحركة ، لا بد أن تحرَّكه إلى فعل ما يناسبها ، لأنها مادعته إلى فعل تلك الحركة لخصوصية تلك الحركة ، بل لما فيها من المعنى للمقتضى وقوعها ، وهذا يتعدى إلى غيرها مما يجانسها ، ولذلك لا ترى أحدا قد اطلعت من حاله يوما على أنه قد شرب الخمر إلا وسوف تطلع فيما بعدُ منه على أنه يشربها ، وبالعكس في الأمور الحسنة لا ترى أحدا قد صدر عنه فعل من أفعال الخير والبروة إلا وستراه فيما بعدُ قاعلا نظيره أو ما يقاربه وشتم بعض سفهاء البصرة الأحنف شتما قبيحا فحَمَّ عنه ، فقيل له في ذلك ؛ فقال : دُعوه فإنني قد قتلته بالحلم عنه ، وسيقتل نفسه بجرأته ؛ فلما كان بعد أيام جاء ذلك السفیهُ شتم زيارداً ؛ وهو أمير البصرة حينئذٍ ، وظن أنه كالأحنف ، فأمر به فقطع لسانه ويده .

الأصل :

وقال عليه السلام لِيُغَالِبِ بْنِ صَعَصَعَةَ أَبِي الْفَرَزْدَقِ فِي كَلَامٍ دَارَ بَيْنَهُمَا :
 مَا فَعَلْتَ إِبْلُكَ الْكَثِيرَةَ ؟ قَالَ : دَعَدَعْتُهَا الْحُقُوقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ : ذَلِكَ أَحَدُ سُبُلِهَا .



البرزخ :

دَعَدَعْتُهَا بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ مَكْرُورَةً فَرَّقْتُهَا ، دَعَدَعْتُهُ فَتَدَعَدَعَ ، وَدَعَدَعَةُ السَّرَّ : إِذَاعَتُهُ .
 وَالذَّعَاذِعُ : الْفِرَاقُ الْمَتَفَرِّقَةُ ، الْوَاحِدَةُ دَعَدَعَةٌ ، وَرَبَّمَا قَالُوا : تَفَرَّقُوا ذَعَاذِعَ .

دَخَلَ غَالِبُ بْنُ صَعَصَعَةَ بْنِ نَاجِيَةِ بْنِ عَقَالٍ الْمَجَاشِعِيُّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 أَبَاكَ خَلِيفَتَهُ ، وَغَالِبٌ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَمَعَهُ ابْنُهُ هَمَّامُ الْفَرَزْدَقِ وَهُوَ غُلَامٌ يَوْمِئِذٍ ، فَقَالَ لَهُ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ الشَّيْخُ ؟ قَالَ : أَنَا غَالِبُ بْنُ صَعَصَعَةَ ؟ قَالَ : ذُو الْإِبِلِ
 الْكَثِيرَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا فَعَلْتَ إِبْلُكَ ؟ قَالَ : دَعَدَعْتُهَا الْحُقُوقُ ، وَأُذْهِبَتْهَا الْحِمَالَاتُ
 وَالنَّوَائِبُ ؟ قَالَ : ذَلِكَ أَحَدُ سُبُلِهَا ؟ مَنْ هَذَا الْغُلَامُ مَعَكَ ؟ قَالَ : هَذَا ابْنِي ، قَالَ :
 مَا أَسْمُهُ ؟ قَالَ هَمَّامٌ ؛ وَقَدْ رَوَيْتُهُ الشَّعْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَلَامَ الْعَرَبِ ، وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ
 شَاعِرًا مُجِيدًا ؛ فَقَالَ : لَوْ أَقْرَأْتَهُ ^(١) الْقُرْآنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ؛ فَكَانَ الْفَرَزْدَقُ بَعْدُ يَرَوِي
 هَذَا الْحَدِيثَ وَيَقُولُ : مَا زَالَتْ كَلِمَتُهُ فِي نَفْسِي حَتَّى قَيْدَ نَفْسِهِ بِقَيْدٍ ، وَآلَى آلَا يَفْكِهِ
 حَتَّى يَحْفَظَ الْقُرْآنَ ، فَمَا فَكَّهُ حَتَّى حَفِظَهُ .

(١) فِي « د » الْقُرْآنَ ، وَالْعَنِّي عَلَيْهِ يَسْتَقِيمُ أَيْضًا .

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْ أَتَجَرَ بِفَيْرٍ فَقَدْ ارْتَظَمَ فِي الرَّبَا .

الشرح :

يقول : تجرأ فلانٌ واتجر فهو تاجر ، والجمع تجر ، مثل صاحب وصحب ، والتجارة والتجر بمعنى واحد ؛ إذا أخذتهما مصدرين « تجر » ، وأرض مسجرة يُتجر فيها .
وارتطم فلانٌ في الوحل والأمر إذا ارتبك فيه ولم يقدر على الخروج منه ، وإنما قال عليه السلام ذلك لأن مسائل الربا مُشْتَبِهَةٌ بمسائل البيع ، ولا يفرق بينهما إلا الفقيه حتى إن العلماء من الفقهاء قد اشتبه عليهم الأمر فيها فاختافوا فيها أشدَّ اختلاف ؛ كبيع لحم البقر بالغنم متفاضلا ، هل يجوز أم لا ؟ وكذلك لبن البقر بلبن الغنم ، وجلود البقر بجلود الغنم ، فقال أبو حنيفة : اللحوم والألبان والجلود أجناسٌ مختلفة ، فيجوز بيع بعضها ببعض متفاضلا ، نظرا إلى أن أصولها أجناسٌ مختلفة ، والشافعي لا يُحيزُ ذلك ويقول : هو ربا ، وكذلك القول في مدى عَجْوَةٍ ودرهم بمدَّ عَجْوَةٍ . وكذلك بيع الرطب بالتمر منسائيا كيلا ، كل ذلك يقول الشافعي : إنه ربا ، وأبو حنيفة يُخْرِجُهُ عن كونه ربا ، ومسائلُ هذا الباب كثيرة .

الأصل :

وقال عليه السلام .

مَنْ عَظَّمَ صِفَارَ الْمَصَائِبِ ؛ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِكِبَارِهَا .



الشرح :

إنما كان كذلك لأنه يشكر الله ويستخط قضاءه ، ويحمد النعمة في التخفيف عنه ، ويدعى فيما ليس بمُجِيفٍ به من حوادث الدهر أنه مُجِيفٌ ، ويتألم بين الناس ؛ لذلك أكثر مما تقتضيه نكبه ، ومن قتل ذلك استوجب السخط من الله تعالى ، وابتلى بالكثير من التَّكْبَةِ ، وإنما الواجب على من وقع في أمر يشق عليه ، ويتألم منه ويتألم من نفسه ، أو من ماله شيئاً ما ، أن يحمده الله تعالى على ذلك ، ويقول : لعله قد دفع بهذا عني ما هو أعظم منه ، ولئن كان قد ذهب من مالي جزء فلقد بقي أجزاء كثيرة .

وقال عروة بن الزبير لما وقبت الأكلة في رجله قطعها ومات ابنه : اللهم إني أخذت عضواً وتركيت أعضاء ، وأخذت ابناً وتركيت أبناء ، فليهنك ؛ لئن كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت .

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ ، هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ .

الشرح :

قد تقدم مثل هذا المعنى مراراً ، ومن الكلام المشهور بين العامة : قَبِحَ اللهُ أَمْرًا تَغْلِبُ شَهْوَتُهُ عَلَى نَحْوَتِهِ .

مركز تحقيق مكتبة نور علوم إسلامي

والجيد النادر في هذا قول الشاعر :

فإِنَّكَ إِنِ اعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُوءَهُ وَفَرَجَكَ نَالًا مُنْتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعاً^(١)

الأصل :

وقال عليه السلام .

مَمْزَحْ أَمْرُؤًا مَزْحَةً ، إِلَّا مَزَجَ مِنْ عَقْلِهِ مَعَجَةً .



الشرح :

قد تقدم القولُ في المزاح .

وكان يقال : خيرُ المزاح لا يُقال ، وشرُّه لا يُستقال .

وقيل : إنما سُمِّيَ المزاحُ مزاحاً لأنه أزيح عن الحق .

(٤٥٧)

الأفضل :

وقال عليه السلام :

زُهْدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانٌ حَظٌّ ، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلٌّ نَفْسٍ .



الشرح :

مركز تحقيقات كتابية وعلوم إسلامية

أى نقصانٌ حظٌّ لك ، وذلك لأنه ليس من حقِّ مَنْ رَغِبَ فِيكَ أَنْ تَزْهَدَ فِيهِ
لأنَّ الإحسان لا يُكَافَأُ بالإساءة ، وللقصد حُرْمَةٌ ، وللأمل ذِمَامٌ ، ومن طَلَبَ مودَّتَكَ
قَدْ قَصَدَكَ ، وَأَمَلَكَ ، فلا يجوزُ رفضُهُ وإصْرَاحُهُ والزَّهْدُ فِيهِ وَإِذَا زْهَدْتَ فِيهِ
فَذَلِكَ لِنُقْصَانِ حَظِّكَ لِنُقْصَانِ حَظِّهِ ، فَأَمَّا رَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ فَذَلَّةٌ ، لأنَّكَ
تطرح نفسك لمن لا يعبأ بك ، وهذا ذُلٌّ وصغار .

وقال العباسُ بنُ الأحنفِ في نسيبه ، وكان جيّدَ النسيبِ :

مازلتُ أزهّدُ في مودّةِ راغِبٍ حتّى ابتليتُ برَغْبَةٍ في زَاهِدٍ
هَذَا هو الداءُ الَّذِي ضَاقَتْ بِهِ حِيلُ الطَّيِّبِ وَطَالَ يَأْسُ الْعَائِدِ
أى مازلتُ عزيزاً حتّى أذلّنى الحبُّ :

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَازَالَ الزَّيْبُرُ رَجُلًا مِّنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى نَشَأَ ابْنُهُ الْمَشْتُومُ عَبْدُ اللَّهِ .



الشرح :

ذكر هذا الكلام أبو عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " عن أمير المؤمنين عليه السلام في عبد الله بن الزبير، إلا أنه لم يذكر لفظة المشتوم .

[عبد الله بن الزبير وذكر طرف من أخباره]

ونحن نذكر ما ذكره ابن عبد البر في ترجمة عبد الله بن الزبير ، فإن هذا المصنف يذكر رجل أحوال الرجل دون تفاصيلها ، ثم ذكر تفصيل أحواله من مواضع أخرى .

قال أبو عمر رحمه الله : يُكْنَى ^(١) عبد الله بن الزبير أبا بكر ، وقال بعضهم : أبا بكير ، ذكر ذلك أبو أحمد الحاكم الحافظ في كتابه في الكنى . والجمهور من أهل السير وأهل الأثر على أن كنيته أبو بكر ، وله كنية أخرى أبو خبيب بابنه خبيب

(١) الاستيعاب : ٩٠ وما بعدها ، طبعة نهضة مصر

وكان أَسَنَ وَلَدِهِ ، وَخَبِيبٌ هُوَ صَاحِبُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الَّذِي مَاتَ مِنْ ضَرْبِهِ إِذْ كَانَ وَالِيًا عَلَى الْمَدِينَةِ لِلْوَلِيدِ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ أَمَرَهُ بِضَرْبِهِ فَمَاتَ مِنْ أَذِيَّةِ ذَلِكَ فَوَدَّاهُ عُمَرُ بَعْدُ .

قَالَ أَبُو عُمَرَ : « وَسَمَّاهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِاسْمِ جَدِّهِ ، وَكَتَبَ بِكُنْيَةِ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي بَكْرٍ » ، وَهَاجَرَتْ أُمُّهُ أَسْمَاءُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ حَامِلٌ بِهِ ، فَوَلَدَتْهُ فِي سَنَةِ اثْنَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ لِعِشْرِينَ شَهْرًا مِنَ التَّارِيخِ ، وَقِيلَ : وَلِدَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى ، وَهُوَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ وَلِدَ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ .

وَرَوَى هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ : حَمَلْتُ بِعَبْدِ اللَّهِ بِمَكَّةَ ، فَفَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمَّةٌ (١) فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَنَزَلْتُ بِقَبَاءَ ، فَوَلَدَتْهُ بِقَبَاءَ ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ ، فَدَعَا بِتَمْرَةٍ فَضَفَّهَا ثُمَّ تَقَلَّ فِي فِيهِ ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمَّ حَنَنَكَ بِالتَّمْرَةِ ، ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَهُوَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ وَلِدَ فِي الْإِسْلَامِ لِلْمُهَاجِرِينَ بِالْمَدِينَةِ ، قَالَ : فَفَرَّحُوا بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ كَانَ قَبْلَ لَهْمٍ : إِنْ الْيَهُودَ قَدْ سَحَرَتْكُمْ فَلَا يُؤَلِّدُ لَكُمْ .

قَالَ أَبُو عُمَرَ : وَشَهِدَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ مَعَ أَبِيهِ وَخَالَتِهِ ، وَكَانَ شَهْمًا ذَكَرًا ذَا أَنْفَةٍ ، وَكَانَ لَهُ لَسَنٌ وَقَصَاحَةٌ ، وَكَانَ أَطْلَسَ لَا لِحْيَةَ لَهُ وَلَا شَعْرَ فِي وَجْهِهِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ ، كَثِيرَ الصِّيَامِ ، شَدِيدَ الْبَأْسِ ، كَرِيمَ الْجَدَاتِ وَالْأَمْهَاتِ وَالْخَالَاتِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِيهِ خِلَالٌ لَا يَصْلُحُ مَعَهَا لِلْخُلَافَةِ ، فَإِنَّهُ كَانَ بِخِيَلِ الضَّيِّقِ الْعَطْنِ سَيِّئًا أَنْ يَخْلُقَ حَسُودًا ، كَثِيرَ الْخِلَافِ ، أَخْرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ مِنْ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَوَفَّى عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عَبَّاسٍ إِلَى الطَّائِفِ .

(١-١) عبارة الاستيعاب : « كَتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاسْمِ جَدِّهِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَسَمَّاهُ بِاسْمِهِ » .
(٢) اللهم : التي اكتملت مدة حملها .

وقال علي عليه السلام في أمره : ما زال الزبير يُعَدُّ منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله . قال أبو عمر : وبُوع له بالخلافة سنة أربع وستين في قول أبي معشر .

وقال المدائني : بُوع له بالخلافة سنة خمس وستين .

وكان قبل ذلك لا يدعى باسم الخلافة ، وكانت بيعته بعد موت معاوية بن يزيد ابن معاوية ، على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ، وحج بالناس ثماني حجج ، وقتل في أيام عبد الملك بن مروان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقين من جمادى الأولى ؛ وقيل : من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، وهو ابن اثنين وسبعين سنة ؛ وصاب بمكة بعد قتله ، وكان الحجاج قد ابتدأ بحصاره من أول ليلة من ذى الحجة سنة اثنين وسبعين ، وحج الحجاج بالناس في ذلك العام ، ووقف بعرفة وعليه درع ومنقر ، ولم يطوفوا بالبيت في تلك السنة ، فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوما إلى أن قتله .

قال أبو عمر : فروى هشام بن عروة عن أبيه ، قال : لما كان قبل قتل عبد الله بعشرة أيام دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر وهي شاكية ، فقال : كيف تجد بك يا أمه ؟ قالت : ما أجدني إلا شاكية ، فقال لها : إن في الموت لراحة ؛ فقالت : لعلاك تمنيت لي ، وما أحب أن أموت حتى يأتي علي إحدى حالتيك ، إما فتات فأحسنبك ، وإما ظفرت بمدوك فقرت عيني .

قال عروة : فالتفت عبد الله إلى وضحك ، فلما كان اليوم الذي قُتل فيه دخل عليها في المسجد ، فقالت : يا بني لا تقبل منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذل [مخافة القتل]^(١) ؛ فوالله لضربة سيف في عز خير من ضربة سوط في مذلة ، قال : فخرج

عبدُ الله وقد نُصِبَ له مِصرَاعٌ عند الكعبة ، فكان يكون تحتَهُ ، فأتاه رجلٌ من قريش فقال له : ألا تفتح لك بابَ الكعبة فتدخلها ؟ فقال : والله لو وجدوكم تحتَ أَسْتارِ الكعبة لقتلوكم عن آخركم ، وهل حُرمة البيتِ إلا كحرمة الحرم ، ثم أنشد :
ولستُ بمُبتاعِ الحياةِ بسبِّه ولا مُرتقٍ من خَشْيَةِ الموتِ سُلماً
ثم شَدَّ عليه أصحابُ الحجاج ، فسأل عنهم ، فقيل : هؤلاء أهلُ مِصر ، فقال لأصحابه :
اكسروا أَعْمَادَ سِوْفِكُمْ ، واحملوا معي ، فإنتى في الرّاعيل الأول ، ففعلوا ، ثم حمل عليهم وحملوا عليه ، فكان يضرب بسيفين ، فلحق رجلًا فصرَّبه فقطع يده ، وانهمزوا وجعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد ، وجعل رجلٌ منهم أسود يسبه ، فقال له : اصبر يا بنِ حام ، ثم حمل عليه فصرَّعه ، ثم دخل عليه أهلُ خُص من باب بني شَيْبة فسأل عنهم ، فقيل : هؤلاء أهلُ خُص ، فشَدَّ عليهم وجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ، ثم انصرف وهو يقول :

لو كان قرني واحدًا أُرْدِيته أوردته الموت وقد ذكيتُهُ
ثم دخل عليه أهلُ الأزد من باب آخر ، فقال : من هؤلاء ؟ قيل :
أهلُ الأزد ، فجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ، ثم انصرف وهو يقول :

لا عهد لي بفارٍ مثل السَّيل لا ينجلي قَتَامُها حتى اللَّيْلُ
فأقبل عليه حجرٌ من ناحية الصَّفا فأصابه بين عَيْنَيْهِ ، فنكس رأسه وهو يقول :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدِّمَاءُ^(١)

أنشدته متمثلاً ، وحماه مؤليان له ، فكان أحدهما يرتجز فيقول :

* العبدُ يحیی ربّه ويحتیی *

قال : ثمّ اجتمعوا عليه ، فلم يزالوا يضربونه ويضربهم حتى قتلوه ومولّيته جميعاً ، فلما قُتل كبر أهل الشام ، فقال عبد الله بن عمر : المكبرون يومٌ ولله خيرٌ من المكبرين يوم قُتل .

قال أبو عمر : وقال يعلى بن حرّملة : دخلت مكة بعد ما قُتل عبد الله بن الزبير بثلاثة أيام ، فإذا هو مصلوب ، فجاءت أمّه أسماء ، وكانت امرأةً عجوزاً طويلة مكفوفة البصر تقاد ، فقالت للحجاج : أما أن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فقال لها : المنافق ؟ قالت : والله ما كان منافقاً ، ولكنه كان صوّاماً قوَّاماً بَرّاً ؛ قال : انصرفي فإنك عجوز قد خرفت . قالت : لا والله ما خرفت ، وإنی سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير ^(١) » ، أما الكذاب فقد رأيناه - تعني المختار - وأما اللبّير فانت .

قال أبو عمر : ورَوَى سعيد بن عامر الخزاز عن ابن أبي مائة ، قال : كنت الآذن لمن بشر أسماء بنزول ابنها عبد الله من الخشبة ، فدعت بمرّكن ^(٢) وشبّ يمان ، فأمرتني بفعله ، فكنا لا نتناول منه عضواً إلّا جاء معنا ، فكنا نغسل العضو ونُدّعه في أكفانه و نتناول العضو الذي يليه فنفسله ، ثم نضمه في أكفانه ، حتى فرغنا منه ، ثم قامت فصلّت عليه ، وقد كانت تقول : اللهم لا تمتني حتى تقرّ عيني بحبّته ، فلما دفنته لم يأت عليها جمعة حتى ماتت .

قال أبو عمر : وقد كان عروة بن الزبير رحل إلى عبد الملك ، فرغب إليه في إزال عبد الله من الخشبة ، فأسعفه بذلك ، فأُنزل .

قال أبو عمر : وقال علي بن مجاهد : قُتل مع ابن الزبير مائتان وأربعون رجلاً ، إنَّ منهم لَمَنْ سألَ دمه في جوف الكعبة .

قال أبو عمر : وروى عيسى عن أبي القاسم ، عن مالك بن أنس ، قال : كان ابن الزبير أفضل من مروان وأولى بالأمر منه ومن أبيه ، قال وقد روى علي بن المدائني ، عن سُفيان بن عُيينة ، أن عامر بن عبد الله بن الزبير مكث بعد قتل أبيه خوفاً لا يسأل الله لنفسه شيئاً إلا الدعاء لأبيه .

قال أبو عمر : وروى إسماعيل بن علية ، عن أبي سُفيان بن الملاء ، عن ابن أبي عتيق ، قال : قالت عائشة : إذا مرَّ ابنُ عمرَ فأرونيهِ ، فلما مرَّ قالوا : هذا ابنُ عمرَ فقالت : يا أبا عبد الرحمن ، ما منعك أن تنهاني عن مسيرى ؟ قال : رأيتُ رجلاً قد غلبَ عليك ، ورأيتُك لا تخالفينه - يعني عبد الله بن الزبير - فقالت : أما إنك لو نهيتني ما خرجتُ .

فأما الزبير بن بكار فإنه ذكر في كتاب " أنساب قريش " من أخبار عبد الله وأحواله جملة طويلة نحن نختصرها ، ونذكر اللباب منها ، مع أنه قد أطنب في ذكر فضائله والثناء عليه ، وهو معذور في ذلك ، فإنه لا يلام الرجلُ على حبِّ قومه ، والزبير بن بكار أحدُ أولاد عبد الله بن الزبير ، فهو أحقُّ بتقرُّبه وتأيينه .

قال الزبير بن بكار : أمه أسماء ذات النطاقين ابنة أبي بكر الصديق ، وإنما سُميت ذات النطاقين لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما تَجَرَّعَ مهاجراً إلى المدينة ومعه أبو بكر ، لم يكن أسفرتَهما شِناق^(١) ؛ فشَمَّتْ أسماء نِطاقَها فشَنَقَها به ، فقال لها رسول الله

(١) الشناق : الخيل .

قالت: وقالت عائشة: يا رسول الله، ألا تكفيني؟ فقال: تكفي بأسم ابن أخيك عبد الله، فكانت تكفي أم عبد الله.

قال: وروى هند بن القاسم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: احتجهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم دفع إلى دمه، فقال: اذهب به فواره حيث لا يراه أحد، فذهبت به فشربته، فلما رجعت قال: ما صنعت؟ قالت: جعلته في مكان أظن أنه أخفى مكان عن الناس، فقال: فلعلك شربته؟ قلت: نعم.

قال: وقال وهب بن كيسان: أول من صف رجليه في الصلاة عبد الله بن الزبير فافتدى به كثير من العباد، وكان مجتهدا.

قال: وخطب الحجاج بعد قتله رجلة^(١) بنت منظور بن زبائن بن سيار القرظية، وهي أم هاشم بن عبد الله بن الزبير، فقلت ثلثيتها وردته، وقالت: ماذا يريد إلى ذلنا، تكلي حرمي! وقالت:

أبعد عانديت الله تخطبني جهلاً جهلت وغيب الجهل مذموم
فاذهب إليك فإني غيرة ناكعة بعد ابن أسماء ما استنن الأيام
من يجعل القير مصفراً جحافله مثل الجواد وقضل الله مقسوم!

قال: وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز، عن خاله يوسف بن الماجشون، قال: قسم عبد الله بن الزبير الدهر على ثلاث ليال: فليلة هو قائم حتى الصباح، وليلة هو راكع حتى الصباح، وليلة هو ساجد حتى الصباح.

قال: وحدثنا سامان بن حرب بإسناد ذكره ورفعته إلى مسلم المكي، قال: رَكِع عبد الله بن الزبير يوماً ركعة، فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، ومارفَع رأسه.

(١) ضبط في نسخة رجالة.

قال : وقد حَدَّثَ من لا أَحْصِيهِ كَثْرَةً من أَصْحَابِنَا : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ يُوَاصِلُ الصَّوْمَ سَبْعًا ، يَصُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَا يُفْطِرُ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْآخِرِ ، وَيَصُومُ بِالْمَدِينَةِ فَلَا يُفْطِرُ إِلَّا بِمَكَّةَ ، وَيَصُومُ بِمَكَّةَ فَلَا يُفْطِرُ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ .

قال : وقال عبد الملك بن عبد العزيز : وكان أول ما يُفْطِرُ عليه إذا أَفْطَرَ لِبَنٍ لَقِحةً بِسَمْنٍ بَقَرٍ ، قال الزبير : وزاد غيره : وَصِيرٍ .

قال : وحدثني يعقوب بن محمد بن عيسى بإسنادٍ رَفَعَهُ إلى عُرْوَةَ بن الزبير ، قال : لم يكن أَحَدٌ أَحَبَّ إلى عائشةَ بعد رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ من عبدِ اللَّهِ بن الزبير .

قال : وحدثني يعقوب بن محمد بإسنادٍ يرفعه إلى عبدِ الرحمن بنِ القاسم ، عن أبيه قال : ما كان أَحَدٌ أَعْلَمَ بِالنَّاسِكِ من ابنِ الزبير .

قال : وحدثني مُصَعب بنُ عُمَانَ ، قال : أوصتْ عائشةُ إلى عبدِ اللَّهِ بن الزبير وَأَوْصَى إِلَيْهِ حَكِيمُ بنُ حِزَامٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ عامر بنِ كُرَيْزٍ وَالْأَسْوَدُ بنُ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ وَشَيْبَةُ بنُ عُمَانَ وَالْأَسْوَدُ بنُ عَوْفٍ .

قال الزبير : وحدث عمرُ بنُ قَيْسٍ ، عن أُمِّهِ قَالَتْ : دَخَلْتُ على عبدِ اللَّهِ بنِ الزبير يَتَنَّهُ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يَصَلِّي ، فَسَقَطَتْ حَيَّةٌ مِنَ الْبَيْتِ على أُنْتِهِ هَاشِمُ بنِ عبدِ اللَّهِ فَتَطَوَّقَتْ^(١) على بَطْنِهِ وَهُوَ نَائِمٌ ، فَصَاحَ أَهْلُ الْبَيْتِ : الْحَيَّةُ الْحَيَّةُ ، وَلَمْ يَزَالُوا بِهَا حَتَّى قَتَلُوهَا وَعَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ يَصَلِّي مَا لَتَقَتْ وَلَا عَجَلَ ، ثُمَّ قَرَعَ من صَلَاتِهِ بَعْدَ مَا قَتَلَتْ الْحَيَّةَ فَقَالَ : مَا بِالْكُمْ ؟ فَقَالَتْ أُمُّ هَاشِمٍ : إِي رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَرَأَيْتَ إِنْ كُنَّا هُنَا عَلَيْكَ أَيُّهُنَّ عَلَيْكَ ابْنُكَ ! قَالَ : وَيَحْك ! وَمَا كَانَتِ التَّفَانَةُ لَوْ أَلْتَقَتْهَا مُبْتَغِيَةً من صَلَاتِي .

(١) وَ دَخَلَ فَتَطَوَّقَتْ : وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ يَسْتَقِيمُ .

قال الزبير : وعبد الله أول من كسا الكعبة الديباج ، وإن كان ليُطَيَّبها حتى
يُجِدَ ريحها من دَخل الحرم . قال : ولم تكن كِسوة الكعبة من قبله إلا المسوح ^(١)
والأنطاع ، فلما جرد المهدي بن النصور الكعبة ، كان فيما نزع عنها كِسوة من ديباج
مكتوب عليها : لعبد الله أبي بكر أمير المؤمنين . قال : وحدثني يحيى بن معين بإسناد
رفعه إلى هشام بن عروة ، أن عبد الله بن الزبير أخذ من بين القتلى يوم الجمل وبه بضع
وأربعون طعنة وضربة . قال الزبير : واعتلت عائشة مرة ، فدخل عليها بنو أخيها
أسماء : عبد الله وعروة والمندر ، قال عروة : فسألناها عن حالها ، فشكت إلينا نهمكة
من عنتها فعرّأها عبد الله عن ذلك ، فأجابته بنحو قولها ، فعاد لها بالكلام ، فعادت له
بالجواب ، فصمت وبكى ، قال عروة : فما رأينا متحاورين من خلق الله أبلغ منهما
قال : ثم رفعت رأسها تنظر إلى وجهه ، فأبهرت بكائه ، فبكت ثم قالت : ما أحقني
منك يا بني ، ما أرى . فما أعلم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد أبوي أحداً أنزل
عندي منزلة لك ، قال عروة : وما سمعت عائشة وأمي أسماء تدعوان لأحد من الخلق
دعاءها لعبد الله ، قال : وقال موسى بن عقبة : أقرأني عامر بن عبد الله بن الزبير
وصية عبد الله بن مسعود إلى الزبير بن العوام وإلى عبد الله بن الزبير من بعده ،
وإنهما في وصيتي في حل وبلى ^(٢) .

قال : وروى أبو الحسن المدائني ، عن أبي إسحق التميمي ، أن معاوية سمع
رجلاً يُنشد :

ابن رقاش ماجدٌ سميدعُ يَأْتِي فَيُعْطَى عَنْ يَدٍ أَوْ يَمْنَعُ

(١) المسح : الكساء من الشعر ؟ وجهه مسوح

(٢) في د * ونال * تصحيف . والبلى : المباح ، قالوا : هو لك حل وبلى .

فقال : ذلك عبدُ الله بنُ الزبير : وكان عبدُ الله من جُملةِ التفر الذين ^(١) أمرهم
عثمان بنُ عفان أن ينسخوا القرآنَ في المصاحف .

قال : وحدثنا محمد بنُ حسن ، عن نوفل بنِ عُمارة ، قال سئل سعيد بن المسيَّب
عن خطباء قُرَيش في الجاهلية ، فقال : الأسود بن المطلب بن أسد ، وسُهَيْل بن عمرو .
وسئل عن خطبائهم في الإسلام ، فقال : معاوية وابنه ، وسعيد بن العاص وابنه ، وعبد الله
ابن الزبير .

قال : وحدثنا إبراهيم بنُ المنذر ، عن عثمان بن طَاحَة ، قال : كان عبدُ الله بنُ
الزبير لا يُنازع في ثلاثٍ : شجاعة ، وعبادة ، وبلاغة .

قال الزبير : وقال هشام بنُ عروة : رأيتُ عبدَ الله أيامَ حصاره والحجرِ من
المنجنيق يهوى حتى أقول : كاذبٌ يأخذُ بلحيته ، فقال له أبي : أيا ابنَ أمِّ ، والله إن
كاذباً ليأخذُ بلحيَتِكَ ، فقال عبدُ الله : دعني يا ابنَ أمِّ ، فوالله ما هي إلا هنةٌ حتى
كانَ الإنسانَ لم يكن ، فيقول أبي وهو يُقبل علينا بوجهه : والله ما أخشى عليك إلا
من تلك الهنة .

قال الزبير : فذكَرَ هشامٌ ، قال : والله لقد رأيتُهُ يُرمى بالمنجنيق فلا يلتفت ولا
يرعدُ صوته ؛ وربما مرَّت الشظية منه قريباً من نحره .

وقال الزبير : وحدثنا ابنُ الماجشون ، عن ابنِ أبي مليكة عن أبيه قال : كنتُ
أطوفُ بالبيتِ مع عُمر بنِ عبد العزيز ، فلما بلغتُ الملتزم تخلفتُ عنده أدعو
ثم لحقتُ عمر ، فقال لي : ما خلفك ؟ قال : كنتُ أدعو في موضع رأيتُ عبدَ الله بنَ
الزبير فيه يدعو ، فقال : ما تركتُ تخفنا تلك على ابنِ الزبير أبداً ! فقلتُ : والله ما رأيتُ

أحداً أشدَّ جِلداً على لَحْمٍ، وَلَحْمًا على عَظْمٍ من ابن الزبير ؛ ولا رأيتُ أحداً أثبتَ قائماً ، ولا أحسنَ مصليةً من ابن الزبير ، ولقد رأيتُ حجراً من المنجنيق جاءه فأصاب شُرْفَةً من المسجد ، فمرت قُذَاذَةٌ مِنْهَا بين لَحْيَيْهِ ^(١) وحلقه ، فلم يزل من مقامه ، ولا عرفنا ذلك في صَوْتِهِ ، فقال صر : لا إله إلا الله ، لجأ ماوصفت !

قال الزبير : وسمعتُ إسماعيل بن يعقوب التيمي يحدث ، قال : قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مليسكة : صف لنا عبد الله بن الزبير ، فإنه ترمزُ على أصحابنا فتغشروا عليه ، فقال : عن أيِّ حاله تسأل ؟ أعن دينه ، أم عن دُنْيَاهُ ؟ فقال : عن كُلِّ ، قال : والله ما رأيتُ جِلداً قطُّ رُكِبَ على لَحْمٍ ولا لَحْمًا على عَصَبٍ ، ولا عَصَبًا على عَظْمٍ ، مثل جِلده على لَحْمِهِ ولا مثل لَحْمِهِ على عَصَبِهِ ، ولا مثل عَصَبِهِ على عَظْمِهِ ؛ ولا رأيتُ نفساً رَكبت بين جَنَيْنٍ مثل نفسٍ له رَكبت بين جَنَيْنٍ ، ولقد قام يوماً إلى الصلاة ، فمرَّ به حَجَرٌ من حجارة المنجنيق ؛ بَلْبَنَةٌ مطبوخة من شُرَفَاتِ المسجد ، فمرت بين لَحْيَيْهِ وصدره ، فوالله ما خَشَع لها بصره ، ولا قطع لها قراءته ، ولا رَكَع دون الركوع الذي كان يركع ، ولقد كان إذا دَخَلَ في الصلاة خَرَجَ من كلِّ شيءٍ إليها ؛ ولقد كان يَرَكعُ في الصلاة فيقع الرَّاخَمُ على ظهره ويسجد فكانه مطروح .

قال الزبير : وحدث هشام بن عروة ، قال : سمعتُ عُمِي ، يقول : ما أبالي إذا وجدتُ ثمانمائة يصبرون صَبْرِي ، لو أجلب على أهل الأرض .

قال الزبير : وقسم عبد الله بن الزبير ثلث ماله وهو حي ؛ وكان أبوه الزبير قد أوصى أيضاً بثلث ماله . قال : وابن الزبير أحد الرهط الخمسة الذين وقع اتفاق أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص على إحضارهم ، والاستشارة بهم في يوم التحكيم

(١) في دله عليه .

وهم : عبدُ الله بن الزبير ، وعبدُ الله بن عمرو ، وأبو الجهم بن حذيفة ، وجبير بن مطعم ،
وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام .

قال الزبير : وعبدُ الله هو الذي صلى بالناس بالبصرة لما ظهر طلحة والزبير على
عثمان بن حنيفة بأمر منهما له . قال : وأعطت عائشة من بشرها بأن عبد الله لم
يقتل يوم الجمل عشرة آلاف درهم .

قالت : الذي يغلب على ظني أن ذلك كان يوم إفريقية ، لأنها يوم الجمل كانت في
شغل بنفسها عن عبد الله وغيره .

قال الزبير : وحديثي على بن صالح مرفوعاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله
كلم في صبية ترعرعوا ، منهم عبدُ الله بن جعفر ، وعبدُ الله بن الزبير ، وعمر بن
أبي سلمة ، فقيل : يا رسول الله ، لو بايعتهم فتصيبهم بركتك ، ويكون لهم ذكر !
فأتى بهم فكأنهم تكفكعوا حين جرى بهم إليه ، واقتحم ابنُ الزبير ، فتنبسم رسولُ
الله صلى الله عليه وآله ، وقال : إنه ابنُ أبيه ؛ وبايعهم .

قال : وسئل رأسُ الجالوت : ما عندكم من القراسة في الصبيان ؟ فقال : ما عندنا فيهم
شيء ، لأنهم يُخلقون خفافين بعد خلق ؛ غير أننا نرمقهم ، فإن سمعنا منهم من يقول في آية :
من يكون معي ؟ رأيناها همة وخبء صدق فيه ، وإن سمعناه يقول : مع من أكون ؟
كرهناها منه . قال : فكان أول شيء سمع من عبد الله بن الزبير أنه كان ذات يوم
يلعب مع الصبيان ، فمر رجل ، فصاح عليهم ، فقرؤا منه ، ومشى ابنُ الزبير القمقري ، ثم قال :
يا صبيان ؛ اجعلوني أميركم ، وشدوا بنا عليه . قال : ومر به عمرُ بن الخطاب وهو مع
الصبيان ، فقرؤا ووقف ، فقال لهم^(١) : لم تقرأ مع أصحابك ؟ فقال : لم أجزم فأخافك ، ولم
تكن الطريق ضيقة فأوسع عليك !

وروى الزبير بن بكار ، أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزا إفريقية في خلافة

(١) في د « مالك لا تقرأ » ؛ وهو مستقيم أيضا .

عثمان ، فقتل عبد الله بن الزبير جرجير أمير جيش الروم ، فقال ابن أبي سرح : إني موجهٌ بشيراً إلى أمير المؤمنين بما فتح علينا ، وأنت أولى من هاهنا ، فانطلق إلى أمير المؤمنين فأخبره الخبر ، قال عبد الله : فلما قدمتُ على عثمان أخبرته بفتح الله وصنعه ونصره ، ووصفتُ له أمرنا كيف كان ، فلما فرغت من كلامي قال : هل تستطيعُ أن تؤدّيَ هذا إلى الناس ؟ قلت : وما يمنعني من ذلك ! قال : فأخرج إلى الناس فأخبرهم قال عبد الله : فخرجتُ حتى جئتُ المنبر فاستقبلتُ الناس ، فتلقاني وجهُ أبي ، فدخلتني له هَيَّبة عَرَفَهَا أَبِي فِي وَجْهِهِ ، فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنْ حَصْبَاءِ وَجَعَ وَجْهَهُ فِي وَجْهِهِ وَهُمْ أَنْ يَحْصِبَنِي فَأَحْزَمْتُ ، فَتَكَلَّمْتُ .

فَرَمَوْا أَنْ الزبير لما فرغ عبد الله من كلامه قال : والله لَكأني أسمع كلامَ أبي بكر الصديق : من أراد أن يتزوج امرأةً فلينظرُ إلى أبيها وأخيها فإنها تأتيه بأحدهما . قال الزبير : ويلقُب عبد الله بعائد البيت ، لا يستعاذ به .

قال : وحدثني عمي مُصعب بن عبد الله ، قال : إن الذي دعا عبد الله إلى التعمد بالبَيْتِ شيءٌ سمعهُ من أبيه حين سار من مكة إلى البصرة ؛ فإنَّ الزبير التفت إلى الكعبة بعد أن ودَّع وجهه يريدُ الركوب ، فاقبلَ على أبيه عبد الله ، وقال : تالله ما رأيتُ مثلاً لاطالب رغبةٍ أو خائف رَهبةٍ .

وروى الزبير بن بَكَّار ، قال : كان سببُ تعمُدِ ابنِ الزبير بالكعبة أنه كان يمشي بعد غتمةٍ في بعضِ شوارعِ المدينة ؛ إذ لقي عبد الله بن سعد بن أبي سرح متألماً لا يَدُومُ منه إلا عَيْنَاه . قال : فأخذتُ بيده وقلتُ : ابنُ أبي سرح ! كيف كنتَ بعدى ؟ وكيف تركتَ أميرَ المؤمنين ؟ يعني معاويةَ . وقد كان ابنُ أبي سرح عنده بالشام - فلم يكلمني ، فقالت : مالك ؟ أملتَ أميرَ المؤمنين ؟ فلم يكلمني ، فتركته وقد أثبتَ معرفته ، ثم خرجتُ حتى لقيتُ الحسينَ بنَ عليٍّ رضي الله عنه ، فأخبرته خبره ، وقلتُ : سنأتيك رُسلُ الوليد ، وكان الأميرُ عليَّ المدينة الوليد بن عُقبة بن

بني سُفْيَان ؛ فأنظر ما أنت صانع ! وأعلم أن رَواحِلِي في الدَّارِ مُعَدَّة ، والمُوَعِدَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 أَنْ تَفْعَلَ عَنَّا عِيونَهُمْ ، ثُمَّ فَارَقْتَهُ فَلَمْ أَلْبِثْ أَنْ أَتَانِي رَسُولُ الْوَلِيدِ ، فَجِئْتُهُ فَوَجَدْتُ
 الْحُسَيْنَ عِنْدَهُ ، وَوَجَدْتُ عِنْدَهُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ ، فَتَنَعَى إِلَى مُعَاوِيَةَ ؛
 فَاسْتَرْجَعْتُ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ ، وَقَالَ : هَلَمْ إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ ، فَقَدْ كُتِبَ إِلَيْنَا بِأَمْرِنَا أَنْ نَأْخُذَهَا
 عَلَيْكَ ! فَقُلْتُ : إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ فِي نَفْسِهِ عَلَى شَيْئًا لَتَرَكِي بَيْعَتَهُ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ ، وَإِنْ
 بَايَعْتُ لَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ تَوَهَّمُ أَنَّي مُكْرَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ، فَلَمْ يَقَعْ مِنْهُ ذَلِكَ بِحَيْثُ أُرِيدُ
 وَلَكِنْ أَصْبَحَ وَتَجَمَّعَ النَّاسُ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَانِيَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ فَنَظَرَ الْوَلِيدُ إِلَى مَرْوَانَ
 فَقَالَ مَرْوَانَ : هُوَ الَّذِي قُلْتُ لَكَ ؛ إِنْ يُخْرِجُ لَمْ تَرَهُ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَلْقِيَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَرْوَانَ
 شَرًّا نَشَاغَلُ بِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا أَنْتَ وَذَلِكَ يَا بَنَ الزَّرْقَاءِ ! فَقَالَ لِي ، وَقُلْتُ لَهُ ، حَتَّى
 تَوَائِبُنَا ، فَتَنَاصَيْتُ أَنَا وَهُوَ ، وَقَامَ الْوَلِيدُ فَخَجَزَ بَيْنَنَا ، فَقَالَ مَرْوَانَ : أَتَحْجُزُ بَيْنَنَا
 بِنَفْسِكَ ، وَتَدَّعِ أَنْ تَأْمُرَ أَعْوَانَكَ ! فَقَالَ : قَدْ أَرَى مَا تُرِيدُ ، وَلَكِنْ لَا أَتَوَلَّى ذَلِكَ
 مِنْهُ وَاللَّهِ أَبَدًا ، أَذْهَبُ يَا بَنَ الزَّيْبِرِ حَيْثُ شِئْتَ ؛ قَالَ : فَأَخَذْتُ بِيَدِ الْحُسَيْنِ ، وَخَرَجْنَا مِنَ
 الْبَابِ حَتَّى صِرْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَأَنَا أَقُولُ :

وَلَا تَحْسَبْنِي يَا مُسَافِرَ شَخْمَةَ تَعَجَّلَهَا مِنْ جَانِبِ الْقَدْرِ جَانِعُ

فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَفْتَرَقَ هُوَ وَالْحُسَيْنُ ، وَعَمَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى مُصَلَّاهُ يُصَلِّي
 فِيهِ ، وَجَعَلَتِ الرُّسُلُ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِمَا ، يَسْمَعُ وَقَعَ أَقْدَامُهُمْ فِي الْخُصْبَاءِ حَتَّى هَذَا عَنْهُمَا
 الْحُسَيْنُ ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى مَنَازِلِهِمَا ، فَأَتَى ابْنَ الزَّيْبِرِ رَواحِلُهُ ، فَقَعَدَ عَلَيْهَا ، وَخَرَجَ مِنْ أَدْبَارِ
 دَارِهِ ، وَوَافَاهُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَخَرَجَا جَمِيعًا مِنْ كَيْلَتِهِمْ ، وَسَلَكُوا طَرِيقَ الْفُرْعِ
 حَتَّى مَرُّوا بِالْجَنْجَانَةِ وَبِهَا جَعْفَرُ بْنُ الزَّيْبِرِ قَدْ أُرْذَرَعَهَا ، وَغَمَزَ عَلَيْهِمْ بَعِيرٌ مِنْ إِبِلِهِمْ
 فَاتَّبَعَهُمْ إِلَى جَعْفَرٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ قَالَ : مَاتَ مُعَاوِيَةُ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : نَعَمْ ، انْطَلَقُوا

معنا وأعطنا أحدَ جَمَلَتِكَ - وكانَ ينضَح على جَمَين له - فقال جعفر متمثلاً :
إخوتي لا تَبعدوا أبداً وبلى والله قد بَعُدُوا

فقال عبدُ الله - وتطيرَ منها: بفيك التراب ! فخرجوا جميعاً حتى قَدِمُوا مَكَّةَ ، قال الزبير : فأما الحسين عليه السلام فإنه خرج من مكَّة يومَ التَّزْوِيَةِ يَطْلُبُ الكوفةَ والعراقَ ، وقد كان قال لعبد الله بن الزبير : قد أَتَتْنِي بَيْعَةُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا يَحْمِلُونَ لي بالطلاق والعِتاق من أهل العراق ، فقال : أخرج إلى قوم قَتَلُوا أَبَاكَ وَخَذَلُوا أَخَاكَ ! قال : وبعضُ الناس يزعم أن ^(١) عبدَ الله بن عباس هو الذي قال للحُسين ذلك . قال الزبير : وقال هشام بن عروة : كان أول ما أَفْطَحَ به عَمَى عبد الله وهو صغير : السيف ، فكان لا يَضَعُهُ مِنْ فِيهِ ، وكان أبوه الزبير إذا سَمِعَ منه ذلك يقول : أما والله ليكوننَّ لك منه يومٌ ويومٌ وأَيَّام !

فأما خبرُ مَقْتَلِ عبد الله بن الزبير فنحن نوردُه من تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله . قال أبو جعفر : حَصَرَ ^(٢) الحِجَاجُ عبدَ الله بن الزبير ثمانية أشهر ، فرَوَى إسحاق بن يحيى عن يوسف بن ماهك ، قال : رأيتُ مَنْجَنِيْقَ أهل الشام يُرْمَى به فرَعَدَتِ السماءُ وبرَقَتْ ، وعلا صوتُ الرعد على صَوْتِ الْمَنْجَنِيْقِ ، فأعْظَمَ أهلُ الشام ما سَمِعُوهُ ، فأَمْسَكُوا أيديهم ، فرَفَعَ الحِجَاجُ بِرِكةً ^(٣) قَبَائِهِ ، ففَرَزَهَا في منطقتَه ، ورَفَعَ حَجَرَ الْمَنْجَنِيْقِ فَوَضَعَهُ فِيهِ ، ثم قال : ارموا ، ورَمَى معهم ؛ قال : ثم أصبحوا فَبَاقَتِ

(١) كذا في د ، وفي ب : « ابن » تصحيف

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ٨٤٤ ، وما بعدها (طبعة أوربا) ، مع تصرف واختصار

(٣) بركة قبائنه : مقدمه .

صاعقةً يَدْبِعُهَا أُخْرَى ، فَقَتَلَتْ مِنْ أَصْحَابِ الْحِجَّاجِ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ؛ فَأَنْكَرَ أَهْلُ الشَّامِ فَقَالَ الْحِجَّاجُ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، لَا تُنْكَرُوا هَذَا ، فَإِنِّي ابْنُ تِهَامَةٍ ، هَذِهِ صَوَاعِقُ تِهَامَةٍ ، هَذَا الْفَتْحُ قَدْ حَضَرَ فَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ الْقَوْمَ يُصِيبُهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَكُمْ ، فَصَعَقَتْ مِنَ الْغَدِّ فَأَصِيبَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الزَّيْبِرِ عِدَّةٌ مَا أَصَابَ الْحِجَّاجَ ، فَقَالَ الْحِجَّاجُ : أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُصَابُونَ وَأَنْتُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَهُمْ عَلَى خِلَافِ الطَّاعَةِ ! فَلَمْ تَزَلْ الْحَرْبُ بَيْنَ ابْنِ الزَّيْبِرِ وَالْحِجَّاجِ حَتَّى تَفْرُقَ عَامَّةُ أَصْحَابِ ابْنِ الزَّيْبِرِ عَنْهُ ، وَخَرَجَ عَامَّةُ أَهْلِ مَسْكَةِ إِلَى الْحِجَّاجِ فِي الْأَمَانِ .

قال : وَرَوَى إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَنِّمِ الْأَسْلَمِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ الزَّيْبِرِ ، وَقَدْ خَذَلَهُ مِنْ مَعِهِ خِذْلَانَا شَدِيدًا ؛ وَجَعَلُوا يَخْرِجُونِ إِلَى الْحِجَّاجِ ، خَرَجَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ نَحْوُ عَشْرَةِ آلَافٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ فَارَقَهُ ، وَخَرَجَ إِلَى الْحِجَّاجِ أَبْنَاءُ : خَبِيبٌ وَحَمْرَةَ ، فَأَخَذَا مِنَ الْحِجَّاجِ لَأَنْفُسِهِمَا أَمَانًا .

قال أبو جعفر : فروى محمد بن عمر ، عن ابن أبي الزناد ، عن محرم بن سلمان الوالبي ، قال : دخل عبد الله بن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانه ، فقال : يَا أُمِّهِ ، خَذَلَنِي النَّاسُ حَتَّى وَلَدَيْ وَأَهْلِي ، وَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ إِلَّا الْيَسِيرُ مِمَّنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الدَّفْعِ أَكْثَرُ مِنْ صَبْرِ سَاعَةٍ ، وَالْقَوْمُ يُعْطُونَنِي مَا أُرَدْتُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَمَا رَأَيْتُكَ ؟ فَقَالَتْ : أَنْتَ يَا بُنَيَّ أَعْلَمَ بِنَفْسِكَ ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيْهِ تَدْعُو فَأَمْسِرْ لَهُ ، فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُكَ ، وَلَا تُمْكِنُ مِنْ رَقَبَتِكَ يَتَأَمَّبُكَ غِلْمَانُ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أُرَدْتَ الدُّنْيَا فَبُئْسَ الْعَبْدُ أَنْتَ ! أَهْلَكَتَ نَفْسَكَ وَأَهْلَكَتَ مَنْ قُتِلَ مَعَكَ ، وَإِنْ قُلْتَ : قَدْ كُنْتُ عَلَى حَقٍّ فَلَمَّا وَهَنَ أَصْحَابِي وَهَنْتُ وَضَعْتُ ، فَلَيْسَ هَذَا فِعْلُ الْأَحْرَارِ وَلَا أَهْلُ

الدين ، وكم خلّودك في الدنيا ! القتل أحسن ؛ فدنا ابن الزبير فقبل رأسها ؛ وقال : هذا والله رأيي الذي قتت به داعياً إلى يومى هذا ، وماركنت إلى الدنيا ، ولا أحببت الحياة فيها ؛ ولم يدعنى إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحلّ محارمه ^(١) ، ولكنى أحببت أن أعم رأيتك ، فزدتني بصيرة مع بصيرتى . فانظري يا أمه ، فإني مقتول من يومى هذا فلا يستدحزك ، وسألى لأمر الله ، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكراً ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم يجز في حكم ، ولم يفسد في أمان ، ولم يتعمد ظلم مسكين ولا معاهد ، ولم يبلغنى ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته ، ولم يكن شئ آثر عندي من رضا ربى . اللهم إني لا أقول هذا تزكية متى لنفسى ، أنت أعلم بى ، ولكنى أقوله تعزية لأمتى لتسلو عني . فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون جزاى فيك حسناً إن تقدمتنى ، فلا أخرج من الدنيا حتى أنظر إلى ما يصير أمرك ، فقال : جزاك الله يا أمه خيراً ! فلا تدعى الدعاء لى قبل وبعد ؛ قالت : لا أدعه أبداً ، فمن قبل على باطل فقد قتلت على حق . ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النحيب والظما فى هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبى ! اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبني فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين .

قال أبو جعفر : وروى محمد بن عمر ، عن موسى بن يعقوب بن عبد الله ، عن عمه ، قال : دخل ابن الزبير على أمه وعليه الدرع والمغفر ، فوقف فلم ، ثم دنا فتناول يدها فقبلها ، فقالت : هذا وداع فلا تبعه ، فقال : نعم ، إني جئت مودعاً ، إني لأرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا يمر بى ؛ واعلمى يا أمه أنى إن قتلت فإنا أنا لحم لا يضره ما صنع به ، فقالت : صدقت يا بنى ، أتم على بصيرتك ، ولا تمكّن ابن

(١) الطبرى : « أن يستحل حرمه »

أبى عَقِيلُ مِنْكَ ، وَاذْنُ مَنَى أَوْدَعَكَ ؛ فِدْنَا مِنْهَا قُبَاهَا وَعَاقِبَهَا ، فَقَالَتْ حَيْثُ مَسَّتِ
الدَّرْعُ : مَا هَذَا صَنِيعُ مَنْ يَرِيدُ مَا تَرِيدُ ! فَقَالَ : مَا لِبَسْتُهَا إِلَّا لِأَشَدِّ مِنْكَ ، فَقَالَتْ :
إِنَّمَا لَا تَشُدُّ مَنَى ؛ فَفَزَعَهَا ، ثُمَّ أَخْرَجَ ^(١) كَتِيهَ وَشَدَّ أَسْفَلَ قَيْصِهِ ، وَعَمَدَ إِلَى
جَبَةِ خَزَرٍ تَحْتَ الْقَمِيصِ ؛ فَأَدْخَلَ أَسْفَلَهَا فِي الْمِنْفَقَةِ ، فَقَالَتْ أُمُّهُ : كَثُرَ ثِيَابُكَ ، فَشَمَّرَهَا ،
ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ :

إِنِّي إِذَا أَعْرِفَ يَوْمِي أَصْبِرُ إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ

فَسَمِعَتْ الْعَجُوزُ قَوْلَهُ ، فَقَالَتْ : تَصْبِرُ وَاللَّهِ ، وَلَمْ لَا تَصْبِرُوا أَبُوكَ أَبُو بَكْرٍ وَالزَّيْبُ ، وَأَمَّا
صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ !

قَالَ : وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ حِمصٍ قَالَ : شَهِدْتُهُ
وَاللَّهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَنَحْنُ خَمْسَاةٌ مِنْ أَهْلِ حِمصٍ ، فَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ
غَيْرُنَا ، وَهُوَ يَشُدُّ عَلَيْنَا وَنَحْنُ مُتَهَرِّمُونَ وَهُوَ يَرْتَجِزُ :

إِنِّي إِذَا أَعْرِفَ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيهِ الْحَرُّ

* وَبَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ *

فَأَقُولُ : أَنْتَ وَاللَّهِ الْحَرُّ الشَّرِيفُ ؛ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِفُ بِالْأَبْطَحِ لَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ حَتَّى
ظَنَنَّا إِنَّهُ لَا يَقْتُلُ .

قَالَ : وَرَوَى مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ نَافِعِ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ الْأَبْوَابَ
قَدْ شُحِّتْ بِأَهْلِ ^(٢) الشَّامِ ، وَجَعَلُوا عَلَى كُلِّ بَابٍ قَائِدًا وَرَجُلًا وَأَهْلَ بَلَدٍ ، فَكَانَ
لَأَهْلِ حِمصَ الْبَابُ الَّذِي يُوَاجِهُ بَابَ الْكُعْبَةِ ، وَلَأَهْلِ دِمَشْقَ بَابُ بَنِي شَيْبَةَ ، وَلَأَهْلِ
الْأَرْدُنِّ بَابُ الصُّفَا ، وَلَأَهْلِ فِلَسْطِينَ بَابُ بَنِي جُبَحٍ ، وَلَأَهْلِ قَيْسَرِيَّةٍ بَابُ بَنِي سَهْمٍ ،
وَكَانَ الْحِجَابُ وَطَارِقُ بْنُ عَمْرٍو فِي نَاحِيَةِ الْأَبْطَحِ إِلَى الْمَرْوَةِ ، فَمَرَّةً يَحْمِلُ ابْنُ الزُّبَيْرِ

(٢) الطبري : « من أهل الشام » :

(١) الطبري : « أخرج » :

في هذه الناحية ، ولسكانه أسد في أجمة ما يقدم عليه الرجال ، فيمدد وفي أثر الرجال وهم على الباب حتى يخرجهم ، ثم يصيح إلى عبد الله بن صفوان ، يا أبا صفوان ، ويل أمه فتعنا لو كان له رجال ! ثم يقول :

* لو كان قرني واحدا كغيبته ^(١) *

فيقول عبد الله بن صفوان : إني والله وألفا .

قال أبو جعفر : فلما كان يوم الثلاثاء ، صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب ، بات ابن الزبير تلك الليلة يصلي عامة الليل ، ثم احتجى بمماثل سيفه ، فأغنى ثم انتبه بالفجر ، فقال : أذن يسمع : فأذن عند المقام ، وتوضأ ابن الزبير ورَكِعَ ركعتي الفجر ، ثم تقدم وأقام المؤذن ، فصلى ابن الزبير بأصحابه فقرأ « ن والقلم » حرّاً فحرّاً ثم سلم ، ثم قام ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اكشفوا وجوهكم حتى أنظروا ، وعليها للغافر والعائم ، فكشفوا وجوههم ، فقال : يا آل الزبير ، لو طبت لى نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا ، لم نصبنا مذلة ، ولم نقر على ضم . أما بعد يا آل الزبير ، فلا يرغم وقع السيوف ، فإنى لم أحضر موطننا قط ارتثت فيه بين القتلى ، وما أجد من دواء جراحها أشد من أجد من ألم وقعها . صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم . لا أعلم امرأ كسر سيفه واستبقى نفسه . فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرء أعزل . غضوا أبصاركم عن البارقة ، وليشغل كل امرئ قرنه ، ولا يلهيكم السؤال عني ، ولا تقولن : أين عبد الله بن الزبير ؟ ألا من كان سائلا عني فإنى في الرعيل الأول ، ثم قال :

أَبَى لَابِنْ سَلَمَى أَنَّهُ غَيْرُ خَالِدٍ يُبْلِقُ الْمَذَايَا أَيْ وَجْهَ تَيْمَمًا^(١)
فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَةٍ وَلَا مُرْتَقِيٍّ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا

ثُمَّ قَالَ : ااحْمِلُوا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ ، ثُمَّ حَمَلَ حَتَّى بَلَغَ بِهِمْ إِلَى الْحُجُوجِ ، فَرَمَى
بِحَجَرٍ ، فَأَصَابَ وَجْهَهُ ، فَأَرَعِشَ وَدَمِيَ وَجْهَهُ ، فَلَمَّا وَجَدَ سُخُونَةَ الدَّمِ تَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ
وَلَحِيقَتَهُ قَالَ :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَذْمَى كَلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدَّمَا^(٢)

قَالَ : وَتَقَالَوْا عَلَيْهِ ، وَصَاحَتْ مَوْلَاةٌ لَهُ بِمَجْنُونَةٍ : وَآمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ! وَقَدْ كَانَ هُوَ ،
وَرَأَتْهُ حِينَ هَوَى فَأَشَارَتْ لَهُمْ إِلَيْهِ ، فَتَقَبَّلَ وَإِنَّ عَلَيْهِ لَثِيَابُ خَزٍّ ، وَجَاءَ الْخَبْرُ إِلَى
الْحِجَّاجِ ، فَسَجَدَ وَسَارَ هُوَ وَطَارِقُ بْنُ عَمْرٍو ، فَوَقَفَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ طَارِقُ : مَا وَلَدَتْ النَّسَاءُ
أَذْكَرَ مِنْ هَذَا ، فَقَالَ الْحِجَّاجُ : أَمْدَحُ مِنْ يَخَالِفُ طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ طَارِقُ : هُوَ
أَعْدَرُ لَنَا ، وَلَوْلَا هَذَا مَا كُنَّا لَنَا عُذْرٌ ، إِنَّا مُحَاضِرُوهُ وَهُوَ فِي غَيْرِ خَنْدَقٍ وَلَا حِصْنٍ
وَلَا مَنَعَةٍ مِنْذُ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ يَفْتَصِفُ مِنَّا ، بَلْ يَفْضُلُ عَلَيْنَا فِي كُلِّ مَا التَّقِينَا نَحْنُ وَهُوَ ؛
قَالَ : فَبَلَغَ كَلَامَهُمَا عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَصَوَّبَ طَارِقًا .

قَالَ : وَبَعَثَ الْحِجَّاجُ بِرَأْسِ ابْنِ الزَّيْبِرِ وَرَأْسِ عَبْدِ بْنِ صَفْوَانَ وَرَأْسِ عِمَارَةَ بْنِ عَمْرٍو
ابْنَ حَزْمٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَنُصِبَتِ الثَّلَاثَةُ بِهَا ، ثُمَّ حَمَلَتْ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ .

وَنَحْنُ الْآنَ نَذْكُرُ بَقِيَّةَ أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ . مَلْتَقِطَةٌ مِنْ مَوَاضِعَ مُتَفَرِّقَةٍ :

رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ وَأَقْفًا بِبَابِ مِثَّةٍ مَوْلَاةً مُعَاوِيَةَ ، فَقِيلَ لَهُ :

(١) لِلْحَصِينِ بْنِ الْحَمَامِ الْمُرِّي ، الْأَغْنَى ١٤ : ٨

(٢) لِلْحَصِينِ بْنِ الْحَمَامِ الْمُرِّي ، دِيْوَانُ الْحَمَاسَةِ ١ : ١٩٢ - بِشَرْحِ التَّبْرِيزِيِّ .

يا أبا بكر ، مِثْلُكَ يَقِفُ بِيَابِ هَذِهِ ! فَقَالَ : إِذَا أَعْيَاكُمْ الْأُمُورُ مِنْ رُؤُسِهَا
تَخْذُوهَا مِنْ أَدْنَاهَا .

ذَكَرَ مَعَاوِيَةُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ بْنِ يَزِيدَ ابْنِهِ ، وَأَرَادَ مِنْهُ الْبَيْعَةَ لَهُ ، فَقَالَ ابْنُ الزَّيْرِ :
أَنَا أَنَادِيكَ وَلَا أَنَا جِيكَ ، إِنْ أَخَاكَ مَنْ صَدَقَكَ ، فَانْظُرْ قَبْلَ أَنْ تَقْدُمَ ، وَتَفَكَّرْ قَبْلَ أَنْ
تَتَنَدَّمَ ؛ فَإِنَّ النَّظَرَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ ؛ وَالتَّفَكُّرَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ ؛ فَضَحِكَ مَعَاوِيَةُ وَقَالَ : تَعَلَّمْتَ
يَا أَبَا بَكْرٍ الشَّجَاعَةَ عِنْدَ الْكِبَرِ .

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ شَدِيدَ الْبُخْلِ ، كَانَ يُطْعِمُ جُنْدَهُ تَمْرًا ، وَيَأْمُرُهُمْ
بِالْحَرْبِ ، فَإِذَا فَرَّوْا مِنْ وَقَعِ السِّيفِ لَأَمِّهِمْ وَقَالَ لَهُمْ : أَكَلْتُمْ تَمْرِي ، وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي
فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلَمْ تَرِ عَبْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ يَبْنِي الْخُلَافَةَ بِالتَّمْرِ

وَكَسَرَ بَعْضُ جُنْدِهِ خِمَةَ أَرْمَاحٍ فِي صُدُورِ أَصْحَابِ الْحِجَاجِ ، وَكَلَبَا كَسَرَ رُمْحًا
أَعْطَاهُ رُمْحًا ، فَشَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَقَالَ : خِمَةُ أَرْمَاحٍ ! لَا يَحْتَمِلُ بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ هَذَا .

قَالَ : وَجَاءَهُ أَعْرَابِي سَائِلٌ فَرَدَّهُ ، فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ أَحْرَقْتَ الرَّمْضَاءَ قَدَمِي
فَقَالَ : بَلَى عَلَيْهِمَا يَبْرَدَانِ .

جَمَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فِي سَبْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ
بَنِي هَاشِمٍ ، مِنْهُمْ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَحَصَرَهُمْ فِي
شُعْبٍ بِمَكَّةَ يُعْرَفُ بِشُعْبِ عَارِمٍ ، وَقَالَ : لَا تَمْضَى الْجُمُعَةُ حَتَّى تُبَايَعُوا إِلَيَّ أَوْ أُضْرَبَ
أَعْنَاقُكُمْ ، أَوْ أَحْرَقَ كُمْ بِالنَّارِ ، ثُمَّ نَهَضَ إِلَيْهِمْ قَبْلَ الْجُمُعَةِ يُرِيدُ إِخْرَاقَهُمْ بِالنَّارِ ؛ فَالْتَزَمَهُ

ابن مسور بن مخرمة الزهري، وناشده الله أن يؤخرهم إلى يوم الجمعة، فلما كان يوم الجمعة دعا محمد بن الحنفية بفسول وثياب بيض، فاغتسل وتابس وتحنط؛ لا يشك في القتل، وقد بعث المختار بن أبي عبيد من الكوفة أبا عبد الله الجذلي في أربعة آلاف، فلما نزلوا ذات عرق؛ تعجل منهم سبعون على رواحهم حتى وافوا مكة صبيحة الجمعة ينادون : يا محمد ، يا محمد ! وقد شهروا السلاح حتى وافوا شعب عارم ، فاستخلصوا محمد بن الحنفية ومن كان معه ، وبعث محمد بن الحنفية الحسن بن الحسن ينادي : من كان يرى أن الله عليه حقاً فليشتم سيفه ، فلا حاجة لي بأمر الناس ، إن أعطيتموها عفواً قياتها ، وإن كرهوا لم نبتزهم^(١) أمرهم .

وفي شعب عارم وحصار ابن الحنفية فيه يقول كثير بن عبد الرحمن :
ومن ير هذا الشيخ بالحيف من مني من الناس يعلم أنه غير ظالم
سبي النبي المصطفى وابن عمه ورجال أقال وفكالك عارم
تخبر من لا قيت أنك عائد بل العائد المحبوس في سجن عارم

وروى المدائني قال : لما أخرج ابن الزبير عبد الله بن عباس من مكة إلى الطائف مرة بنعمان ، فنزل فصلى ركعتين ، ثم رفع يديه يدعو ، فقال : اللهم أنك تعلم أنه لم يكن بلد أحب إلى من أن أعبدك فيه من البلد الحرام ، وأنتي لا أحب أن تقبض رُوحى إلا فيه ، وأن ابن الزبير أخرجنى منه ، ليكون الأقوى في سلطانه . اللهم فأوهن كيده ، واجعل دائرة السوء عليه . فلما دنا من الطائف تلقاه أهلها ، فقالوا : مرحباً بابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ! أنت والله أحب إلينا وأكرم علينا ممن أخرجناه ؛ هذه منازلنا نحيرها ، فانزل منها حيث أحببت ؛ فنزل منزلاً ، فكان

(١) لم نقتلهم أم هم : لم نسلبه منهم عفواً .

يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَهْلُ الطَّائِفِ بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْمَصْرِ؛ فَيَتَكَلَّمُ بَيْنَهُمْ ، كَانَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَذْكُرُ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْخُلَفَاءَ بَعْدَهُ ، وَيَقُولُ : ذَهَبُوا فَلَمْ يَدْعُوا أَمْثَالَهُمْ وَلَا أَشْبَاهَهُمْ
وَلَا مَنْ يُدَانِيهِمْ ؛ وَلَكِنْ بَقِيَ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَيَلْبَسُونَ جُلُودَ
الضَّانِّ ؛ تَحْتَهَا قُلُوبُ الذَّنَابِ وَالنَّمُورِ ، لِيَطْلُنَ النَّاسُ أَنَّهُمْ مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا ، يُرَادُونَ
النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَيُسْخِطُونَ اللَّهَ بِسِرِّهِمْ ؛ فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَقْضِيَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ
وَالْإِحْسَانِ ، فَيُوَلِّي أَمْرَهَا خَيْرَهَا وَأَبْرَارَهَا ، وَيُهْلِكَ فُجَّارَهَا وَأَشْرَارَهَا ، أَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ
إِلَى رَبِّكُمْ وَسَلُّوهُ ذَلِكَ. فَيَفْعَلُونَ .



فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الزَّيْبِرِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَجْلِسُ بِالطَّائِفِ الْمَصْرَيْنِ فَتُفْتِنُهُنَّ بِالْجَهْلِ ، تَعْيِبُ أَهْلَ
الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ ؛ وَإِنْ حِلْمِي عَلَيْكَ ، وَاسْتِدَامَتِي فَيُنْكَرُ جَرَّاءُكَ عَلَيَّ ، فَاكْفُفْ لَأَبَا لَعْنَتِكَ
مِنْ غَرَبِكَ ، وَأَرْبَعٌ عَلَى ظُلْمِكَ^(١) ، وَاعْقِلْ إِنْ كَانَ لَكَ مَعْقُولٌ ، وَأَكْرَمُ نَفْسِكَ فَإِنَّكَ
إِنْ تَهِنَ تَجِدُهَا عَلَى النَّاسِ أَعْظَمَ هَوَانًا ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

فَنَفْسُكَ أَكْرَمُهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهِنَ عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقَى لَهَا الدَّهْرَ مُكْرِمًا

وَأَيُّ أَقْسَمَ بِاللَّهِ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ عَمَّا بَلَغَنِي عَنْكَ لَتَجِدَنَّ جَانِبِي خَشِنًا ، وَلَتَجِدَنَّيَ إِلَى
مَا يَرِدُكَ عَنِّي عَجَلًا ، فَرَّ رَأْيِكَ ، فَإِنْ أَشْنَى بِكَ شَقَاؤُكَ عَلَى الرَّدَى فَلَا تَلُمْ إِلَّا نَفْسَكَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ ؛ قُلْتُ : إِنِّي أَفْتَى النَّاسَ بِالْجَهْلِ ، وَإِنَّمَا يُفْتَى بِالْجَهْلِ
مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ الْعِلْمِ شَيْئًا ، وَقَدْ آتَانِي اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُوْتِكَ . وَذَكَرْتُ أَنَّ حِلْمَكَ
عَنِّي ، وَاسْتِدَامَتَكَ فَيُنْكَرُ جَرَّاءُكَ عَلَيَّ عَلَيْكَ ، ثُمَّ قُلْتُ : أَكْفُفْ مِنْ غَرَبِكَ ، وَأَرْبَعٌ عَلَى

(١) يَنْقُلُ : أَرْبَعٌ عَلَى ظُلْمِكَ ؛ أَيِ الْغُلْبِ بِقَدْرِ مَا تَغْلِبُ ، وَلَا تَعْمَلُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِمَّا تَغْلِبُ

ظَلَمْتُكَ ؛ وضربت لى الأمثال ، أحاديث الضبع ، متى رأيتنى لعُرامِك^(١) هائباً ، ومن حَدَثِكَ ناكلاً ! وقلت : لئن لم تكفف لتجدنّ جانبي خَسِناً ، فلا أبقي الله عليك إن أبقيت ، ولا أرى عليك إن أرعيت ! فوالله لا أنهي عن قول الحق ، وصفة أهل العدل والفضل ، وذمّ الأخسرين أعمالاً ، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنُعا ؛ والسّلام .

قدّم معاوية للمدينة راجعاً من حجة حجّها ، فكثّر الناسُ عليه في حوائجهم ، فقال لصاحب إبله : قدّم إبلك ليلاً حتى أرتحل ؛ ففعل ذلك ، وسار ولم يعلم بأمره إلا عبد الله بن الزبير ؛ فإنه ركب فرسه وفقاً أثره ، ومعاوية نائم في هودجه فجعل ، يسيرُ إلى جانبه ، فانتبه معاوية ، وقد سمع وقع حافر الفرس ، فقال : من صاحب الفرس ؟ قال : أنا أبو خبيب ، لو قد قتلتك منذ الليلة إيمارحه ، فقال معاوية : كلاً لست من قتلة الملوك ، إنما بصيد كل طائر قدره . فقال ابن الزبير : إلى تقول هذا ، وقد وقعت في الصفّ بإزاء عليّ بن أبي طالب ؛ وهو من تعلم ! فقال معاوية : لا جرم ! إنه قتلك وأباك يسرى يديّه ، وبقيت يده اليمنى فارغة يطالب من يقتله بها . فقال ابن الزبير : أما والله ما كان ذاك إلا في نصر عثمان فلم يُجَزَّ به ، فقال معاوية : خلّ هذا عنك ، فوالله لولا شدة بُغْضِكَ ابن أبي طالب لجرّرت برجل عثمان مع الضبع . فقال ابن الزبير : أفعلتها يا معاوية ! أما إنّنا قد أعطيناك عهداً ، ونحن وافون لك به ما دمت حياً ، ولكن ليعلن من بعدك ، فقال معاوية : أما والله ما أخافك إلا على نفسك ، ولكاني بك وأنت مشدودّ مربوط في الأنشوطه^(٢) ، وأنت تقول : ليت أبا عبد الرحمن كان حياً ، وليتني كنت حياً يومئذ ، فأحلك حلاً رفيقاً ، وليتس المطلق والمعتق والمسنون عليه أنت يومئذ !

دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ عَلَى معاوية وعنده عمرو بن العاص، فتكلم عمرو - وأشار إلى ابن الزبير - فقال : هذا والله يَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي غَرَّقَهُ أَنْتُكَ، وَأَبْطَرَهُ حِمْلُكَ، فَهُوَ يَنْزُو فِي نَشْطِهِ نَزْوُ الْعَيْرِ فِي حَبَالَتِهِ، كُلَّمَا قَمَصَتْهُ الْغُلُوْلُ وَالشَّرُّةُ سَكَنْتِ الْأَنْشُوطَةُ مِنْهُ النَّفْرَةُ، وَأَحْرَبَهُ أَنْ يَشُولَ إِلَى الْقِتْلَةِ أَوْ الذِّلَّةِ، قَالَ ابْنُ الزَّيْبِرِ : أَمَا وَاللَّهِ يَا بْنَ الْعَاصِ، لَوْلَا أَنَّ الْإِيْمَانَ أَلْزَمَنَا بِالْوَفَاءِ، وَالطَّاعَةَ لِلْخُلَفَاءِ، فَنَحْنُ لَا نُرِيدُ بِذَلِكَ بَدَلًا، وَلَا عَنْهُ حَوْلًا؛ لَكُنَّا لِنَسْأَلُهُ وَلَكِ شَأْنٌ، وَلَوْ وَكَلَهُ الْقَضَاءُ إِلَى رَأْيِكَ، وَمَشُورَةُ نَظَرَاتِكَ لَدَافَعْنَاهُ بِمَكِيبٍ لَا تُثَوِّدُهُ الْمُرَاحَةُ، وَلَقَاذَنْفَاهُ بِحَجَرٍ لَا تَنْكُوهُ الْمُرَاجَعَةُ؛ فَقَالَ معاوية : أَمَا وَاللَّهِ يَا بْنَ الزَّيْبِرِ لَوْلَا إِثَارِي الْأَنَاءَةُ عَلَى الْعَجَلِ، وَالصَّفْحَ عَلَى الْعُقُوبَةِ، وَأَنِّي كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

أَجَامِلُ أَقْوَامًا حَيَاءً وَقَدْ أَرَى قُلُوبَهُمْ تَعْلَى عَلَى مِرَاضِهِمْ

إِذَا لَقَرْتَ نَتْنُكَ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْحَرَمِ تُسَكِّنُ بِهَا غُلُوْلَاءَكَ، وَيَنْقُطِعُ عِنْدَهَا طَمَعُكَ، وَتَنْقُصُ مِنْ أَمْلِكَ، مَا لَعَلَّكَ قَدْ لَوَيْتَهُ فَشَرَزْتَهُ، وَفَتَلْتَهُ فَأَبْرَمْتَهُ. وَإِيْمُ اللَّهِ إِنَّكَ مِنْ ذَلِكَ لَعَلَى شَرَفِ جُرُفٍ بَعِيدِ الْهَوَاةِ؛ فَكُنْ عَلَى نَفْسِكَ وَهَلَا، فَتُؤْبِقَ وَلَا تَنْقُذَ غَيْرَهَا، فَشَأْنُكَ وَإِيَّاهَا.

قَطَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ فِي الْخُطْبَةِ ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جَمْعًا كَثِيرَةً، فَاسْتَعْظَمَ النَّاسُ ذَلِكَ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَلَكِنْ لَهُ أَهْمِيلٌ سَوْءٌ إِذَا ذَكَرْتُهُ أَتَمَعُوا أَعْنَاقَهُمْ، فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أُكْرِتَهُمْ.

لَمَّا كَاشَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ بَنِي هَاشِمٍ وَأَخْلَصَ بُغْضَهُمْ وَعَابَهُمْ، وَهُمْ يَتَاهَمُونَ بِهِ فِي

أمرهم ، ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة ، لا يوم الجمعة ولا غيرها ، عاتبه على ذلك قوم من خاصته ، وتشاءوا بذلك منه ، وخافوا عاقبته ، فقال : والله ما تركت ذلك علانية إلا وأنا أقوله سرا وأكثر منه ؛ لكتفى رأيت بنى هاشم إذا سمعوا ذكره اشرأبوا واحمرت ألوانهم ، وطالت رقابهم ، والله ما كنت لأنى لهم سرورا وأنا أقدر عليه ، والله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرمها عليهم نارا ، فإني لا أقتل منهم إلا آتيا كفارا سحارا ، لا أنعام^(١) الله ولا بآرك عليهم ، بيت سوء لا أول لهم ولا آخر ، والله ما ترك نبي الله فيهم خيرا ، استفرع نبي الله صدقهم فهم أكذب الناس .

فقام إليه محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال : وثقتك الله يا أمير المؤمنين ! أنا أول من أعانك في أمرهم ، فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجهمي ، فقال : والله ما قلت صوابا ، ولا هممت برشد ، أرهط رسول الله صلى الله عليه وآله تعيب ، وإياهم تقتل ، والعرب حولك ! والله لو قتلت عديتهم أهل بيت من الترك مسلحين ما سوغه الله لك ، والله لو لم^(٢) ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره . فقال : اجلس أبا صفوان فليست بناموس^(٣) .

فبلغ الخبر عبد الله بن العباس ، فخرج مفضيا ومعه ابنه حتى أتى المسجد ، فقصد قصد النبر فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال : أيتها الناس ، إن ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا آخر ، فيأعجبنا كل العجب لإفترائه ولكذبه ! والله إن أول من أخذ الإيلاف ونحو عيرات^(٤)

(١) لا أنعام : لا أكثر عددهم . (٢) في د ه لولا . (٣) الناموس : الحافق

(٤) العير : بالكسر : الإبل تحمل البيرة ؛ بلا واحد من لفظها ، وجمعه عيرات

قريش لهاشم ، وإن أول من سقى بمكة عذبا^(١) ، وجعل باب الكعبة ذهابا لعبد المطلب ، والله لقد نشأت ناشتينا مع ناشئة قريش وإن كنا لقآلهم^(٢) إذا قالوا ، وخطباءهم إذا خطبوا ؛ وما عدّ نجد كجد أولنا ، ولا كان في قريش جد لغيرنا ؛ لأنها في كفر ماحق ، ودين فاسق ، وضلة وضلالة ، في عشواء^(٣) عمياء ، حتى اختار الله تعالى لها نورا ، وبعث لها سراجا ، فانتجبه^(٤) طيبا من طيبين ، لا يسبه بمسبة ، ولا يبغى عليه غائلة ، فكان أحدنا وولدنا ، وعمنا وابن عمنا^(٥) ثم إن أسبق السابقين إليه منا وابن عمنا ، ثم تلاه في السبق ، أهلكنا ولحقنا^(٦) واحدا بعد واحد .

ثم إنا نخير الناس بعده وأكرمهم أدبا ، وأشرقهم حسبا ، وأقربهم منه رحما . وأعجبنا كل العجب لأبن الزبير ! يبيب بنى هاشم ، وإنما شرف هو وأبوه وجدّه بمصاهرهم ؛ أما والله إنه لمسلوب قريش ، ومتى كان العوام بن خويلد بطمع في صفة بنت عبد المطلب ! قيل للبغل : من أبوك يا بغل ؟ فقال : خالي القرس . ثم نزل .

خطب ابن الزبير بمكة على المنبر ؛ وأبن عباس جالس مع الناس تحت المنبر ، فقال : إن هاهنا رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره ، يزعم أن منعة النساء حلال من الله ورسوله ، ويفتي في القملة والنملة ؛ وقد احتمل بيت مال البصرة بالأمس ، وترك المسلمين بها يرتضخون^(٧) النوى ؛ وكيف ألومّه في ذلك ، وقد قاتل أمّ المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن وقاه بيده !

(١) في الطبرى : « وعبد المطلب هو الذى كشف عن زمزم يدر إسماعيل بن إبراهيم واستخرج ما كان فيها مدفونا » .

(٢) القالة : جمع قائل

(٣) فتنة عشواء ، من العشى ؛ وهو سوء البصر بالليل والنهار .

(٤) انتجبه : انتخبه .

(٥) ابن عمنا ، أى على بن أبى طالب

(٦) يركسرونه : يكسرونه .

(٧) اللحة : القرابة .

فقال ابن عباس لقائده سعد بن جبير بن هشام مولى بنى أسد بن خزيمة : استقبل بى وجه ابن الزبير ، وارفع من صدري ؛ وكان ابن عباس قد كفّ بصره فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير ، وأقام قائمته فحسّر عن ذرائعيه ، ثم قال يابن الزبير :

قد أنصف القارة من راماها ^(١) إنا إذا ما فئسة نلقاها

بردة أولاهما على أخراها حتى تصير حرضا دغواها ^(٢)

يابن الزبير ؛ أما العمى فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ^(٣) ؛ وأما فتياى فى القملة والنملة ؛ فإن فيها حُكْمَيْنِ لَا تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا أَصْحَابُكَ . وأما تحلى المال فإنه كان مالا جفينا فأعطينا كل ذى حق حقه ، وبقيت بقية هي دون حَقِّنا فى كتاب الله فأخذناها بحَقِّنا . وأما المنة فسئل أمك أسماء إذا نزلت عن بُردى عوسجة . وأما قتالنا أم المؤمنين فبنا سميت أم المؤمنين لا بك ولا بأبيك ؛ فانطلق أبوك وخلالك إلى حِجَابِ مَدَّةِ اللَّهِ عَلَيْهَا ، فَهَتَكَاهُ عَنْهَا ، ثُمَّ أَخَذَاهَا فَتَنَةً بِقَاتِلَانِ دُونَهَا ، وَصَانَا حِلَالَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا ، فَمَا أَنْصَفَا اللَّهَ وَلَا مُحَمَّدًا مِنْ أَنْفُسِهِمَا أَنْ أُبْرِزَا زَوْجَةَ نَبِيِّهِ وَصَانَا حِلَالَهُمَا . وأما قتالنا إِيَّاكُمْ فَإِنَّا لَعِينَاكُمْ زَحْفًا ، فَإِنْ كُنَّا كُفَّارًا فَقَدْ كَفَرْتُمْ بِغُرَارِكُمْ مِنَّا ، وَإِنْ كُنَّا مُؤْمِنِينَ فَقَدْ كَفَرْتُمْ بِقِتَالِكُمْ إِيَّانَا ، وَإِيْمُ اللَّهِ لَوْلَا مَكَانُ صَفِيَّةٍ فِيكُمْ ، وَمَكَانُ خَدِيجَةَ فِينَا ، لَمَا تَرَكْتُ لِبَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزَى عَظْمًا إِلَّا كَسَرْتَهُ .

فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سألتها عن بُردى عوسجة ، فقالت : ألم أنهك عن ابن عباس وعن بنى هاشم ! فَإِنَّهُمْ كُفَرٌ ^(٤) الجواب إذا بدِّهوا ، فقال : بلى ، وعصبتك .

(١) فى اللسان : القارة : قوم رماة من العرب ، وفى اللئى : « قد أنصف القارة من راماها » .

(٢) المرض : الفساد فى الذهن والعقل والبدن .

(٣) سورة الحج آية ٤٦

(٤) كُفَرٌ البعير : شداه لئلا يعض أو يأكل ، والكُفَرُ : ككتاب : ما يعمل على فقه ، والجَمُّ كُفَرٌ ، والمعنى أنهم ذوو أجوبة مسكنة محرسة تلجم أفواه مناظرهم .

قالت : يا بُنَيَّ ، احذر هذا الأعمى الذي ما أطاقته الإنس والجن ، وأعلم أن عنده فضاخ قريش وتحازيها بأسرها ، فإياك وإياه آخر الدهر ، فقال : أيعنُّ بنُ خريم بنِ فاتك الأسدى :

يا بن الزبير لقد لاقيت باقةً من البسواثقِ فالطف لطفَ مُحْتالٍ
لاقيته هاشمياً طابَ منبته في مغرٍ سيَّسه كريمُ العمِّ والخالِ
ما زال يقرعُ عنك العظم مقتلداً على الجواب بصوتٍ مُسمع عالٍ
حتى رأيتك مثلَ الكلبِ مُنْجَجِراً خلفَ الغيظِ وكنتَ الباذِخَ العالِ
إن ابنَ عباسٍ للمعروفِ حِكْمَتُهُ خيرُ الأنامِ له حالٌ من الحالِ
عسيرته المُنْعَمُ المتبوعُ سَتَبُها وبالقتالِ وقد عسَّرتَ بالمالِ
لما رَمَاكَ على رِشْلٍ بِأَسْهُمِهِ جرتَ عليك بسيفِ الحالِ والبالِ
فأحزَّ مَقْـسُولُكَ الأُغْلَى بشفرته حَزّاً وَحِياً بلا قِيسٍ ولا قالِ (١)
وأعلمُ بأنك إن عاودتَ غيبتَهُ عادتَ عليك نَحْـازِ ذاتِ أذْيالِ

وروى عثمان بن طلحة العبدري ، قال : شهدتُ من ابنِ عباسٍ رحمه الله مشهداً ماسمته من رجلٍ من قريش ، كان يوضع إلى جانب سريرِ مروان بن الحكم وهو يومئذ أميرُ المدينة سريرٌ آخرُ أصفر من سريره ؛ فيجلس عليه عبدُ الله بنُ عباس إذا دخل ، وتوضع الوسائد فيما ينوي ذلك ، فأذن مروانُ يوماً للناس ، وإذا سريرُ آخر قد أحدث تحاه سريرُ مروان ، فأقبل ابنُ عباسٍ فجلس على سريره ، وجاء عبدُ الله بنُ الزبير فجلس على السرير المحدث ، وسكت مروانُ والقوم ، فإذا يدُ ابنِ الزبير تتحرك

فلم أنه يريد أن ينطق ، ثم نطق فقال : إن ناسا يزعمون أن بيعة أبي بكر كانت غطاء وقتلة ومغالبة؛ ألا إن شأن أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا ، يزعمون أنه لولا ما وقع لكان الأمر لهم وفيهم ، والله ما كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أحد أثبت إيماناً ، ولا أعظم سابقة من أبي بكر ، فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله ! فأين هم حين عقد أبو بكر لعمر ، فلم يكن إلا ما قال ، ثم ألقى عمر حطهم في حظوظ ، وجدّهم في جُدود ، قسّمت تلك الحظوظ ، فأخر الله سهمتهم ، وأدحض جدّهم ، وولي الأمر عليهم من كان أحقّ به منهم ، فخرجوا عليه خروج اللصوص على التاجر خارجاً من القرية ، فأصابوا منه غيرة فقتلوه ، ثم قتلهم الله به كل قتلة ، وصاروا مطرودين تحت بطون الكواكب .

فقال ابن عباس : على رسلك (١) أيها القاتل في أبي بكر وعمر والخلافة ، أما والله ما نالاً ولا نال أحدٌ منهما شيئاً إلا وصاحبنا خيرٌ ممن نالاً ، وما أنكرنا تقدّم من تقدّم لعيب عيبناه عليه ؛ ولو تقدّم صاحبنا لكان أهلاً وفوق الأهل ، ولولا أنك إنما تذكر حظّ غيرك وشرف امرئ سواك لكلمتك ، ولكن ما أنت وما لاحظ لك فيه ! اقتصر على حظّك ، ودعّ تيمناً لتيمن ، وعدّياً لعدّى ، وأمّية لأمية ، ولو كلنى تيمناً أو عدّواً أو أمّياً لكلمته وأخبرته خبر حاضر عن حاضر ، لا خبر غائب عن غائب ، ولكن ما أنت ، وما ليس عليك ! فإن يكن في أسد بن عبد العزى شيء فهو لك ، أما والله لنحن أقرب بك عهداً ، وأبيض عندك يداً ، وأوفر عندك نعمة ممن أمسبت ؛ نظنّ أنك تصول به علينا ، وما أخلق ثوب صفيّة بعد ! والله المستعان على ما تصفون .

أوصى معاوية يزيد ابنه لما عقده الخلافة بعده؛ فقال : إني لا أخاف عليك إلا ممن أوصيك بحفظ قرابته ورعاية حق رَحْمه ، من القلوب إليه مائلة ، والأهواء نحوه جانحة ، والأعين إليه طامحة ، وهو الحسين بن علي ، فاقسم له نصيباً من حِلْمك ، وأخصصه بقسط وافٍ من مالِك ؛ ومتَّعه بروح الحياة ، وأبلغ له كل ما أحب في أيامك ، فأما من عداه فتلاثة : وهم عبدُ الله بن عمر رجلٌ قد وقفته العبادة ؛ فليس يريد الدنيا إلا أن تجنيه طائفة ، لا تراق فيها محجمة دَم ، وعبدُ الرحمن بن أبي بكر ، رجل هَقْلٌ ^(١) لا يحمل ثِقلاً ، ولا يستطيع نهوضاً ؛ وليس بذى همة ولا شرف ولا أَمْعوان ، وعبدُ الله ابنُ الزبير وهو الذئب الماكر ، والشعلب الخائر ؛ فوجهُ إليه جدك وعزَمُك ونسكُك ومكرُك ؛ وأصرفْ إليه سطوتك ، ولا تنقُ إليه في حال ، فإنه كالشعلب ، راغٍ بالخلل عند الإرهاق ، والليث صالٍ بالجرأة عند الإطلاق ؛ وأما ما بعد هؤلاء فإني قد وطأتُ لك الأمم ، وذلتُ لك أعناقَ المنابر ، وكفبتُك من قُرب منك ، ومن بعدُ عنك فكن للناس كما كان أبوك لهم يكونوا لك كما كانوا لأبيك .

خطب عبدُ الله بن الزبير أيام يزيد بن معاوية فقال في خطبته : يزيد القُرود ، يزيد القُهود ، يزيد الخُجور ، يزيد القُجور ! أما والله لقد بلغني أنه لا يزال مخموراً يخطبُ الناس وهو طافحٌ في سُكره . فبلغ ذلك يزيد بن معاوية ، فما أَمسى ليلته حتى جهز جيش الحرّة ، وهو عشرون ألفاً ، وجلس والشُّموعُ بين يديه ، وعليه ثيابٌ معصّرة ، والجنود تُعرض عليه ليلاً ، فلما أصبح خرج فأبصر الجيش ، ورأى تعبته فقال : أبلغ أبا بكر إذا الجيش أنبأني وأخذ القوم على وادي القُرى

(١) الهقل : القبي من النعام .

عِشْرِينَ أَلْفًا بَيْنَ كَهْلٍ وَفَتًى . أَجْمَعَ سَكْرَانٌ مِنَ الْقَوْمِ تَرَى
* أَمْ يَجْمَعُ لَيْثٌ دُونَهُ لَيْثُ الشَّرِّ *

لَمَّا خَرَجَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْعِرَاقِ ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَدَهُ
عَلَى مَنْكَبِ ابْنِ الزَّيْرِ؛ وَقَالَ :

يَلَلَكِ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَيَبِضِي وَاصْفِرِي ^(١)
وَتَقْرِي مَا شِئْتَ أَنْ تَقْرِي هَذَا الْحُسَيْنُ سَائِرًا فَأُبْشِرِي

خَلَا الْجَوْ وَاللَّهُ لَكَ يَا ابْنَ الزَّيْرِ ! وَسَارَ الْحُسَيْنُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَقَالَ ابْنُ الزَّيْرِ : يَا ابْنَ
عَبَّاسَ ، وَاللَّهِ مَا تَرَوْنَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لَكُمْ ، وَلَا تَرَوْنَ إِلَّا أَنْكُمْ أَحَقُّ بِهِ مِنْ جَمِيعِ
النَّاسِ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّمَا يَرَى مَنْ كَانَ فِي شَكٍّ ، وَنَحْنُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى يَقِينٍ
وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي عَنْ نَفْسِكَ ، بِمَاذَا تَرَوْنَ هَذَا الْأَمْرَ ؟ قَالَ : بِشَرَفِي ، قَالَ : وَبِمَاذَا شَرُفْتَ
إِنْ كَانَ لَكَ شَرَفٌ ؟ فَإِنَّمَا هُوَ بَنَانٌ ، فَنَحْنُ أَشْرَفُ مِنْكَ ، لِأَنَّ شَرَفَكَ مِنَّا . وَعَلَتْ
صَوَاتُهُمَا ، فَقَالَ غُلَامٌ مِنْ آلِ الزَّيْرِ : دَعْنَا مِنْكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ؛ فَوَاللَّهِ لَا تُحِبُّونَا يَا ابْنَ هَاشِمٍ
وَلَا تُحِبِّكُمْ أَبَدًا ؛ فَأَطَاعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ يَدُهُ وَقَالَ : أَتَتَكَلَّمُ وَأَنَا حَاضِرٌ ! فَقَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمْ ضَرَبْتَ الْغُلَامَ ، وَاللَّهِ أَحَقُّ بِالضَّرْبِ مِنْهُ مِنْ مَرْقٍ وَمَرْقٍ ، قَالَ :
وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَنْتَ .

قَالَ : وَاعْتَرَضَ بَيْنَهُمَا رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَسْكَنْتَهُمَا .

(١) تنسب الأبيات إلى طرفة ، الضد الأخير ١٨٠ .

دخل عبد الله بن الزبير على معاوية ، فقال : اسمع أبياتا قلتها عاتيك فيها ، قال : هات ، فأنشده :

لعمري ما أذري وإني لأوجلُ على أبتنا تعدو المنية أولُ
وإني أخوك الدائم العهد لم أزلُ إن أعيالك خصم أونيا بك منزلُ
أحاربُ من حاربت من ذي عداوة وأحبس يوما إن حبست فأعقلُ
وإن سوئتي يوما صفحت إلى غدٍ ليعقب يومٌ منك آخر مقبلُ
سنتطع في الدنيا إذا ما قطعني بمينك ، فانظر أي كفت تبدلُ
إذا أنت لم تُصِف أخاك وجدته على طرف الحجر إن كان يعقلُ
ويركب حدَّ السيف من أن تضيقه إذا لم يكن عن شفرة السيف معدلُ
وكنت إذا ما صاحب مل محبتي وبدل سرا بالذي كنت أفعلُ
قابت له ظهر المجن ولم أقم على الضيم إلا ريثما أتحولُ
وفي الناس إن رئت جبالك واصلُ وفي الأرض عن دار القلي متحولُ
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذ إليه بوجه آخر الدهر تقبلُ

فقال معاوية : لقد شعرت بعدى يا أبا خبيب ! وبينما هما في ذلك دخل معن بن أوس التميمي ، فقال له معاوية : يا معن ! هل أحدثت بعدنا شيئا ؟ قال : نعم ، قال : قل : فأنشد هذه الأبيات ، فعجب معاوية وقال لابن الزبير : ألم تنشدها لنفسك آفا ! فقال : أنا سويت المعاني ، وهو ألف الألفاظ ونظامها ، وهو بعد ظنري ^(١) ، فما قال من شيء فهو لي - وكان ابن الزبير مسترضعا في مربيته - فقال معاوية : وكذبا يا أبا خبيب ! فقام عبد الله فخرج .

(١) يقال : هو ظنره وهو ظنره ، وهم ومن أطلقه ، أي أخوانه من الرضاة .

وقال الشعبي : فقد رأيت عجبا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير ، فقام القوم بعد ما فرغوا من حديثهم ، فقالوا : ليقم كل واحد منكم ؛ فليأخذ بالركن اليماني ، ثم يسأل الله تعالى حاجته ، فقام عبد الله بن الزبير فالتزم الركن وقال : اللهم إني أعظمُ ترجي لكَ عظيم ، أسألك بحُرمة وجهك وحُرمة عزِّك وحُرمة بيتك هذا ، ألا تخرجني من الدنيا حتى ألي الحجاز ، ويسلم علي بالخلافة ، وجاء فجلس .

فقام أخوه مصعب فالتزم الركن وقال اللهم رب كل شيء ، وإليك مصير كل شيء ، أسألك بقدرتك على كل شيء ، ألا تُمنيني حتى ألي العراق ، وأتزوج سَكينة بنت الحسين بن علي عليه السلام ثم جاء فجلس .

فقام عبد الملك فالتزم الركن وقال : اللهم رب السموات السبع ، والأرض ذات النبت والقفر ، أسألك بما سألك به المطيعون لأمرك ، وأسألك بحق وجهك ، وبحقك على جميع خلقك ، ألا تُمنيني حتى ألي شرق الأرض وغربها ، لا يُنازعني أحد إلا ظهرت عليه ، ثم جاء فجلس .

فقام عبد الله بن عمر فأخذ بالركن وقال : يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ ، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك ، وبقدرتك على جميع خلقك ، أن لا تُمنيني حتى توجب لي الرحمة .

قال الشعبي : فوالله ما خرجتُ من الدنيا حتى بلغ كل من الثلاثة ما سأل ، وأخلق بعبد الله بن عمر أن تجاب دعوته ، وأن يكون من أهل الرحمة .

قال الحجاج في خطبته يوم دخل الكوفة : هذا أدبُ ابنِ نَهية ، أما والله لأؤدّبَنكم غيرَ هذا الأدب .

قال ابن مأكولا في كتاب الإكمال : « يعنى مُصعب بن الزبير وعبد الله أخاه ، وهى نَهية بنتُ سعيد بن سهم بن هُصَيْص ، وهى أمّ ولد أسد بن عبد العزى بن قُصَي » ، وهذا من المواضع الغامضة .

وروى الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريش قال : قدّم وفدٌ من العراق على عبد الله بن الزبير ، فأَتَوْه في المسجد الحرام ، فسلموا عليه ، فسألهم عن مصعب أخيه وعن سيرته فيهم ، فأثَنُوا عليه ، وقالوا : خيراً ، وذلك في يومِ جمعة ، فصلّى عبد الله بالناس الجمعة ، ثمّ صعد المنبر ، فحمد الله ثمّ تمثل :

قد جرّبوني ثمّ جرّبوني من غلوتين ومن المئين^(١)

حتى إذا شابوا وشيّبوني خلّوا عني ثمّ سيّبوني^(٢)

أيّها الناس ، إني قد سألتُ هذا الوفد من أهل العراق عن عاملهم مصعب بن الزبير فأحسنوا الثناء عليه ، وذكروا عنه ما أحبّ ، ألا إن مصعباً أطبى^(٣) القلوب حتى لا تعدل به ، والأهواء حتى لا تحوّل عنه ، واستمال الألسن بثنائها ، والقلوب بنصائحها ، والأنفس بمحبّتها وهو المحبوب في خاصّته ، المأمون في عامّته ، بما أطلق الله به لسانه من الخير وبسط به يديه من البذل ، ثمّ نزل .

وروى الزبير قال : لما جاء عبد الله بن الزبير نعى المصعب صعد المنبر فقال :

(١) الغلوة : الغاية

(٢) سيّبوني : تركوني .

(٣) أطبى القلوب : استمالها .

الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ألا وإنه لم يُذلل الله من كان الحق معه ولو كان فردا ، ولم يعزز الله ولي الشيطان وحزبه وإن كان الأناس كلهم معه ، ألا وإنه قد أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا ، أتانا قتل المصعب رحمه الله ، فأتانا الذي أحزننا فإن لعراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوى بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر وكرم المراء ، وأما الذي أفرحنا فإن قتله كان عن شهادة ، وأن الله تعالى جعل ذلك لنا وله ذخيرة ، ألا إن أهل العراق ، أهل الغدر والنفاق ، أسلموه وباعوه بأقل الثمن فإن يقتل المصعب فإننا لله وإننا إليه راجعون ما يموت جَبَحا كما يموت بنو العاص ، ما يموت إلا قتلا ، قصصاً^(١) بالرماح ، وموتاً تحت ظلال السيوف ، إلا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد ، فإن تُقيل الدنيا على لا آخذها أخذ الأشر البطر^(٢) ، وإن تُذبر عني لا أبكي عليها بكاء الخريف المهر ، وإن يهلك المصعب فإن في آل الزبير خلفاء ، ثم نزل .

وروى الزبير بن بكار قال : خطب عبد الله بن الزبير بعد أن جاءه مقتل المصعب ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لئن أُصِبتُ بمصعب فلقد أُصِبتُ بإمامي عثمان فمظمت مصيبته ، ثم أحسن الله وأجل ، ولئن أُصِبتُ بمصعب فلقد أُصِبتُ بأبي الزبير ، فمظمت مصيبته ، فظننت أني لا أجيزها ، ثم أحسن الله وسلم واستمرت مريتي ، وهل كان مصعب إلا فتى من فتيانى ، ثم غلبه البكاء فسالت دموعه وقال : كان والله مرياً مرياً ثم قال :

(١) القصص : الموت السريع .
(٢) الأشر والبطر كلاهما بمعنى واحد .

هُمْ دَفَعُوا الدُّنْيَا عَلَى حِينٍ أَعْرَضَتْ كَرَامًا وَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّأْسِيَا

وَرَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ فِي الْكَامِلِ أَنَّ عُرْوَةَ لَمَّا صُلِبَ عَبْدُ اللَّهِ جَاءَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَوَقَفَ بِيَابِهِ ، وَقَالَ لِلْحَاجِبِ : أَعْلِمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِالْبَابِ ، فَدَخَلَ الْحَاجِبُ فَقَالَ : رَجُلٌ يَقُولُ قَوْلًا عَظِيمًا . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ فَتَهَيَّبَ ، فَقَالَ : قُلْ . قَالَ : رَجُلٌ يَقُولُ : قُلْ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِالْبَابِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : قُلْ لِعُرْوَةَ يَدْخُلُ ، فَدَخَلَ فَقَالَ : تَأْمُرُ بِإِنزَالِ حَبِيبَةِ أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّ النِّسَاءَ يَجْرَعْنَ ، فَأَمَرْنَا بِإِنزَالِهِ قَالَ : وَقَدْ كَانَ كَتَبَ الْحَاجِبُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَقُولُ : إِنَّ خَزَائِنَ عَبْدِ اللَّهِ عِنْدَ عُرْوَةَ ، فَمَرَّهْ فَلْيَسْلَمْهَا ؛ فَدَفَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْكِتَابَ إِلَى عُرْوَةَ ، وَظَنَّ أَنَّهُ يَتَغَيَّرُ ، فَلَمْ يَحْفَلْ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ مَاقْرَأَهُ ، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَاجِبِ أَنْ لَا يَعْزِضَ لِعُرْوَةَ .

بِرَحْمَةِ كَامِلِيَّةِ عِلْمِ سِدِّي

وَمِنَ الْكَلَامِ الْمَشْهُورِ فِي يُحْتَلِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْكَلَامَ الَّذِي يُحْكِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا^(١) أَتَاهُ يَسْتَحِيلُهُ ، فَقَالَ : قَدْ نَقَبَ خُفَّ رَاحِلَتِي فَاحْلَنِي^(٢) إِنِّي قَطَعْتُ الْمَوَاجِرَ إِلَيْكَ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ ارْزُقْمَهَا بِسَبْتٍ ، وَأَخْصِفْهَا بِهَلَبٍ ، وَأَنْجِدْ بِهَا ، وَسِرْ بِهَا الْبَرْدِينَ^(٣) ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَتَيْتُكَ مُسْتَحِيلًا ، لَمْ آتِكَ مُتَوَصِّفًا ، لِمَنْ اللَّهُ نَاقَةٌ حَلَنْتِي إِلَيْكَ ، قَالَ : إِنَّ وَرَاكِبَهَا^(٤) .

(١) الخبر في الأغاني ١ : ١٥ ، ١٦

(٢) الأغاني : « نَقَدْتُ تَقَفِي ، وَنَقَبْتُ رَاحِلَتِي » . وَنَقَبَ الْبَعِيرُ ؟ إِذَا رَفَتِ أَخْفَافَهُ .

(٣) السبوت : حلول البقر المدبوغة بالقرظ تحذى منها النعال السبئية . والمخصف : أن يظاھر الجلودين بعضهما إلى بعض ويخرزهما . والهلب : شعر الخنزير الذي يخرز به ، الواحد حلب ، وأنجد ، إذا دخل بلاد نجد ، وهو موصوف بالبرد : والبردان : القنطرة والعشى .

(٤) في الأغاني عن البزیدي : « إن » هاهنا بمعنى نعم ، كأنه إقرار بما قال ، ومثله قول ابن قيس الرقيات :

وَيَقْلَنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا لَكَ وَقَدْ كَثُرَتْ ، فَهَلَّتْ إِيَّاهُ

وهذا الأعرابي هو فضالة بن شريك، فهجاه فقال :

أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خَيْبٍ نَكِدُنْ وَلَا أُمِّيَّةَ بِالْإِسْلَامِ^(١)
 مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغْرَ كُفْرُهُ الْفَرَسَ الْجَسَّادِ

دخل عبدُ الله بنُ الزبير على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تدعن مروانَ يرمى جواهرَ قریش بمشاقصه^(٢) ، وَيَضْرِبَ صَفَاتَهُمْ بِمَعْوَلِهِ ، أَمَا وَاللَّهِ . إِنَّهُ لَوْلَا مَكَانُكَ لَكَانَ أَخْفَ عَلَى رِقَابِنَا مِنْ فَرَّاشَةٍ ، وَأَقْلَ فِي أَنْفُسِنَا مِنْ حُشَّاشَةٍ^(٣) . وَإِيْمُ اللَّهِ لَئِنْ مَلَكَ أَعْيَنَةُ خَيْلٍ تَنْقَادُ لَهُ لَتَرْكَبُنَّ مِنْهُ طَبَقًا^(٤) . تَخَافُهُ .

فقال : معاوية : إِنْ يَطْلُبُ مَرْوَانَ هَذَا الْأَمْرُ فَقَدْ طَمِعَ فِيهِ مَنْ هُوَ دُونَهُ ، وَإِنْ يَتْرُكُهُ يَتْرُكُهُ لِمَنْ فَوْقَهُ ، وَمَا أَرَأَاكُمْ بِنَسِيهِنَ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ لَا يَعْطِفُ عَلَيْكُمْ بِقَرَابَةٍ ، وَلَا يَذْكُرُكُمْ عِنْدَ مَلِكَةٍ ، يَسُومُكُمْ خَسْفًا ، وَيَسُوقُكُمْ عَسْفًا .

فقال ابنُ الزبير : إِذْنُ وَاللَّهِ يَطْلُقُ عَقَالَ الْحَرْبِ بِكَتَائِبِ تَمُورٍ^(٥) كَرَجُلِ الْجَرَادِ ، تَتَّبِعُ غِطْرُيقًا^(٦) مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ تَكُنْ أُمُّهُ رَاعِيَةً ثَلَاثَةً^(٧) .

فقال معاوية : أَنَا بِنَ هِنْدٍ ، أَطْلَقْتُ عَقَالَ الْحَرْبِ ، فَأَكَلْتُ ذِرْوَةَ السَّامِ ، وَشَرِبْتُ عُفْوَانَ الْمَكْرَعِ^(٨) . وَلَيْسَ لِلْأَكْلِ بَعْدَى إِلَّا الْفَلْدَةُ^(٩) ، وَلَا لِلشَّارِبِ إِلَّا الرَنْقُ^(١٠) .

(١) من ستة أبيات في الأغاني . وأبو خبيب كنية ابن الزبير ؛ وخبيب ولده الأكبر . ويقال : نكده حاجته ؛ إذا منه إياها .

(٢) المشاقص : جمع مشقص ؛ وهو النصل الطويل ، أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش .

(٣) الحشاشة : واحدة الحشاش ؛ وهي حشرات الأرض والعصافير ونحوها .

(٤) الطبق : الحال ؛ وفق قوله تعالى : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ .

(٥) تمور : تضطرب . (٦) الغطريف : السيد الشريف .

(٧) الثلة : جماعة الغنم ؛ أو الكتيرة منها .

(٨) عفوان الشيء : أوله ، أو أول بهجته . والمكراع : المورد ، مفعول من كرع في الماء أو الإناء .

(٩) الفلدة : القطعة من اللحم (١٠) ماء رنق : كدر .

فككت ابن الزبير .

قَدِمَ عبد الله بنُ الزبير على معاوية واقفا ، فرحَّب به وأدناه حتَّى أَجَلَسَهُ على سريره ، ثم قال : حاجتُكَ أبا خُيَّب ، فسأله أشياء ، ثم قال له : سَلْ غيرَ ما سألتَ ؛ قال : نعم . المهاجرون والأنصار تردُّ عليهم فيهم ، وتحفظ وصيةَ نبيِّ الله فيهم ، تقبل من محسنهم ، وتتجاوز عن مُسيئهم .

فقال معاوية : هَيَّاتَ هَيَّاتَ ، لا والله ما تَأْمَنُ النعجةُ الذئبُ وقد أَكَلَ أَلَيْتَهَا^(١) .

فقال ابنُ الزبير . مَهْلا يا معاوية ، فإنَّ الشاةَ لتدور للعالم وإنَّ اللدنيةَ في يده وإنَّ الرجلَ الأدبَ ليصانع ولدم الذي يخرج من صُلْبِهِ ، وما تدور الرحى إلا بقطبها ، ولا تصلح القوسُ إلا بمتعجبها^(٢) .

فقال : يَا أبا خُيَّب ، لقد أجزرتَ الطرؤقةَ قَبْلَ هَيَّابِ الفحل^(٣) هَيَّاتَ ، وهي لا تصطكُ لحبائها اصطكاكُ القرومِ السوامي^(٤) .

فقال ابنُ الزبير : العطنُ بعد العَلِّ والعلُّ بعد النهلِ ، ولا بدُّ للرحاء من الثفال^(٥) ثم نهض ابنُ الزبير .

فلما كان العشاء أخذتْ قُرَيْشٌ مجالسها ، وخرج معاويةُ على بني أمية فوجد عمرو

(١) الآية : ماركب في العظم من شحم ولحم . (٢) المتعجب : القبط

(٣) ناقة طرؤقة الفحل : بلغت أن يضربها الفحل . وأجزره رسته : جعله يجره . وهب الفحل من الإبل وغيرها هبابا وهيبا ، أراد السفاد

(٤) تصطك : تضطرب . والقروم : جمع قرم ؛ وهو الفحل والسوامي : جمع سام ، وصف من سما الفحل سماء : تطاول إلى الناقة التي تشول بذنبها رغبة الافاح .

(٥) العطن : مبرك الإبل حول الحوض . والعلُّ والعلل : الضرب الثاني ، والنهل : الضرب الأول . والثفال : جلد أو نحوه يبط تحت الرحى ليقع عليه الطحين .

ابن العاص فيهم ، فقال : و تحكم يا بني أمية ! أفيسكم من يكفيني ابن الزبير ؟ فقال عمرو : أنا أ كفيك يا أمير المؤمنين ؟ قال ما أغلثك تفعل ؟ قال : بلى والله لأربدن وجهه ^(١) ولأخرسن لسانه ، ولأردنه ألين من خيلة ^(٢) .

فقال : دونك ، فأعرض له إذا دخل ، فدخل ابن الزبير ، وكان قد بلغه كلام معاوية وعمرو ، فجلس نصب عيني عمرو ، فتحدثوا ساعة ثم قال عمرو :

وإني لنار ما يطلق اصطلاؤها لدى كلام معضل متفاقم ^(٣)

فأطرق ابن الزبير ساعة ينكت في الأرض ، ثم رفع رأسه وقال :

وإني لبحر ما يسامى عبابه متى يلتق بحري حر نارك يحمده

فقال عمرو : والله يا ابن الزبير إنك ما علمت لتجلبب أجلايب القثنة متأزر بوصائل ^(٤) الثنية ، تتعاطى الذرا الشاهقة ، والمعالى الباسقة . وما أنت من قرش في لباب جوهرها ولا مؤنق حسبها ^(٥) .

فقال ابن الزبير : أما ما ذكرت من تعاطى الذرافاته طال بي إليها وسما ، ما لا يطول بك مثله أنف حي ، وقلب ذكي ، وصارم مشرفي ، في تكليد فارع ^(٦) ، وطريف مانع ، إذ قعد بك انتفاخ سحرك ^(٧) ، ووجيب قلبك ^(٨) . وأما ما ذكرت من أني لست من قرش في لباب جوهرها ، ومؤنق حسبها ، فقد حضرني وإياك الأكفاء العالمون بي وبك ، فأجعلهم بيني وبينك .

(١) أي لأصيرنه أريد ، والريدة : لون إلى الغيرة .

(٢) الخيلة : القطيفة . (٣) تفاقم الأمر ، إذا عظم .

(٤) الوصائل : جمع وصيلة ؛ وهي ثوب مخطط عان

(٥) آقنى الشيء لبنافا ؛ أعني فهو مؤنق .

(٦) فارع : حال .

(٧) السحر : الرثة ؛ ويقال : انتفخ سحره ؛ أي عدا طوره .

(٨) وجيب القلب : خفاته واضطرابه .

فقال القوم : قد أنصفك يا عمرو ، قال : قد فعلت .

فقال ابن الزبير : أما إذ أمكنتني الله منك فلا أريدن وجهك ، ولأخبرسن لسانك ولترجمن في هذه الليلة ، وكان الذي بين منكبيك مشدود إلى عروق أخدعيتك ؛ ثم قال : أقسمت عليكم يا معاشر قريش ، أنا أفضل في دين الإسلام أم عمرو ؟ فقالوا : اللهم أنت ، قال : فأبي أفضل أم أبوه ؟ قالوا : أبوك حوارى رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمته ؛ قال : فأبي أفضل أم أمه ؟ قالوا : أمك أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وذات النطاقين ؛ قال : فعمتي أفضل أم عمته ؟ قالوا : عمك سلمى ابنة العوام صاحبة رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من عمته ، قال : فخالتي أفضل أم خالته ؟ قالوا : خالتك عائشة أم المؤمنين ، قال : فجدي أفضل أم جدته ؟ فقال : جدتك صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فجدتي أفضل أم جدته ؟ قالوا : جدك أبو بكر الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال :

قَصَّتْ الْفَطَارُفُ مِنْ قُرَيْشٍ بَيْنَنَا فَاصْبِرْ لِفَضْلِ خِصَامِهَا وَقَضَائِهَا^(١)

وَإِذَا جَرَيْتَ فَلَا تَجَارِ مَبْرَازَا بَذِ الْجِيَادِ عَلَى احْتِفَالِ جِرَائِهَا^(٢)

أما والله يا ابن العاص لو أن الذي أمرك بهذا واجهني بمثله لقصرت إليه من ساعتي بصري ولتركته يتلجلج لسانه ، وتضطرم النار في جوفه ، ولقد استعان منك بغير واثب ولجأ إلى غير كاف ، ثم قام فخرج .

وذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب أن الحجاج لما حاصر ابن الزبير لم يزل يزحف حتى ملك الجبل المعروف بأبي قبيس ، وقد كان بيد ابن الزبير ، فكتب

(١) الفطارف : جمع غطريف ؛ وهو السيد .

(٢) يربز تبرزا : فاق أصحابه ، وبذ : فاق وغلب . واحتفل القوم : اجتمعوا . والجراء : الحجارة .

مصدر « جاري » .

بذلك إلى عبد الملك ، فلما قرأ كتابه كبر وكبر من كان في داره حتى اتصل التكبير بأهل السوق ، فكبروا ، وسأل الناس ما الخبر ؟ فقيل لهم : إن الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة ، وظفر بأبي قبيس ، فقال الناس : لا نرضى حتى يحمل أبو خبيب إلينا مكبلاً على رأسه برؤس ، راكب جمل ، يطاف به في الأسواق تراه العيون .

وذكر المسمودي أن عمة عبد الملك كانت تحت عروة بن الزبير ، وأن عبد الملك كتب إلى الحجاج يأمره بالكف عن عروة ، وذلك قبل أن يقتل عبد الله وألأ يسوءه إذا ظفر بأخيه في ماله ولا في نفسه ؛ قال : فلما اشتد الحصار على عبد الله خرج عروة إلى الحجاج فأخذ لعبد الله أماناً ورجع إليه ، فقال : هذا عمرو بن عثمان ، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وهما فتيا بني أمية يعطيانك أمان عبد الملك ابن عمهما على ما أحدثت أنت ومن معك ، وأن تنزل أي البلاد شئت ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه ، فأبى عبد الله قبول ذلك ، ونهته أمه وقالت : لا تموتن إلا كريماً فقال لها : إني أخاف إن قتلت أن أصاب أو يمثل بي ، فقالت : إن الشاة بعد الذبح لا تحسن بالسليخ .

وروى المسمودي أن عبد الله بن الزبير بعد موت يزيد بن معاوية طلب من يؤمره على الكوفة ، وقد كان أهلها أحبوا أن يليهم غير بني أمية ، فقال له المختار بن أبي عبيد : اطلب رجلاً له رفق وعلم بما يأتي وتدبر قوله إياها يستخرج لك منها جندا تغلب به أهل الشام ، فقال : أنت لها ، فبعثه إلى الكوفة فأتاها وأخرج ابن مطيع منها ، وابتنى لنفسه داراً وأنفق عليها مالاً جليلاً ، وسأل عبد الله بن الزبير أن يحتسب له به من مال العراق ، فلم يفعل ، فخلعه وحججه بيعته ، ودعا إلى الطالبين .

قال السعدي : وأظهر عبد الله بن الزبير الزهد في الدنيا ، وملازمة العبادة مع الحرص على الخلافة وشبر بطنه ، فقال : إنما بطنى شبر ، فما عسى أن يسع ذلك الشبر ! وأظهر عنه شح عظيم على سائر الناس ، ففي ذلك يقول أبو حمزة مولى آل الزبير :

إن الموالى أمتٌ وهي عاتبةٌ على الخليفة تشكو الجوعَ والحرباً
ماذا علينا وماذا كان يرزونا أى الملوك على ماحولنا غلباً
وقال فيه أيضاً :

لو كان بطنك شبراً قد شبتَ وقد أفضلتَ فضلاً كثيراً للساكنين
مازلتَ في سورة الأعراف تدرسها حتى فؤادى ينسل الخزع في الآيين
وقال فيه شاعرٌ أيضاً ، لما كانت الحرب بينه وبين الحصين بن نمير قبل أن يموتَ
يزيد بن معاوية :

فيساراكياً إما عرّضتَ قبلنا كبير بنى العوام إن قيلَ من تعني
تخبر من لا قيتَ أنك عائدٌ وتكثرُ قتلى بين ذمزم والركن
وقال الضحّاك بن قنروز الديلمي :
تخبرنا أن سوفَ تكفيك قبضةٌ وبطنك شبر أو أقل من الشبر
وأنت إذا ما نلتَ شيئاً قضمتَه كما قضمتَ نارَ الفضا حطب السدر
فلو كنتَ تجزى أو تنيبُ بنعمةٍ قريباً لردتَ تلك المطوفُ على عمرو
قال : هو عمرو بن الزبير أخوه ، ضربه عبد الله حتى مات وكان
مبايناً له ^(١) .

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٤ ، ٨٥ .

كان يزيد بن معاوية قد ولي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة ، فسترح الوليد منها جيشاً إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير ، عليه عمرو بن الزبير ، فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه ، فظفر به عبد الله ، فأقامه للناس بباب المسجد مجرداً ، ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات (١) .

وقد رأيت في غير كتاب المسعودي أن عبد الله وجد عمراً عند بعض زوجاته ، وله في ذلك خبر لا أحب أن أذكره .

قال للمسعودي : ثم إن عبد الله بن الزبير حبس الحسن بن محمد بن الحنفية في حبس مظالم (٢) ، وأراد قتله ، فأعمل الخيلة حتى تخلص من السجن ، وتستف الطريق على الجبال ، حتى أتى منى ، وبها أبوه محمد بن الحنفية (٣) .

ثم إن عبد الله جمع بني هاشم كلهم في سجن عارم ، وأراد أن يحرقهم بالنار ، وجعل في فم الشعب خطباً كثيراً ، فأرسل المختار أبا عبد الله الجذلي في أربعة آلاف ، فقال أبو عبد الله لأصحابه : وينحكم ! إن بلغ ابن الزبير الخبر عجل على بني هاشم فأتى عليهم ، فأنتدب هو نفسه في ثمانمائة فارس جريئة ، فما شعر بهم ابن الزبير إلا والرايات تخفق بمكة ، فقصده قصد الشعب ، فأخرج الهاشميين منه ، ونادى بشعار محمد بن الحنفية ، وسماه المهدي ، وهرب ابن الزبير ، فلاذ بأستار الكعبة ، فهاهم محمد بن الحنفية عن طلبه

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٥ .

(٢) مروج الذهب : « سجن عارم » .

(٣) في مروج الذهب : « في ذلك يقول كثير :

تخبر من لاقيت أنك عائد

بل العائد المظلوم في سجن عارم

ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى

من الناس يعلم أنه غير ظالم

سمى نبي الله وابن وصيه

وفكك أغلال وقاض مغارم

وعن الحرب ، وقال : لا أريد الخلافة إلا إن طلبني الناس كلهم وانفقوا على كلهم ، ولا حاجة لي في الحرب ^(١) .

قال المسعودي : وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب ، وجميعه الخطب ليحرقهم ويقول : إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة ، ولا يختلف المسلمون ، وأن يدخلوا في الطاعة ، فتكون الكلمة واحدة ، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر ، فإنه أحضر الخطب ليحرق عليهم الدار ^(٢) .



قال المسعودي : وخطب ابن الزبير يوم قدم أبو عبد الله الجذلي قبل قدومه بساعتين ، فقال : إن هذا الفلام محمد بن الحنفية قد أبي بيعتي ، والموعيد بيني وبينه أن تغرب الشمس ثم أضرم عليه مكانه نارا ، فجاء إنسان إلى محمد فأخبره بذلك ؛ فقال : سيمتنعه مني حجاب قوي ، فجعل ذلك الرجل ينظر إلى الشمس ، ويرقب شئوبتها لينظر ما يصنع ابن الزبير ، فلما كادت تغرب حاست ^(٣) خيل أبي عبد الله الجذلي ديار مكة وجعلت تتمعج ^(٤) بين الصفا والمروة ، وجاء أبو عبد الله الجذلي بنفسه فوقف على قم الشعب ، وأستخرج محمدا ، ونادى بشعاره ، وأستأذنه في قتل ابن الزبير ، فكره ذلك ولم يأذن فيه ، وخرج من مكة فأقام بشعب رضوى حتى مات ^(٥) .

(٢) مروج الذهب ٣ : ٨٦

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٥

(٣) حاست الجبل : أحاطت بها من كل جانب .

(٤) تمعج : تشد في عدوها يمينا وشمالا .

(٥) مروج الذهب ٣ : ٨٦ ، ٨٧

وَرَوَى الْمَسْعُودِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ دَخَلَ عَلَى ابْنِ الزَّيْبِرِ فَقَالَ لَهُ
ابْنُ الزَّيْبِرِ : إِيَّاكَ تَوَنَّبَنِي وَتَعَنَّفَنِي ! قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : « بَشِّرِ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ بِشَبَعٍ وَيَجُوعٍ جَارِهِ ! » ، وَأَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ
ابْنُ الزَّيْبِرِ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَكُفُّمْ بِنُفْضِكُمْ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَتَسَاجَرَا ،
فَفَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ مَكَّةَ ، [خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ] فَأَقَامَ بِالطَّائِفِ حَتَّى مَاتَ ^(١) .

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ ^(٢) قَالَ : أَتَى فَضَالَهَ بْنُ شَرِيكَ الْوَالِيَّ ثُمَّ الْأَسَدِيَّ
مِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ خُزَيْمَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ فَقَالَ : نَعِدْتُ نَفَقَتِي ، وَنَقَبْتُ نَاقَتِي ، فَقَالَ :
أَحْضِرْ نِيهَا ، فَأَحْضَرَهَا ، فَقَالَ : أَقْبِلْ بِهَا ، أَدِيرْ بِهَا ، فَفَعَلَ ، فَقَالَ : ارْقَعْنَاهَا بِسَبْتٍ ، وَأَخْصِفْهَا
بِهَنْبٍ ، وَأَنْجِدْ بِهَا يَبْرُدُ حَمْلُهَا ، وَبِزَيْدِ بْنِ نَضَارٍ نَصَحَ . فَقَالَ فَضَالَةُ : إِنِّي أَتَيْتُكَ
مُسْتَحِيلًا ، وَلَمْ أَتِكَ مُتَوَصِّفًا ، فَلَمَعَ اللَّهُ نَاقَةً حَمَلَتْنِي إِلَيْكَ ! فَقَالَ : إِنَّ وَرَاقَتَهَا
فَقَالَ فَضَالَةُ :

أَقُولُ لِنَعْلَةٍ شُدُّوا رِكَابِي	أَجَاوِزُ بَطْنَ مَكَّةَ فِي سَوَادِ
فَقَالِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقِي	إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ ^(١)
سُبُعِدَ بَيْنَنَا نَصُّ الْمَطَايَا	وَتَعْلِيْقُ الْإِدَاوَى وَالْمَزَادِ ^(٢)
وَكُلَّ مَعْبُودٍ قَدْ أَعْلَمْتَهُ	مَنَاسِمُهُنَّ طَلَاعُ النَّجَادِ ^(٣)

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٩ والزيادة منه .

(٢) ق ٥ : « علام » .

(٣) الأغاني ١ : ١٥ ، ١٦ .

(٤) ذات عرق : مهل أهل العراق ؛ وهو الحد بين نجد وتهيمة .

(٥) نص المطايا : استخراج أقصى ما عندها من السير ، والأدوى : جمع إداوة ؛ وهي وعاء الماء .
والمزاد : جمع مزادة ؛ وهي الراوية يعمل فيها الماء .

(٦) المعبد : الطريق المذلل . وأعلمته مناسمين : أنرت فيه بأخفافها . والنجاد : جمع نجد ؛ وهو ما غلظ
من الأرض .

أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خَيْبٍ نَكِدُنْ وَلَا أَمِيَّةَ بِالْبِلَادِ
مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغْرَ كَفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ

— قال : ابنُ السكاهلية هو عبدُ الله بنُ الزبير ، والكاهلية هذه هي أمُّ خُوَيْلِد بنِ أسد بن عبدِ العزى ، وأسمها زُهْرَة بنتُ عمرو بنِ خَنْثَر بنِ رُوَيْنَة بنِ هِلَال ، من بني كَاهِل بنِ أسد بنِ خزيمة — قال : فقال عبدُ الله بنُ الزبير لما بلغه الشعر : عَلِمَ أَنَّهَا شَرُّ أُمَّهَاتِي فَعَبَّرَنِي بِهَا ، وَهِيَ خَيْرُ عَمَّاتِهِ .

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ قَالَ : كَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ أَبِي عُبَيْدٍ بِنِ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَشَى ابْنُ الزَّبِيرِ إِلَيْهَا ، فَذَكَرَ لَهَا أَنَّ خُرُوجَهُ كَانَ غَضَبًا لَلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَثَرَةِ مُعَاوِيَةَ وَابْنِهِ بَالِقٍ ، وَسَأَلَهَا مَسْأَلَةَ زَوْجِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ يَبَايَعَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَتْ لَهُ عَشَاءَهُ ذَكَرَتْ لَهُ أَمْرَ ابْنِ الزَّبِيرِ وَعِبَادَتَهُ وَاجْتِهَادَهُ ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ : إِنَّهُ لَيَدْعُو^(١) إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَكْثَرَتْ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهَا : وَيَحْكُ ! أَمَا رَأَيْتِ الْبَغْلَاتِ الشُّهْبَ الَّتِي كَانَ يَحْتَجُّ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهَا ، وَتَقْدُمُ إِلَيْنَا مِنَ الشَّامِ ؟ قَالَتْ : بَلَى ؛ قَالَ : وَاللَّهِ مَا يَرِيدُ ابْنُ الزَّبِيرِ بِمِبَادَتِهِ غَيْرَهُنَّ^(٢) !

(١) د : « إِنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ » (٢) الْأَعْيَانُ ١ : ٢٢ ، ٢٣ .

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَالِئِينَ آدَمَ وَالْفَخْرُ أَوَّلُهُ نُظْفَةٌ ، وَآخِرُهُ جِيْفَةٌ . لَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ .



الشرح :

قد تقدم كلامنا في الفخر ، وذكرنا الشعر الذي أخذ من هذا الكلام ، وهو قول القائل :

مَالِئُ مَنْ أَوَّلُهُ نُظْفَةٌ وَجِيْفَةٌ آخِرُهُ بِفَخْرٍ
يُصْبِحُ مَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ !

[فصل في الفخر وما قيل في النهي عنه]

وقال بعض الحكماء : الفخر هو المباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان ، وذلك نهاية الحق لمن نظر بعين عقله ، وانحسر عنه قناع جهله ، فأعرض الدنيا طرية مستردة ، لا يؤمن في كل ساعة أن ترتجع ، والمباهاة بها مباهاة بما في غير ذاته .

وقد قال لبعض من نخر بثروته ووفره : إن افتخرت بفرسك فالحسن والفراة له دونك ، وإن افتخرت بثيابك وآلاتك فالجمال لهما دونك ، وإن افتخرت بآباتك

وَسَافِكَ فَالْفَضْلُ فِيهِمْ لَا فَيْكَ ، وَلَوْ تَسَكَّمْتَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لَقَالَتْ لَكَ : هَذِهِ مُحَاسِنُنَا
فَمَا مُحَاسِنُكَ !

وَأَيْضًا فَإِنَّ الْأَعْرَاضَ الدُّنْيَوِيَّةَ كَمَا قِيلَ : سَعَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ ، وَظُلٌّ
زَائِلٌ عَنْ قَرِيبٍ يَضْمَحِلُّ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا كَرُوءِيَا فَرَحَتْ مَنْ رَأَاهَا سَاعَةً ثُمَّ انْقَضَتْ

بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطْنَ
أَهْلِهَا أَنْتَهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَنَجَّيْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَمْ
بِالْأَمْسِ ﴾ ^(١) .

وإِذَا كَانَ لَا بَدَّ مِنَ الْفَخْرِ فَالْفَخْرُ الْإِنْسَانُ يَعْلَمُهُ وَبَشَرِيَّتُهُ خَلْقُهُ ، وَإِذَا أُعْجِبَكَ مِنْ
الدُّنْيَا شَيْءٌ فَاذْكُرْ فَنَاءَكَ وَبَقَاءَهُ ، أَوْ بَقَاءَكَ وَفَنَاءَهُ ، أَوْ فَنَاءَكَ كَمَا جَمِيعًا ، وَإِذَا رَاقَكَ مَا هُوَ
لَكَ فَانْظُرْ إِلَى قُرْبِ خُرُوجِهِ مِنْ يَدِكَ ، وَبُعْدِ رَجُوعِهِ إِلَيْكَ ، وَطُولِ حِسَابِكَ عَلَيْهِ ،
وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ الْفَخُورَ فَقَالَ : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ^(٢) .

الأصل :

الغنى والفقر بعد العرض على الله تعالى .

الشرح

أى لا يعد الغنى غنياً في الحقيقة إلا من حصل له ثواب الآخرة الذى لا ينقطع أبداً ولا يعد الفقير فقيراً إلا من لم يحصل له ذلك ، فإنه لا يزال شقياً معدّياً ، وذلك هو الفقر بالحقيقة .

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

فأما غنى الدنيا وفقرها فأمران عرضيان ، زوالهما سريع ، وانقضاؤهما وشيك . وإطلاق هاتين اللفظتين على مسماهما الدنيوى على سبيل المجاز عند أرباب الطريقة ، أعنى العارفين .

الأصل :

وُسئِلَ عَنْ أَشْعَرِ الشُّعْرَاءِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْزُوا فِي حَلَبَةٍ تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصْدِهَا ، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ
فَالِدَاكَ الضَّئِيلُ .

قال : يُرِيدُ امْرَأَ الْقَيْسِ .



[في مجلس علي بن أبي طالب]

الشرح :

قَرَأْتُ فِي أَمَالِي ابْنَ دُرَيْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْجَرْمُوزِيُّ ، عَنْ ابْنِ الْمُهَلَّبِيِّ ، عَنْ
ابْنِ الْكَلْبِيِّ ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَتَبِيِّ ، عَنْ ابْنِ
عَرَادَةَ ، قَالَ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَشِّي النَّاسَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ
بِاللَّحْمِ وَلَا يَتَمَشَّى مَعَهُمْ ، فَإِذَا فَرَغُوا خُطْبَتَهُمْ وَوَعظَهُمْ ، فَأَفَاضُوا لَيْلَةً فِي الشُّعْرَاءِ
وَهُمْ عَلَى عَشَائِهِمْ ، فَلَمَّا فَرَغُوا خُطْبَتَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : اَعْلَمُوا أَنَّ
مِلَاكَ أَمْرِكُمُ الدِّينَ ، وَعِصْمَتُكُمُ التَّقْوَى ، وَزِينَتُكُمُ الْآدَبُ ، وَحُصُونُ أَعْرَاضِكُمُ
الْحِلْمُ ؛ ثُمَّ قَالَ : قُلْ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ : فِيمَ ^(١) كُنْتُمْ تَفِيضُونَ فِيهِ؟ أَيْ الشُّعْرَاءِ أَشْعَرُ؟ فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي يَقُولُ :

وَلَقَدْ أَغْنَيْدِي بُدَافِيعَ رُكْنِي أَعُوجِي ذُو مَنِيعةٍ إِضْرِيحُ ^(٢)

(١) ق د ه ما كنتم ه ؛ وهو وجه أيضاً (٢) ديوان أبي ذؤاد ٢٩٩ .

مَخْلُطٌ مَزِيلٌ مَعْنٌ مِفْنٌ مَنفَعٌ مِطْرَحٌ سَبُوحٌ خَرُوجٌ

يعنى أبا دُؤاد الإيادى ، فقال عليه السلام : ليس به ، قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟
فقال : لو رُفِعَتْ للقوم غايةٌ فُجِرُوا إليها معاً عَلِمْنَا مِنَ السَّابِقِ مِنْهُمْ ، وَلَكِنْ إِنْ يَكُنْ
فَالَّذِى لَمْ يَقُلْ عَنْ رَغْبَةٍ وَلَا رَهْبَةٍ . قيل : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو الْمَلَكُ
الضَّلِيلُ ذُو الْقُرُوحِ ، قيل : امرؤ القيس يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو . قيل : فأخبرنا عن
ليلة القدر ؟ قال : ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستُر علمها ، ولستُ أشك أن الله إنما
يَسْتُرُهَا عَنْكُمْ نَظَرًا لَكُمْ ، لَأَنَّهُ لَوْ أَعْلَمَكُمْ مَوَاقِفَهَا عَمِلْتُمْ فِيهَا وَتَرَكْتُمْ غَيْرَهَا ، وَأَرْجُو أَنْ
لَا تُخْطِئَكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، انْهَضُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ .

وقال ابن دُرَيْدٍ لَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْخَبَرِ : بِضَرِيحٍ : يَنْشِقُ فِي عَذْوِهِ ، وَقِيلَ وَاسِعُ الصَّدْرِ
وَمَنفَعٌ : يُخْرِجُ الصَّيْدَ مِنْ مَوَاضِعِهِ ، وَمِطْرَحٌ : يَطْرَحُ بَصَرَهُ . وَخَرُوجٌ : سَابِقٌ .
وَالْغَايَةُ بِالْفَيْنِ الْمَعْجَمَةُ : الرَّايَةُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِذَا غَايَةُ مَجْدٍ رُفِعَتْ نَهَضَ الصَّاتُ إِلَيْهَا فَحَوَّاهَا

وَيَرَوَى قَوْلُ الشَّامِخِ :

إِذَا مَا رَايَةَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْمِيمِ (١)

بِالْفَيْنِ ، وَالرَّاءُ أَكْثَرُ . فَأَمَّا الْبَيْتُ الْأَوَّلُ بِالْفَيْنِ لَا غَيْرَ ، أَنْشَدَهُ الْخَلِيلُ فِي عَرُوضِهِ ،
وَفِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فِي الصَّحِيحِ : « فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ
أَلْفًا » . وَالْمِيعَةُ : أَوَّلُ جَرْمِ الْفَرَسِ ؛ وَقِيلَ : الْجَرْمُ بِمَدِّ الْجَرْمِ .

[اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض]

وأنا أذكرُ في هذا الموضع ما اختلف فيه العلماء من تفضيل بعض الشعراء على بعض ، وأبتدى في ذلك بما ذكره أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني . قال أبو الفرج : الثلاثة المقدمون على الشعراء : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، لا اختلاف في أنهم مقدمون على الشعراء كلهم ، وإنما اختلف في تقديم بعض الثلاثة على بعض ^(١) .

قال : فأخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، عن أبي قبيس ، عن عكرمة بن جرير ، عن أبيه ، قال : شاعرُ أهل الجاهلية زهير .

قال : وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثني عمر بن شبة ، عن هارون بن عمر ، عن أيوب بن سويد ، عن يحيى بن زياد ، عن عمر بن عبد الله الليثي ، قال : قال عمر بن الخطاب ليلة في مسيره إلى الجابية : أين عبدُ الله بن عباس ؟ فأُتي به ، فشكا إليه تخلف علي بن أبي طالب عليه السلام عنه . قال ابن عباس : فعلتُ له : أو لم يعتذر إليك ؟ قال : بلى ، قلت : فهو ما اعتذر به . قال : ثم أنشأ يحدثني فقال : إن أول من رآكم عن هذا الأمر أبو بكر ؛ إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة . قال أبو الفرج : ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب ^(٢) ، فكرهتُ ذكرها ثم قال : يا ابن عباس ، هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال : ونحك ! شاعرُ الشعراء ، الذي يقول :

فلو أن سَخَدًا يُخَلِّدُ النَّاسَ خُلِّدُوا ولكن سَخَدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخَلِّدٍ

(١) الأغاني ١٠ : ٢٨٨

(٢) ذكرت هذه القصة مفصلة في الطبري ٤ : ٢٢٢ - ٢٢٤ (طبع المعارف) .

قلتُ : ذاك زهير ، فقال : ذاك شاعرُ الشعراء ؛ قلتُ : وبم كان شاعرَ الشعراء ؟ قال : إنه كان لا يُعَاظِلُ الكلام ، ويتجنب حشيه ، ولا يمدح أحداً إلا بما فيه . قال أبو الفرج : وأخبرني أبو خليفة قال : قال ابن سلام : وأخبرني عمرُ بنُ موسى الجحى ، عن أخيه قدامة بن موسى - وكان من أهلِ العلم - أنه كان يقدمُ زهيراً ، قال : قلتُ له : أيُّ شعره كان أعجبَ إليه ؟ فقال : الذي يقول فيه :

قد جَمَلَ المَبْتَغُونَ الخَيْرَ في هَرَمٍ والسَّائِلُونَ إلى أبوابه طَرَقاً^(١)

قال ابن سلام : وأخبرني أبو قيس العنبري - ولم أرَ بدويّاً يفى به - عن عكرمة ابن جرير ، قال : قلت لأبي : يا أبت ، من أشعر الناس ؟ قال : أعن أهل الجاهلية تسألني ، أم عن أهل الإسلام ؟ قال : قلتُ : ما أردت إلا الإسلام ، فإذا كنتَ قد ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها ؛ فقال : زهير أشعرُ أهلها ، قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق تبعه الشعر ؛ قلت : فالأخطل ؟ قال : يجيد مدح الملوك ، ويصيب وصف الخمر ، قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : إني نَحَرْتُ الشعرَ نَحْراً^(٢) .

قال : وأخبرني الحسن بن عليّ قال : أخبرنا الحارثُ بن محمد عن المدائني ، عن عيسى بن يزيد ، قال : سأل معاويةَ الأحنفَ ع أشعرَ الشعراء ؟ فقال : زهير ؛ قال : وكيف ذاك ؟ قال : أُنْتِ على المادحين فضول الكلام ، وأخذ خالصه وصفوته ، قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :

ومايك من خير أتوه فإمما توارثه آباءُ آبائهم قبلُ
وهل بُنيتُ الخَطِيئُ إلا وشيجهُ وتقرّس إلفي منابتها النخلُ^(٣)

قال : وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز ، قال : حدثنا عمرُ بنُ شبة ، قال : حدثنا

(١) الأغاني ١٠ : ٢٨٨ ، ٢٨٩

(٢) الأغاني ١٠ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ وفي د و نَحَرْتُ الشعرَ نَحْراً .

(٣) الأغاني ١٠ : ٢٩٠

عبد الله بن عمرو القيسي قال : حدثنا خارجة بن عبد الله بن أبي سفيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : خرجتُ مع عمر في أول غزاة غزاها ، فقال لي ليلة : يا ابن عباس ، أنشدني لشاعر الشعراء ؟ قلتُ : مَنْ هو ؟ قال : ابن أبي سلمى . قلتُ : ولم صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يذبح حَوْشَى الكلام ، ولا يُعَاظِل في مَنْطِقِهِ ، ولا يقول إلا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ، أليس هو الذي يقول :

إذا ابتدرت قيسُ بنُ عيلانَ غايَةً إلى المجد من يسبق إليها يسود
سبقت إليها كلَّ حَلَقٍ مبرِّزٍ يسبق إلى الغايات غير مُزَنَّدٍ
قال : أي لا يحتاج إلى أن يجلد الفرس بالسوط .

كفعل جواد يسبق الخيل عَفْوَةَ السَّيْرَاعِ وإن يجهد ويجهذن يبعُد
فلو كان حمداً يخلد الناس لم تَمُتْ^(١) ولسكن حمد الناس ليس بمُخِلِدٍ

أنشدني له ، فأنشدته حتى برق الفجر ، فقال : حسبك الآن ، اقرأ القرآن . قلت : ما أقرأ ؟ قال : الواقعة ، فقرأتها ، وتَرَكَ فَأَذَنَ وَصَلَّى^(٢) .

وقال محمد بن سلام في كتاب " طبقات الشعراء " : دَخَلَ الحَظِيثَةُ عَلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ مَتَنَكِّراً ، فَلَمَّا قَامَ النَّاسُ وَبَقِيَ الْخَوَاصُّ أَرَادَ الْحَاجِبُ أَنْ يَقِيَمَهُ ، فَأَبَى أَنْ يَقُومَ ، فَقَالَ سَعِيدٌ : دَعُهُ ؛ وَتَذَاكَرُوا أَيَّامَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهَا ، فَلَمَّا أَسْهَبُوا قَالَ الْحَظِيثَةُ : مَا صَنَعْتُمْ شَيْئاً ؛ فَقَالَ سَعِيدٌ : فَهَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَخُذْ أَشْعُرَ الْعَرَبِ ؟ قَالَ : الَّذِي يَقُولُ :

قد جعل المُبْتَغُونَ الخَيْرَ في هَرَمٍ والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً
قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : الَّذِي يَقُولُ :

فإنك شمسٌ والمُلوكُ كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبٌ

يعنى زهيرا ، ثم النابغة : ثم قال : وحسبك بي إذا وضعتُ إحدى رجلي على الأخرى ثم عويتُ في إثر القوافي كما يعوى الفصيل في أثر أمه ! قال : فمن أنت ؟ قال : أنا الخطيئة ، فرحب به سعيد ، وأمر له بألف دينار .

قال : وقال من احتج زهير : كان أحسنهم شعرا ، وأبعدهم من سُخْف ، وأجمعهم لكثير من المعنى في قليلٍ من المنطق ، وأشدّهم مبالغة في المدح ، وأبعدهم تكلفا وعجرفة وأكثرم حكمة ومثلا سائرا في شعره .

وقد روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل شعرائكم

القاتل ومن ومن » ، يعنى زهيرا ، وذلك في قصيدته التي أولها : « آمين أم أوفى »

يقول فيها :

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَمَنُّ عَنْهُ وَيُذَمَّرُ
وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يَهْدَمُ ، وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يَظْلَمُ
وَمَنْ هَلَبَ أَسْبَابَ الْمَنَآيَا يَفْلَكُنَّه وَلَوْ نَالَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَامٍ
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشُّمَّ يُشَمُّ

فأما القول في النابغة الذبياني فإن أبا الفرج الأصفهاني قال في كتاب الأغاني :

كنية النابغة أبو أمامة ، واسمه زياد بن معاوية ، ولقب بالنابغة لقوله ^(١) :

* فقد نبئت لهم منا شتون *

وهو أحدُ الأشراف الذين غصَّ الشعر منهم ، وهو من الطبقة الأولى للمقدمين على

سائر الشعراء .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيب بن نصر قالاً : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني أبو نعيم ، قال : شريك عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ربيعة ابن جراح ، قال : قال لنا عمر . يامعشر غطفان ، من الذى يقول :
 أتيتك عارياً خلقاً ثيابى على خوفٍ تظنُّ بى الظنونُ
 قلنا : النابغة ، قال : ذاك أشعر شعرائكم ^(١) .

قلتُ : قوله : « أشعر شعرائكم » ، لا يدلُّ على أنه أشعر العرب ، لأنه جعله أشعر شعراء غطفان ، فليس كقوله في زهير شاعر الشعراء ، ولكن أبا الفرج قد روى بعد هذا خبراً آخر صريحاً في أن النابغة عند عمر أشعر العرب . قال : حدثني أحمد وحبيب ، عن عمر بن شبة ، قال : حدثنا عبيد بن جناد ، قال : حدثنا معن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السلمى ، عن جده ، عن الشعبي قال : قال عمر يوماً : من أشعر الشعراء ؟ فقبل له : أنت أعلم يا أمير المؤمنين ! قال : من الذى يقول :
 ألا ساجانَ إذ قال المليكُ له ثم في البرية فاحدُها عن القند ^(٢)
 وخيس الجنِّ إني قد أذنتُ لهم ^(٣) يبنون تدمراً بالصفاح والعمد ^(٤)
 قالوا : النابغة ؛ قال : فمن الذى يقول :

أتيتك عارياً خلقاً ثيابى على خوفٍ تظنُّ بى الظنونُ

قالوا : النابغة ؛ قال : فمن الذى يقول :

حكفتُ فلم أتركُ لنفسك ريباً وليس وراء الله للمرء مذهبُ
 لأن كنت قد بلغت عني خيانةً لمبلغك الواسي أغش وأكذب ^(٥)

(١) الأغاني ١١ : ٣ ، ٤ (٢) فاحدُها : فامنعها . والقند : الخطأ .

(٣) خيس الجن ، أى ذلهم ؛ وفي الأغاني : « وخير الجن » .

(٤) تدمر : مدينة مشهورة قديمة كانت بيرة الشام . والصفاح : حجارة دقاق عراض واحدتها صفحة .

(٥) بعده في الأغاني :

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمهُ على شعبي ؛ أى الرجال المهذب !

قالوا : النابغة ، قال : فهو أشعر العرب ^(١) .

قال : وأخبرني أحمد ، قال : حدثنا عمر ، قال : حدثني علي بن محمد المدائني قال :
قام رجل إلى ابن عباس ، فقال له : أي الناس أشعر ؟ قال : أخبره بأبا الأسود ، فقال
أبو الأسود : الذي يقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأني عنك واسع

يعني النابغة ^(٢)

قال أبو الفرج : وأخبرني أحمد وحبيب ، عن عمر عن أبي بكر الحلبي ، عن
الأصمعي ؛ قال : كان يضرب للنابغة قبة آدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض
عليه أشعارها ، فأنشده مرة الأعشى ، ثم حسان بن ثابت ، ثم قوم من الشعراء ، ثم
جاءت النساء فأنشدته :

وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فقال : لولا أن أبا بصير - يعني الأعشى - أنشدني آفا لقلت : إنك أشعر الإنس
والجن . فقام حسان بن ثابت فقال : أنا والله أشعر منها ومنك ومن أهلك ، فقال له
النابغة : يا بن أخي ، أنت لا تحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأني عنك واسع

خطاطيف حجن في حبال متينة تمد بها أيدٍ إليك توارع ^(٣)

قال : فحسن حسان لقوله ^(٤) .

قال : وأخبرني أحمد وحبيب ، عن عمر ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء .

(٢) الأغاني ١١ : ١١ .

(١) الأغاني ١١ : ٤ .

(٣) الخطاطيف : جمع خطاف ، وخطاف البئر حديدة حناء تستخرج بها الدلاء وغيرها . وحجن :
مراجعة ، واحدها أحجن ، والأني حناء . وتوارع : جواذب .

(٤) خنس : انقبض ، والمخير في الأغاني ١١ : ٦ .

قال : حدثني رجل سمّاه أبو عمرو وأنسيته ، قال . بينما نحن نسيرُ بيت أنقاء^(١) من الأرض ، فتذاكرنا الشعر ، فإذا رآكب أطيلس يقول : أشعر الناس زيادُ بن معاوية ، ثمّ تمّلمس فلم نره .

قال : وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز ، عن عمر بن شبة ، عن الأصمعي ، قال : سمعتُ أبا عمرو بن العلاء يقول : ما ينبغي لزُهير إلا أن يكون أجيرا للنايفة . قال أبو الفرج : وأخبرنا أحمدُ عن عمر ، قال قال عمرو بن المنتشر المرادي : وقدنا على عبد الملك بن مروان ، فدخلنا عليه ، فقام رجل فاعتذر من أميرٍ وحلف عليه ، فقال له عبد الملك : ما كنتَ حرّياً أن تفعل ولا تعتذر ، ثم أقبل على أهل الشام فقال : أيكم يروى أعتذارُ النايفة إلى الثُمان في قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريةً وليس وراء الله الفرء مذهبُ

فلم يجد فيهم من يرويه ، فأقبل على وقال : أترويه ؟ قلت : نعم ، فأشدته القصيدة كلها ، فقال : هذا أشعر العرب .

قال : وأخبرني أحمدُ وحييب عن عمر ، عن معاوية بن بكر الباهلي ، قال : قلت لحماة الراوية : لم قدّمت النايفة ؟ قال : لا كتفائك بالبيت الواحد من شعره ، لا بل ينصف البيت ، لا بل برُبع البيت ، مثل قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ريةً وليس وراء الله الفرء مذهبُ

ولست بمُستَبقٍ أخا لا تله على جمعٍ ، أي الرجال المهذبُ

رُبع البيت يُعنيك عن غيره ، فلو تمثّلت به لم تحتاج إلى غيره .

قال : وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز ، عن عمر بن شبة ، عن هارون بن عبد الله

(١) الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل . وأطيلس ، تصغير أطلس ؛ وهو ما في لونه غيرة إلى السواد وتمّلمس : تمّلمس وأفلت .

الزُّهْرِيُّ^(١) ، قال : حَدَّثَنِي شَيْخٌ يُكْنَى أَبُو دَاوُدَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَعِنْدَهُ الْأَخْطَلُ وَأَنَا لَا أَعْرِفُهُ ، وَذَلِكَ أَوَّلُ يَوْمٍ وَقَدْتُ فِيهِ مِنَ الْعِرَاقِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقُلْتُ حِينَ دَخَلْتُ : عَامِرُ بْنُ شَرَاهِيلَ الشَّعْبِيُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : عَلَى عِلْمٍ مَا أَذِنَّا لَكَ ، فَقُلْتُ : هَذِهِ وَاحِدَةٌ عَلَى وَاقِدِ أَهْلِ الْعِرَاقِ - يَعْنِي أَنَّهُ أَخْطَأَ - قَالَ : ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ سَأَلَ الْأَخْطَلَ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : أَنَا ، فَمَجَلْتُ وَقُلْتُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ : مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَجَبَسَ ، وَقَالَ : الْأَخْطَلُ ؛ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : اثْنَانِ عَلَى وَاقِدِ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَشْعَرُ مِنْكَ الَّذِي يَقُولُ :

هَذَا غُلَامٌ حَسَنٌ وَجْهٌ مُسْتَقْبِلُ الْخُسَيْرِ سَرِيعُ التَّعَامُ
لِلْحَارِثِ الْأَكْبَرِ وَالْحَارِثِ الْأَصْفَرِ فَلَا تُعْرِجْ خَيْرُ الْأَنَامِ
ثُمَّ لَعَمْرُو وَلَعَمْرُو وَقَدْ كُنْتُ أَسْرَعُ فِي الْخَيْرَاتِ مِنْهُ أَمَامَ^(٢)

قال : هِيَ أُمَامَةُ أُمُّ عَمْرِو الْأَصْفَرِ بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ النُّعْمَانِ
ابْنِ الشَّقِيقَةِ :

خَسَنَةُ أَبَاهُ هُمُ مَاهِمُ أَفْضَلُ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ النَّعَامِ
وَالشَّعْرُ لِلنَّابِغَةِ ، فَالْتَفَتَ إِلَى الْأَخْطَلِ فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا سَأَلَنِي عَنْ أَشْعَرِ
أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَلَوْ سَأَلَنِي عَنْ أَشْعَرِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ كُنْتُ حَرِيْبًا أَنْ أَقُولَ كَمَا قُلْتَ
أَوْ شَيْبًا بِهِ ؛ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : ثَلَاثٌ عَلَى وَاقِدِ أَهْلِ الْعِرَاقِ .

قال أبو الفَرَجِ : وَقَدْ وَجَدْتُ هَذَا الْخَبَرَ أَتَمَّ مِنْ هَذِهِ الرَّوَايَةِ ، ذَكَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ
الْحَارِثِ الْخُرَّازِيُّ فِي كِتَابِهِ ، عَنِ الْمَدَائِنِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُسْلِمٍ ، قَالَ : كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ
ابْنُ مَرْوَانَ إِلَى الْحُجَّاجِ : إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا إِلَّا وَقَدْ أَصِيبَتْ مِنْهُ ، وَلَمْ يَبْقَ

(١) ب : « الزُّهْرِيُّ » ، وصوابه في « د » والأغاني

(٢) في الأغاني : « ثُمَّ لَعَمْرُو وَلَعَمْرُو فَقَدْ » .

عندى شئ؛ ألد من مُناقلة الإخوان الحديث ، وقبلكَ عامرُ الشعبي فابستَ به إلى ،
فدعا الحجاجَ الشعبي ، فجهزه وبعثَ به إليه ، وقرظه وأطراه في كتابه ، فخرج الشعبي
حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب : استأذن لي ، قال : من أنت ؟ قال : أنا عامرُ
الشعبي قال : يرحمك الله^(١) ؛ قال : ثم نهض فأجلسني على كرسيه ، فلم يلبث أن خرج
إلى فقال : ادخل يرحمك الله ؛ فدخلتُ ، فإذا عبد الملك جالسٌ على كرسي ، وبين يديه
رجلٌ أبيضُ الرأس واللحية ، جالسٌ على كرسي ، فسلمتُ ، فردَّ عليَّ السلام ، فأومأ إلى
بقضيبه ، فجاستُ عن يساره ، ثم أقبل على ذلك الإنسان الذي بين يديه فقال له : من
أشعر الناس ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين ؛ قال الشعبي : فأظلم ما بيني وبين عبد الملك ، فلم
أصبر أن قلتُ : ومن هذا الذي يزعم أنه أشعر الناس يا أمير المؤمنين ! فصحب عبد الملك
من عَجَلَتِي قبل أن يسألني عن حالي ، فقال : هذا الأخطل ؛ قلتُ : يا أخطل ، أشمرُ
والله منك الذي يقول :

هذا غلامٌ حسنٌ وجهه مستقبل الخير سريعُ التمام

الآيات .

قال : فأستحسنها عبدُ الملك ، ثم ردَّتها عليه حتى حفظها ، فقال الأخطل : من
هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الشعبي ؛ فقال : والجيلون ما أستعذت بالله من شرِّ إلامن هذا -
أى والإنجيل - صدقَ والله يا أمير المؤمنين ، النابغةُ أشعرُ مني ، قال الشعبي : فأقبل
عبدُ الملك حينئذ عليَّ فقال : كيف أنت يا شعبي ؟ قلتُ : بخير يا أمير المؤمنين ، فلا زلتَ به
ثم ذهبتُ لأصنع معاذيرَ لما كان من خلافي مع ابن الأشمث على الحجاج : فقال : مه
إننا لا نحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراه منّا في قولٍ ولا فعلٍ حتى تفارقنا ؛ ثم أقبل عليَّ
فقال : ما تقول في النابغة ؟ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، قد فضله عمرُ بن الخطاب في غير

مَوْطِنٍ عَلَى جَمِيعِ الشُّعْرَاءِ ، ثُمَّ أَنْشَدَتْهُ الشُّعْرَ الَّذِي كَانَ عَمْرُ يُعْجَبُ بِهِ مِنْ شِعْرِهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . قَالَ : فَأَقْبَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى الْأَخْطَلِ فَقَالَ لَهُ : أَتُحِبُّ أَنْ لَكَ قِيَاثًا بِشِعْرِكَ شِعْرَ أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ ، أَمْ تُحِبُّ أَنْتَ قَلْتَهُ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قُلْتُ أُبَيَّاتًا قَالَهَا رَجُلٌ مِنَّا ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ قَوْلَ الْقَطَامِيِّ :

إِنَّا نُحْيِيكَ فَأَسْلَمَ أَهْلُهَا الطَّلَلُ (١) وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ (٢)

لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَى بِشَائِقَتِهِ (٣) إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو خُصْلَةٍ يَصِلُ

وَالْعَبَشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرَّرَ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالٍ إِلَّا سَوْفَ تَنْتَقِلُ

إِنْ تَرَجَيْتَ مِنْ أَبِي عُمَانَ مُنْجِجَةً (٤) فَقَدْ يَهْوُونَ عَلَى الْمُسْتَنْجِجِ الْعَمَلُ (٥)

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا بَشْتَهِي وَلَا أُمُّ الْمُخْطِئِ الْهَبْلُ

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِيُّ بَعْضَ حَاجَتِكَ (٦) وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعِجِلِ الزَّلَلُ

قَالَ الشَّعْبِيُّ : فَقُلْتُ : قَدْ قَالَ الْقَطَامِيُّ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : وَمَا قَالَ ؟
قُلْتُ : قَالَ :

طَرَقَتْ جَنُوبُ رَحَائِلِنَا مِنْ مَطَرٍ مَافَتْ أَحْسَبَهَا قَرِيبَ الْمُعْنَقِ (٧)

إِلَى آخِرِهَا (٨) ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : تُكَلِّتُ الْقَطَامِيَّ أُمَّهُ ! هَذَا وَاللَّهِ الشُّعْرُ ، قَالَ :

فَالْتَفَتَ إِلَى الْأَخْطَلِ فَقَالَ : يَا شَعْبِيُّ ، إِنَّ لَكَ فُنُونًا فِي الْأَحَادِيثِ ، وَإِنَّمَا لِي فَنٌّ وَاحِدٌ

فَإِنْ رَأَيْتَ إِلَّا تَحْمِلْنِي عَلَى أَكْتافِ قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ حَرَضًا (٩) ، فَقُلْتُ : لَا أَعْرِضُ

لَكَ فِي شَيْءٍ مِنَ الشُّعْرِ أَبَدًا ، فَأَقْلَنْتَنِي هَذِهِ الْمَرَّةَ ، فَقَالَ : مَنْ يَتَكَفَّلُ بِكَ ؟ قُلْتُ :

(١) الطَّلَلُ : مَا شَخِصَ مِنْ آثَارِ الدِّيَارِ . وَالطَّلِيلُ : جَمْعُ طَلِيلَةٍ ، وَهِيَ الدَّهْرُ .

(٢) الضَّمِيرُ فِي « بِهِ » يَعُودُ عَلَى الدَّهْرِ . (٣) مُنْجِجَةٌ : ظَافِرَةٌ . وَالْمُسْتَنْجِجُ : طَالِبُ النِّجَاحِ .

(٤) الْمُعْنَقُ : الْمَكَانُ الَّذِي أَعْنَقَتْ مِنْهُ ، وَالْعُنُقُ (بِالضَّمِّ) : خُرْبٌ مِنَ السَّيْرِ السَّرِيعِ .

(٥) أَوْرَدَهَا صَاحِبُ الْأَعْيَانِ (٦) الْحَرَضُ : الرَّدَى مِنَ النَّاسِ ، أَيْ أَجْعَلُهُمْ يَهْجَأُونِي مِنْ أَرَادِلِ النَّاسِ .

أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : هو عليّ أنه لا يعرض لك أبداً ؛ ثم قال عبد الملك :
يا شعبي ، أي نساء الجاهلية أشعر ؟ قلت : النساء ؟ قال : ولم فضّنها على غيرها ؟
قلت : لقولها :

وقائلة والنّش قد فاتَ خطوها
ألا هيات أمّ الذين غدّوا به
لِتُدْرِكه : يالْهفَ نفسى على صخر !
إلى القبر ، ماذا يحملون إلى القبر !
فقال عبد الملك : أشعر منها والله التي تقول ^(١) :

مَهْمَهفْ أَهْضَمَ الْكَشْحَيْنِ مَنْخَرِقِ ^(٢) عَنْهُ الْقَمِيصُ بِبِرِّ اللَّيْلِ مُحْتَرِقِ
لا يَأْمَنُ الدَّهْسُ مَسَاهُ وَمَصْبَحَهُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَإِنْ لَمْ يَنْتَفَرْقِ
قال : ثم تبسم عبد الملك وقال : لا يسقن عليك يا شعبي ، فإنا أعلّناك هذا لأنّه
بأنّنى أن أهل العراق يتناولون على أهل الشام ، ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة
فلم يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق ، ثم
ردد على أبيات كئلى حتى حفظتها ، ثم لم أزل عنده أول داخل وآخر خارج ، فكنت
كذلك سنين ، وجعلنى فى ألفين من العطاء ، وجعل عشرين رجلاً من ولدى وأهل
بَيْتِي فى ألف ألف ، ثم بعثنى إلى أخيه عبد العزيز بمصر ، وكتب إليه : يا أخى ، قد
بعثت إليك بالشعبي ، فانظر هل رأيت قط مثله ^(٣) !

قال أبو الفرج الأصبهاني فى ترجمة أوس بن حجر : إن أبا عبيدة قال : كان أوس
شاعراً مُصْرَحاً حتى أسقطه النابغة ؛ قال : وقد ذكر الأصمعي أنه سمع أبا عمرو بن العلاء
يقول : كان أوس بن حجر فحل العرب ، فلما نشأ النابغة طائطاً منه ^(٤) .

وقال محمد بن سلام فى كتاب طبقات الشعراء : وقال من أحتج للنابغة : كان أحسنهم

(١) هي إلى أخت المنصور بن وهب الباهلي . (٢) مهمف الكشح : ضامره .

(٣) الأغاني ١١ : ٢١ - ٢٢

ديباجة شعر ، وأكثرتهم رَوْنَقُ كلام ، وأجزلتهم بيتا ؛ كان شعره كلام ليس بتكلف ، والمنطق على التكلم أوسع منه على الشاعر ، لأن الشاعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي ، والمتكلم مطلق ، بتخير الكلام كيف شاء ، قالوا : والنايفة تَبَغُّ بالشعر بعد أن أحتنك ، وهلاك قبل أن يهتر .

قلت : وكان أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد العلوي البصري يُفضل النايفة ، واستقرأني يوما ويدي ديوان النايفة قصيدته التي يمدح بها النعمان بن المنذر ، ويذكر مرضه ، ويعتذر إليه مما كان أشم به ، وقد فقه به أعداؤه ، وأولها :

كتمت لك كَيْلاً بالجمومين ساهراً ^(١) وهَمَّين : همٌّ مستكٌ وظاهراً ^(٢)

أحاديث نفس تشبكي ما يربها ^(٣) وورد هموم لو يحدن مصادرا

تكلفني أن يُفعل الدهر همها ^(٤) وهل وجدت قبلي على الدهر ناصراً !!

يقول : هذه النفس تكلفني ألا يحدث لها الدهر همّاً ولا حزناً ، وذلك مما لم يسهطه أحدٌ قبلي .

ألم تر خيرَ الناس أصبح نمشه ^(٥) على فتية قد جاورَ الحى سائراً !

كان الملكُ منهم إذا مرضَ حِمِلَ على نمش وطيف به على أكتاف الرجال بين الحيرة والخورتنق والنَجَف ، يترهونه .

ونحنُ لدَيْه نَسْأَلُ اللهَ خَلْدَه ^(٦) يرد لنا ملكاً وللأرضِ عامراً ^(٧)

ونحنُ نُرْجى الخَيْرَ إنْ فَازَ قِدْحُنَا ^(٨) ورَهَبٌ قدح الدهر إن جاء قاصراً

لك الخير إن وارت بك الأرضُ واحداً ^(٩) وأصبح جدُّ الناس بعدك عاتراً

ورَدَّتْ مطايا الراغبين وغرِبت ^(١٠) جِسادك لا يُحْيِي لها الدهرُ حافراً

(١) ديوانه ٣٩-٤٢ . والجمومين : موضع .

(٢) المائد : البقاء .

رَأَيْتُكَ نَزَعَانِي بَيْنَ بَصْرَةٍ وَتَبَعْتُ خَيْرَ اسْمٍ عَلَى وَنَظِيرٍ
وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِ أَتَاكَ أَقْسَمُهُ وَمِنْ دَسٍّ أَعْدَاءُ إِلَيْكَ الْمَآبِرِ (١)
خَلَّيْتُ لَا آتِيكَ إِنْ كُنْتُ مُجْرِمًا وَلَا أَبْتَغِي جَارًا سِوَاكَ مُجَاوِرًا
أَيُّ لَا آتِيكَ حَتَّى يَثْبُتَ عِنْدَكَ أَنِّي غَيْرُ مُجْرِمٍ .

فَقَهْلِي فِدَاءَ لَامِرِي إِنْ أَتَيْتُهُ تَقَبَّلْ مَعْرُوفِي وَسَدِّ الْمَقَارِ (٢)
سَأَرْبِطُ كَلْبِي أَنْ يَرِيكَ تَبَحُّهُ وَإِنْ كُنْتُ أُرْعَى مُجْلَانًا وَحَامِرًا (٣)
أَيُّ سَأَمْسِكَ لِسَانِي عَنْ هَجَائِكَ وَإِنْ كُنْتُ بِالشَّامِ فِي هَذَيْنِ الْوَادَيْنِ
الْبُعِيدَيْنِ عَنْكَ .

وَحَاتَ يَتُونِي فِي يَفَاعٍ مَنَعٍ تَحَالٌ بِهِ رَاعِي الْحَوْلَةِ طَائِرًا (٤)
تَزِلُ الْوَعُولُ الْعُصْمَ عَنْ قَدَفَاتِهِ وَيُضْحِي ذُرَاهُ بِالسَّحَابِ كَوَافِرًا
حِذَارًا عَلَى أَلَا تَنَالُ مَقَادِي وَلَا تَسُونِي حَتَّى يَمُتَنَّ حَرَارًا
يَقُولُ : أَنَا لَا أَهْجُرُكَ وَإِنْ كُنْتُ مِنَ الْمُنْعَةِ وَالْعِصْمَةِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ . .
أَقُولُ وَقَدْ شَطَّتْ بِي الدَّارُ عَنْكُمْ إِذَا مَا لَقِيتُ مِنْ مَعَدٍّ مُسَافِرًا
أَلَا أَبْلَغُ النِّعَمَانَ حَيْثُ لَقِيتَهُ فَأَهْدِي لَهُ اللَّهُ الْغِيُوثَ الْبَوَاكِيرَا
وَأَصْبَحَ فَلَجًا وَلَا زَالَ كَعْبُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ عَادَى مِنَ الْعَاسِ ظَاهِرًا
وَرَبَّ عَلَيْهِ اللَّهُ أَحْسَنَ صُنْمِهِ وَكَانَ عَلَى كُلِّ الْمُعَادِينَ نَاصِرًا (٥)

فَعَمِلَ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَهْتَزُّ وَيَطْرَبُ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ نُوْمُرِجَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ بِشِعْرِ
الْبَحْتَرِيِّ لِسَكَادَتِ تَمْتَرِجَ لِسَهْوَكَيْهَا وَسَلَامَةِ أَلْفَاظِهَا ، وَمَا عَلَيْهَا مِنَ الدِّيَابِجَةِ وَالرُّتُونِقِ ؛ مِنْ
يَقُولُ : إِنَّ أَمْرًا الْقَيْسَ وَزَهِيرًا أَشْعَرُ مِنْ هَذَا ! هَلُمُّوْا فَايُحَاكُمُونِي .

(١) النَّأِيرُ : النَّأَمُ . (٢) تَقَبَّلْ ، تَبَعْنِي قَبْلَ . وَالْمَقَارُ : جَمْعُ مَقَرٍّ .
(٣) الدَّيْوَانُ : سَأَلَكُمْ كُلِّي ، أَيُّ سَأَمْسِكَ . وَمُجْلَانٌ وَعَامِرٌ : مَوْضِعَانِ .
(٤) الْيَفَاعُ : الْمَعْرِفُ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْحَوْلَةُ : الْإِبِلُ الَّتِي أَطَاعَتْ الْحُلَّ . (٥) رَبِّهِ : أَمْرُهُ .

فَأَمَّا امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ حُجْرٍ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمَحِيُّ فِي كِتَابِ "طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ" :
أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ أَنَّ عُلَمَاءَ الْبَصْرَةِ كَانُوا يَقْدِّمُونَهُ عَلَى الشُّعْرَاءِ كُلِّهِمْ ، وَأَنَّ
أَهْلَ الْكُوفَةِ كَانُوا يَقْدِّمُونَ الْأَعْشَى ، وَأَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ وَالْبَادِيَةِ يَقْدِّمُونَ
زُهَيْرًا وَالنَّابِغَةَ^(١) .

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : فَالطَّبَقَةُ الْأُولَى إِذْنُ أَرْبَعَةٌ . قَالَ : وَأَخْبَرَنِي شُعَيْبُ بْنُ صَخْرٍ ، عَنْ
هَارُونَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ لِلْفَرَزْدَقِ : مَنْ أَشْعَرَ النَّاسِ بِأَلْيَا فِرَاسٍ ؟
فَقَالَ : ذُو الْقُرُوحِ ، يَعْنِي امْرَأَ الْقَيْسِ ، قَالَ : حِينَ يَقُولُ : مَاذَا ؟ قَالَ حِينَ يَقُولُ :

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بَيْنَى أَرْبَعِينَ ، وَبِالْأَشَقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ

قَالَ : وَأَخْبَرَنِي أَبَانُ بْنُ عِمَّانَ الْبَجَلِيُّ ، قَالَ : مَرَّ لَبِيدٌ بِالْكُوفَةِ فِي بَنِي سَهْدٍ ، فَاتَّبَعُوهُ
رَسُولًا يَسْأَلُهُ : مَنْ أَشْعَرَ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : الْمَلِكُ الضُّلَيْلُ . فَاعَادُوهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟
فَقَالَ : الْفَلَامُ الْقَتِيلُ - يَعْنِي طَرْفَةَ بْنَ الْعَبْدِ - وَقَالَ غَيْرُ أَبَانٍ : قَالَ : ثُمَّ ابْنُ الْعَشْرِينَ ،
قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : الشَّيْخُ أَبُو عَقِيلٍ يَعْنِي نَفْسَهُ^(٢) .

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : وَاحْتَجَّ لَامِرِيُّ الْقَيْسِ مِنْ يَقْدِّمُهُ فَقَالَ : إِنَّهُ أَيْسُ^(٣) قَالَ مَا لَمْ
يَقُولُوهُ ، وَلَكِنَّهُ سَبَقَ الْعَرَبَ إِلَى أَشْيَاءَ ابْتَدَعَهَا اسْتَحْسَنَتْهَا الْعَرَبُ ، فَاتَّبَعَهُ فِيهَا
الشُّعْرَاءُ ، مِنْهَا اسْتِيقَافُ صَحْبِهِ ، وَالْبُكَاءُ فِي الدِّيَارِ ، وَرَقَّةُ النَّسِيبِ ، وَقُرْبُ الْمَأْخُذِ ،
وَتَشْبِيهُ النِّسَاءِ بِالظُّبَاءِ وَبِالْبَيْضِ ، وَتَشْبِيهُ الْخَيْلِ بِالْعِجَابِ وَالْعِصَى ، وَقَيْدُ الْأَوَابِدِ ،
وَأَجَادُ فِي النَّسِيبِ ، وَفَصَلَ بَيْنَ النَّسِيبِ وَبَيْنَ الْمَعْنَى ، وَكَانَ أَحْسَنَ الطَّبَقَةِ تَشْبِيهًا^(٤) .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي مُعَلِّمُ لَبْنِي دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْبَادِيَةِ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
عَلَى ظَلِيمٍ قَدْ زَمَهُ وَخَطَمَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

(٢) طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ ٤٤

(١) طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ ٤٤

(٣) طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ : « مَا قَالَ مَا لَمْ يَقُولُوا » (٤) طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ ٤٦

هل يَبْلُغُنِيهِمْ إِلَى الصَّبَاحِ هَقْلٌ كَانَ رَأْسُهُ جَمَاحٌ
 قال : فما زال يذهب به ظَلِيمُهُ وَرَجَى حَتَّى أُنْتَ بِهِ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِإِنْسِي
 قلت : يا هذا ، من أشعر العرب ؟ فقال : الذي يقول :
 أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حُبَّكَ قَاتِلِي وَأَنَّكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ
 يَعْنِي امْرَأَ الْقَيْسِ ، قلت : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : الذي يقول :
 وَيَبْرُدُ بَرْدُ رِداءِ العَرُو سِ بِانصِيفِ رَقْرَقَتْ فِيهِ الْمَبِيرَا
 وَيَسْخُنُ لَيْلَةً لَا يَسْتَطِيعُ نُبَاحُهَا السَّكْلَبُ إِلَّا هَرِيرَا
 ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ ظَلِيمُهُ فَلَمْ أَرَهِ ^(١)



قال : وَجَدْتُ عَوَانَةً ، عَنْ الْحَسَنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لِحَسَّانَ بْنِ
 ثَابِتٍ : مَنْ أَشْعَرُ الْعَرَبِ ؟ قَالَ : الزُّرْقُ الْعَيُونُ مِنْ بَنِي قَيْسٍ ، قَالَ : لَسْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ
 الْقَبِيلَةِ ، إِنَّمَا أَسْأَلُكَ عَنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَقَالَ حَسَّانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنْ مَثَلَ الشُّعْرَاءُ
 وَالشُّعْرُ كَمَثَلِ نَاقَةٍ تُحَرِّمُ ، فَجَاءَ امْرَأَتُ الْقَيْسِ بْنُ حُجْرٍ فَأَخَذَتْ سَنَامَهَا وَأَطَابِيهَا ، ثُمَّ جَاءَ
 الْمُتَجَاوِرَانِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فَأَخَذَا مَا وَآلَى ذَلِكَ مِنْهَا ، ثُمَّ جَعَلَتِ الْعَرَبُ تَمْزَعُهَا
 حَتَّى إِذَا بَقِيَ الْفَرْتُ وَالْدَمُّ جَاءَ عَمْرُو بْنُ تَمِيمٍ وَالنَّمِرُ بْنُ قَاسِطٍ فَأَخَذَاهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « ذَاكَ رَجُلٌ مَذْكُورٌ فِي الدُّنْيَا شَرِيفٌ فِيهَا خَامِلٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مَعَهُ
 لَوَاءُ الشُّعْرَاءِ إِلَى النَّارِ » ^(٢)

فَأَمَّا الْأَعَشَى فَقَدْ احتَجَّ أَصْحَابُهُ بِتَفْضِيلِهِ بِأَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَرُوضًا ، وَأَذْهَبَهُمْ فِي فُنُونِ
 الشُّعْرِ ، وَأَكْثَرَهُمْ قَصِيدَةً طَوِيلَةً جَيِّدَةً ، وَأَكْثَرَهُمْ مَذْخَا وَهَجَاءً ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَأَلَ

يُشْعِرُهُ ، وَإِنْ لَمْ يَسْكُنْ لَهُ يَفْتَنُ نَادِرٌ عَلَى أَفْوَاهِ النَّاسِ كَأَيَّاتِ أَصْحَابِهِ الثَّلَاثَةِ .

وَقَدْ سُئِلَ خَافَ الْآخِرُ : مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : مَا يَنْتَهِي إِلَى وَاحِدٍ يُجْمَعُ عَلَيْهِ
كَأَلَّا يَنْتَهِيَ إِلَى وَاحِدٍ هُوَ أَشْجَعُ النَّاسِ ، وَلَا أَخْطَبُ النَّاسِ ، وَلَا أَجَلُ النَّاسِ ، قَبِيلُهُ :
يَا أَبَا مَحْرُزٍ ، فَأَيُّهُمْ أَعْجَبُ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْأَعْسَى كَانَ أَجْمَعَهُمْ .

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : وَكَانَ أَبُو الْخَطَّابِ الْأَخْفَشُ مَسْتَهْتَرًا بِهِ يَفْتَنُهُ ، وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ
الْعَلَاءِ يَقُولُ : مَثَلُهُ مَثَلُ الْبَازِي يُضْرِبُ كَبِيرَ الطَّيْرِ وَصَغِيرَهُ . وَيَقُولُ : نَظِيرُهُ فِي
الْإِسْلَامِ جَرِيرٌ ، وَنَظِيرُ النَّافَةِ الْأَخْطَلُ ، وَنَظِيرُ زُهَيْرِ الْعَرَزْدَقِ (١) .

فَأَمَّا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « الْمَلِكُ الضَّالُّيلُ » فَإِنَّمَا سَمَّى امْرُؤَ الْقَيْسِ
ضَلِيلًا لِمَا يُعَانِي بِهِ فِي شِعْرِهِ مِنَ الْفِسْقِ ، وَالضَّالُّيلُ : الْكَثِيرُ الضَّلَالِ ، كَالشَّرَّيبِ ، وَالْخَمِيرِ
وَالسُّكْرِ ، وَالْفِسْقِ ، لِكَثَرِ الشَّرْبِ وَإِذْمَانِ الْخَمْرِ وَالسُّكْرِ وَالْفِسْقِ ، فَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ :

فَمِثْلُكَ حَبْلِي قَدْ طَرَقْتُ وَمُرَضِمًا فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَامٍ نَحْوَلِ (٢)
إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ بِشَقٍّ وَتَحْتَى شِقْقَهَا لَمْ يَنْحَوَلِ

وَقَوْلُهُ :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سَمَوْتُ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ (٣)
فَقَالَتْ لِحَاكِ اللَّهِ إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَرَى السَّمَارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي
فَقَالَتْ لَهَا تَالَهُ أَرْحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت
فصيرنا إلى الحسنى ورق كلامنا
حلفت لها بالله حلفة فاجبر
فأصبحت معشوقا وأصبح بعلمها
هصرت بغض ذى شماريح ميال
ورضت فذلت صعبة أى إذلال
لنأموأفها إن من حديث ولاصالى
عليه القتام كاسف الوجه والبال

وقوله فى اللامية الأولى :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تخطت أبوابا إليها ومعشرا
فجئت وقد نصت لنوم ثيابها
فقال يمين الله مالك حيلة
فقت بها أمسى نجر وراءنا
فلما أجزنا ساحة الحى واتحى
هصرت بفؤدى رأسها قمايات
تمت من ليلها غير معجل^(١)
على حراصا لو يبرون مقل
لدى الشتر إلا لبسة المفضل
وما إن أرى عنك الغواية تنجلي
على إثرنا أذبال مرط مرجل
بنا بطن خبت ذى حفاف عفتل
على هضم الكشح ربا المخلخل

وقوله :

فت أكايد ليل التمام
فلما دنوت تسديتها
ولم يرنا كالى كاشخ
وقد رابى قولها : يا هنا
والقلب من خشفة ومشعر
فتوبأ نسيب وثوبأ أجر
ولم يبد منا لدى البيت سبر
ه ونحك ألحقت شرابشر

وقوله :

تَقُولُ وَقَدْ جَرَّتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا كَمَا رُعْتُ مَكْحُولَ الْمَدَامِيعِ أَتْلَعًا^(۱)
لَعَمْرُكَ لَوْ شِئْتُ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَالْكَوْلَسَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَذْقَمًا
فَبَقْنَا نَصُدُّ الْوَحْشَ عَنَّا كَأَنَّمَا قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَصْرَعًا
تَجَافَى عَنِ الْمَأْثُورِ يَبْنَى وَيَبْنَى وَتُذْنِي عَلَى السَّابِرِ الْمُضْلَعَا

و فی شعر امری، القیس من هذا الفن كثير، فمن أرادَه فليطلبه من مجموع شعره .



مرکز تحقیقات و نشر علوم اسلامی

الأصل :

وقال عليه السلام :

أَلَا حُرٌّ بَدَعَ هَذِهِ اللَّمَازَةَ لِأَهْلِهَا ! إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا .



الشرح :

الَّامَازَةُ بفتح اللام : ما تَبَقَّى في الفم من الطعام ؛ قال بصف الدنيا :

* لَمَازَةُ أَيَّامٍ كَأَحْلَامٍ نَائِمٍ *

ولمَظ الرجل يَلْمُظ بالضم لَمَظًا ، إذا تَتَبَعَ بلسانه بقيَّة الطعام في فيه وأخرج لسانه فَمَسَحَ به شَفَتَيْهِ ، وكذلك التَّلْمُظ ، يقال : تَلْمَظْتُ الحَيَّة إذا أخرجت لِسَانَهَا كما يَتَلَمَّظ الآكل .

وقال : « أَلَا حُرٌّ » ، مبتدأ ، وخبره مَحْذُوف أي في الوجود . وأَلَا حرفٌ ، قال :

أَلَا رَجُلٌ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا يَدُلُّ عَلَى مُحَصَّلَةِ تَبِيعُ

ثم قال : إنه ليس لأنفسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ ، فلا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا ، من الناس من يَبِيعُ نفسه بالدراهم والدنانير ، ومن الناس من يبيع نفسه بأحقر الأشياء وأهونها ، ويبيع هواه فيهلك ، وهؤلاء في الحقيقة أحقُّ الناس ، إلا أنه قد رِينَ عَلَى الْقُلُوبِ ، فغَطَّتْهُمُ الذُّنُوبُ ، وَأَضَلَّتْ الْأَنْفُسُ بِالْجَهْلِ وَسُوءِ الْعَادَةِ ، وطال الأمد أيضا على القلوب فَقَسَتْ ، ولو أفكر الإنسان حَقَّ الْفِكْرِ لما باع نفسه إِلَّا بِالْجَنَّةِ لا غير .

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْهُمَان لَا يَشْبَعَانِ : طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا .

الشرح :

تقول : نَهِمَ فلانٌ بكذا فهو مَنهُومٌ ، أى مُولعٌ به ، وهذه الكلمة مَرْوِيَّةٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « مَنْهُمَان لَا يَشْبَعَانِ : مَنهُومٌ بِالْمَالِ ، وَمَنهُومٌ بِالْعِلْمِ » . وَالنَّهِمُ بِالْفَتْحِ : إِفْرَاطُ الشَّهْوَةِ فِي الطَّعَامِ ، تَقُولُ مِنْهُ : شَبِعْتُ إِلَى الطَّعَامِ بِكَسْرِ الْهَاءِ أَنَّهُمْ فَأَنَا نَهِيمٌ ، وَكَانَ فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ أُنْزِلَتْ ثُمَّ رَفِعَتْ : « لَوْ كَانَ لابْنُ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذَهَبٍ لَا يَتَغَيَّ لَهْمَانِ ثَلَاثًا ، وَلَا يَمَلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ ، وَيَتَوَبُّ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ » .

فَأَمَّا طَالِبُ الْعِلْمِ الْعَاشِقُ لَهُ ، فَإِنَّهُ لَا يَشْبَعُ مِنْهُ أَبَدًا ، وَكَلَّمَا اسْتَكْثَرَ مِنْهُ زَادَ عِشْقُهُ لَهُ ، وَتَهَالَكُهُ عَلَيْهِ . مَاتَ أَبُو عِمَّانَ الْجَاحِظُ وَالْكِتَابُ عَلَى صَدْرِهِ .

وَكَانَ شَيْخُنَا أَبُو عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي النَّزْعِ وَهُوَ يُعْمَلِي عَلَى ابْنِهِ أَبِي هَاشِمٍ مَسَائِلَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ . وَكَانَ الْقَاضِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ يَأْخُذُ الْكِتَابَ فِي خُفِّهِ وَهُوَ رَاكِبٌ ، فَإِذَا جَلَسَ فِي دَارِ الْخَلِيفَةِ اشْتَغَلَ بِالنَّظَرِ فِيهِ إِلَى أَنْ يَجْلِسَ الْخَلِيفَةُ ، وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ . وَقِيلَ : مَا فَارَقَ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ الْكِتَابَ قَطًّا إِلَّا فِي الْخَلَاءِ . وَأَعْرَفَ أَنَا فِي زَمَانِنَا مَنْ مَكَثَ نَحْوَ خَمْسِ سِنِينَ لَا يَنَامُ إِلَّا وَقْتَ السَّحَرِ صَيْفًا وَشِتَاءً مُكَبِّيًا عَلَى كِتَابٍ صَنَفَهُ ، وَكَانَتْ وَسْلُوَتُهُ الَّتِي يَنَامُ عَلَيْهَا الْكِتَابُ .

الأمثلة :

وقال عليه السلام :

علامة الإيمان أن تؤثّر الصدق حيث يضرّك ، على الكذب حيث ينفعك ،
والأبكون في حديثك فضل عن عليك ، وأن تتقي الله في حديث غيرك .



الشرح :

قد أخذ المعنى الأول القائل :

عليك بالصدق ولو أنه أخرقك الصدق بنار الوعيد

ويبين أن يكون هذا الحكم مقيدا لا مطلقا ، لأنه إذا أضر الصدق ضررا عظيما
يؤدى إلى تلف النفس أو إلى قطع بعض الأعضاء لم يجز فعله صريحا ، ووجبت المعارض
حينئذ .

فإن قلت : فالمعارض صدق أيضا ، فالكلام على إطلاقه اقلت : هي صدق
في ذاتها ، ولكن مستعملها لم يصدق فيما سئل عنه ، ولا كذب أيضا ، لأنه لم يخبر
عنه ، وإنما أخبر عن شيء آخر وهو المعارض ؛ والتارك للخبر لا يكون صادقا
ولا كاذبا ، فوجب أن يقيد إطلاق الخبر بما إذا كان الضرر غير عظيم ، وكانت نتيجة
الصدق أعظم نفعاً من تلك المصرة .

قال عليه السلام : « وأن لا يكون في حديثك فضل عن عليك » ، متى زاد منطق
الرجل على عاينه فقد لغا وظهر نقصه ، والفاضل من كان علمه أكثر من منطق . قوله :
« وأن تتقي الله في حديث غيرك » ، أى في نقله وروايته فترويه كما سمعته من غير تحريف

يَحْذِلُ :

وقال عليه السلام :

يَضِلُّ الْقَدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ ، حَتَّى تَكُونَ الْآفَةُ فِي التَّذْيِيرِ .

قال : وقد مضى هذا المعنى فيما تقدم بروايةٍ تُخالفُ بعض هذه الألفاظ .

الْبَزْجُ :

قد تقدم هذا المعنى ، وهو كثيرٌ جداً ، ومن جيده قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا لَمْ يَنْزِلْ مِنْ أَنْ يَخْطُبْ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَحْذِلُ اللَّهُ يَحْذِلُ

لِجَاهِدٍ حَتَّى تَبْلُغَ النَّفْسُ عُذْرَهَا وَقَلْقَلْ بِنَفْسِ الْعِزِّ كُلَّ مُقَاتِلٍ

وقال أبو تمام :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَيْتَةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهِبُهُ^(١)

لَأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

وقال آخر :

فَإِنْ بَيْنَ حَيْطَانَيْهِ فَإِنَّهَا أُولَئِكَ عُقَالَاتُهُ لَا مَعَاوِلُهُ

الأصل :

وقال عليه السلام :

الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ تَوْءَمَانِ ، يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ الْهَيْمَةِ .

الشرح :



مركز تحقيقات كتابية وعلوم إسلامية

قد تقدم هذا المعنى وشرحه مرارا :

وقال ابن هاني :

وَكَلَّ أَنَاةً فِي الْوِطَانِ سَوْدُودٌ وَلَا كَأَنَاةٍ مِنْ تَدَبُّرٍ مُحْكَمٍ ^(١)
وَمَنْ يَتَّبِعَنَّ أَنَّ لِلسَّيْفِ مَوْضِعًا مِنْ الصَّفْحِ يَصْفَحُ عَنْ كَثِيرٍ وَيَحْلِمُ
وقال أربابُ المعاني : علما الله تعالى فضيلة الأناة بما حكاه عن ساجان ، ﴿ سَتَنْظُرُ
أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ^(٢) .

وكان يقال : الأناة حصن السلامة ، والعجلة مفتاح الندامة .

وكان يقال : التأني مع الخفية ، خيرٌ من التهور مع النجاح .

وقال الشاعر :

الرَّفْقُ يُبْنِي وَالْأَنَاةُ سَعَادَةٌ فَتَأَنَّ فِي أَمْرِ تُلَاقِي نَجَاحًا

(١) ديوانه ١٢٣ وز د * من قدير محكم * (٢) سورة النمل ٢٧ .

وقال مَنْ كره الأناة وذمّها : لو كانت الأناة محمودّةً والعجلة مذمومةً ، لما
قال موسى لربه : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ ^(۱)

وأنشدوا :

غَيْبُ الْأُنَاةِ وَإِنْ سَرَّتْ عَوَاقِبُهَا أَنْ لَا خُلُودَ وَأَنْ لَيْسَ الْفَقَى حَجَرًا
وقال آخر :

كَمْ مِنْ مُضَيِّعٍ فُرْصَةً قَدْ أَمَكَّتْ لَغْدٍ وَلَيْسَ لَهُ غُلْدٌ بِمُؤَاتِي
حَتَّى إِذَا فَاتَتْ وَقَاتِ طَلَامُهَا ذَهَبَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ حَسَرَاتٍ



مركز تحقیقات کتاب و نشر علوم اسلامی

الأصل :

وقال عليه السلام :

الفية جهد العاجز .

الشرح :



قد تقدم كلامنا في الفية مستقصى .

وقيل للأحنف : من أشرف الناس ؟ قال : من إذا حضر هابؤه، وإذا غاب اغتابوه .

مركز بحوث الدراسات الإسلامية

وقال الشاعر :

ويفتأبني من لو كفاني اغتيابه لكنت له العين البصرة والأذنا
وعندي من الأشياء ما لو ذكرتها إذا قرع الغصاب من تدم سنا
وقد نظمت أنا كلمة الأحنف فقلت :

أكل عرضي إن غبت ذمًا فإن أُرْتُ فدح ورهبة وسجود
هكذا يفعل الحيات ، شجاع حين يخاو ، وفي الوغا رغيد
لك وفي حالان في عينك الجنة حُسنًا وفي الفؤاد وقود

الأصل :

وقال عليه السلام :

رُبَّ مَفْتُونٍ بِحَسَنِ الْقَوْلِ فِيهِ .

التهنئة :

طالما قَتِنَ الناسُ بِنِئَاءِ الناسِ عليهم ، فيَقْصُرُ العالمُ في اكتسابِ العلمِ اتِّكالا على ثناءِ الناسِ عليه ، ويَقْصُرُ العابدُ في العبادةِ اتِّكالا على ثناءِ الناسِ عليه ، ويقول كل واحد منهما : إِنَّمَا أُرِدْتُ مَا اشْتَهَرَتْ بِهِ الْمَصْنُوتُ ، وقد حَصَلَ ، فَلِمَ أَذَا أَتَكَفَّفَ الزَّيَادَةُ ، وَأَعَانِي التَّعَبُ ! وَأَيْضًا فَإِنَّ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَى الْإِنْسَانِ يَحْتَضِي اعْتِرَاءَ الْعُجْبِ لَهُ ، وإِعْجَابِ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ مُهْلِكٌ .

واعلم أَن الرَضَى رَحِمَهُ اللهُ قَطَعَ كِتَابَ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ عَلَى هَذَا الْفَصْلِ ، وَهَكَذَا وَجَدْتُ النُّسخَةَ بِحَظِّهِ وَقَالَ : « هَذَا حِينَ انْتِهَاءِ الْغَايَةِ بِنَا إِلَى قَطْعِ الْمُنْتَزَعِ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : حَامِدِينَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ مِنْ تَوْفِيقِنَا لِنُضَمَّ مَا انْتَشَرَ مِنْ أَطْرَافِهِ وَتَقَرِّبَ مَا بَعُدَ مِنْ أَفْطَارِهِ ، مَقَرَّرِينَ الْعَزَمَ كَمَا شَرَطْنَا أَوَّلًا عَلَى تَفْضِيلِ أَوْرَاقٍ مِنَ الْبَيَاضِ فِي آخِرِ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْأَبْوَابِ ، لِمَا تَكُونُ لِقِصَاصِ الشَّارِدِ ، وَاسْتِخْلَاقِ الْوَارِدِ ، وَمَا عَسَاهُ أَنْ يَظْهَرَ لَنَا بَعْدَ الْغَمُوضِ ، وَيَقَعُ إِلَيْنَا بَعْدَ السَّدُودِ ، وَمَا تَوْفِيقُنَا إِلَّا بِاللَّهِ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ ، نَعْمَ الْمَوْلَى وَنَعْمَ النَّصِيرُ » .

ثم وَجَدْنَا نُسْخًا كَثِيرَةً فِيهَا زِيَادَاتٌ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ ؛ قِيلَ : إِنَّمَا وَجِدْتُ فِي نُسْخَةٍ كُتِبَتْ فِي حَيَاةِ الرَضَى رَحِمَهُ اللهُ وَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَأَمَاضَاهَا ، وَأَذِنَ فِي إلْحَاقِهَا بِالْكِتَابِ وَنَحْنُ نَذْكُرُهَا .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا ، وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا .

الشرح :

قال أبو العلاء المَعَرِّي - مع ما كان يُرمَى به - في هذا المعنى ما يطابق إرادة أمير المؤمنين

عليه السلام بلفظه هذا :

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْبِبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ^(١)
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ أَعْمَسَا إِلَى دَارٍ شَقْوَةٍ أَوْ رَشَادٍ

الأفضل :

وقال عليه السلام :

إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةٍ مِرْوَدًا يَجْرُونَ فِيهِ ، وَلَوْ قَدْ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَوْ كَادَتْهُمْ
الضُّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ .

قال الرضى رحمه الله تعالى : وهذا من أفصح الكلام وأغربيه ، والمِرْوَدُ هاهنا
مِفْعَلٌ مِنَ الْإِرْوَادِ ، وَهُوَ الْإِمْهَالُ وَالْإِنْفَارُ ، فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَبَّهَ الْمُهَلَّةَ الَّتِي
هِيَ فِيهَا بِالْمِضْمَارِ الَّذِي يَجْرُونَ فِيهِ إِلَى الْغَايَةِ ، فَإِذَا بَلَغُوا مُنْقَطِعَهَا انْتَقَضَ
نِظَامُهُمْ بَعْدَهَا .

الشَّيْخ :

هذا إخبارٌ عن غيب صريح ، لأن بنى أُمَيَّةٍ لم يزل مُلْكُهُمْ منتظماً لما لم يكن بينهم
اختلاف ، وإنما كانت حروبُهُمْ مع غيرهم كحَرْبِ معاويةَ في صِفِّينَ ، وحَرْبِ يزيدَ
أهلَ المدينةَ ، وأبنَ الزبيرَ بِمَكَّةَ ، وحَرْبِ مروانَ الضحَّاكَ ، وحَرْبِ عبد الملكِ أبنَ الأشعثِ
وأبنَ الزبيرِ ، وحَرْبِ يزيدَ ابنه بنى المهلبِ ، وحَرْبِ هشامَ زيدَ بنِ عليٍّ ، فلما ولى الوليدُ
ابنَ يزيدَ وخرجَ عليه أبنُ عمِّه يزيدُ بنَ الوليدِ وقتلَه ، اختلفتْ بنو أُمَيَّةٍ فيما بينهما ، وجاء
الوعدُ - وصدق من وعد به - فإنه منذ قتل الوليدِ دَعَتْ دُعَاةُ بنى العباسِ بِخُرَاسَانَ ، وَأَقْبَلُ

مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة ، نفع إبراهيم بن الوليد ، وقتل قوما من بني أمية ، وأضطرب أمر الملك وانتشر ، وأقبلت الدولة الهاشمية ونمت ، وزال ملك بني أمية ، وكان زوال ملكهم على يد أبي مسلم ، وكان في بدايته أضعف خلق الله وأعظمهم فقرا ومسكنة ، وفي ذلك تصديق قوله عليه السلام : « ثم لو كادتهم الضباع لغلبتهم » .



مركز تحقيقات کاتبی و پژوهشی علوم اسلامی

الأصل :

وقال عليه السلام في مدح الأنصار :

هُمْ وَاللَّهِ رَبُّوا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبِّي الْفُلُؤُ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السَّبَاطِ ،
وَالْيَدَّيْنِ السَّلَاطِ .



مركز تحقيق تكملة تراث علوم إسلامي

الشرح :

الفلؤ : المنهر .

وَبُرُوى : « بأيديهم البساط » ، أى البسيطة ، والأولى جَمْعُ سَبَطٍ يَعْنِي السَّحَابَ ، وقد يقال للحاذق بالطَّمن : إِنَّهُ لَسَبَطُ الْيَدَيْنِ ، يريدُ الثَّقَافَةَ . وألسنتهم السَّلَاطُ ، يعنى الفَصِيحَةُ .

وقد تقدّم القولُ في مدح الأنصار ، ولو لم يكن إلا قولُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله فيهم : « إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ ، وَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » ، ولو لم يكن إلا ما قاله لعاصم ابنِ الطَّائِلِ فيهم لما قال له : « لَأَغْزُونَكَ فِي كَذَا وَكَذَا مِنْ الْخَيْلِ » بتوعده ، فقال عليه السلام : « يَكْفِي اللَّهَ ذَلِكَ وَأَبْنَاءُ قَبِيلَةٍ » ، [لَكَانَ نَحْرَاهُمْ] وهذا عظيمٌ جداً وفوق العَظِيمِ ، ولا ريبَ أَنَّهُمُ الَّذِينَ أَيْدَى اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ ، وأظهرَ بِهِمُ الْإِسْلَامَ بعدَ خَفَائِهِ ، ولولا همُ لَعَجَزَ الْمُهَاجِرُونَ عَنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ ، وعن حِمَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ولولا مَدِينَتُهُمْ لَمْ يَكُنِ الْإِسْلَامُ ظَهَرَ بِتَأْجِثُونَ عَلَيْهِ ، وَيَكْفِيهِمْ فَخْرًا يَوْمَ تَخْرُاءُ الْأَسَدُ ،

يوم خرج بهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قريش بعد أن كسار أصحابه ، وقتل من قتل منهم ، وخرجوا نحو القوم والجراح فيهم فاشية ، ودماؤهم تسيل ، وإسهم مع ذلك كالأسد الفرات تنوَّاب على فرايسها ، وكم لهم من يوم أغرَّ محجَّل ! وقالت الأنصار : لولا علي بن أبي طالب عليه السلام في المهاجرين لأبينا لأنفسنا أن يُذكر المهاجرون معنا ، أو أن يُقرَّونا بنا ، ولكن ربَّ واحدٍ كالف ؛ بل كألف .

وقد تقدَّم ذكرُ الشعر المنسوب إلى الوزير المغربي وما طعن به القادر بالله الخليفة العباسي في دينه بطريقه ، وكان الوزير المغربي يتبرأ منه ويحجَّده ، وقيل : إنه وُجد مسوَّدة بخطه في رفعت إلى القادر بالله .

ومما وُجد بخطه أيضاً وكان شديد العصبية الأنصار ولقحطان قاطبة ، على عدنان ، وكان ينتمي إلى الأزد ، أزد شنوءة - قوله -

إِنَّ الَّذِي أُرْسَى دَعَائِمَ أَحْمَدٍ وَعَلَا دَعْوَتِهِ عَلَى كَيَوَانٍ
أبناء قتيلة وارثو شرف العلاء وعراعر الأقبال من قحطانٍ
يسوفهم يوم الوغى وأكفهم ضربت مصاعب ملكه بجران^(١)
لولا مصارعهم وصدق قرايعهم خرَّت عروش الدين للأذقان
فأشكرن محمد أسياف من لولاه كان كخالد بن سنان

وهذا إفراط قبيح ، ولفظ شنيع ؛ والواجب أن يسان قدر النبوة عنه ، وخصوصاً البيت الأخير ، فإنه قد أساء فيه الأدب ، وقال مالا يجوز قوله ، وخالد بن سنان كان من بني عبس بن بغيض ، من قبس عيلان ، ادَّعى النبوة ، وقيل : إنه كانت تظهر عليه آيات ومعجزات ، ثم مات وانقرض دينه ودثرت دعوته ، ولم يبق إلا اسمه ، وليس يعرفه كل الناس ، بل البعض منهم .

(١) يقال : ضرب العير بجرانه : إذا بركه .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

العَيْنُ وَكَاهُ السَّهْ .

قال الرضی رحمہ اللہ تعالیٰ : وهذه من الاستعارات العجيبة ، كأنه شبه السَّهْ بالوعاء ، والعَيْن بالوكاء ، فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء . وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله ، وقد رواه قومٌ لأمير المؤمنين عليه السلام ؛ وذكر ذلك المبرّد في الكتاب المقتضب في باب اللفظ المعروف .

قال الرضی : وقد تكلمنا على هذه الاستعارات في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية .

الشرح :

المعروف أن هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ، ذكره المحدثون في كتبهم وأصحاب غريب الحديث في تصانيفهم ، وأهل الأدب في تفسير هذه اللفظة في مجموعاتهم اللغوية ، ولعل المبرّد اشتبه عليه فتسببه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، والرواية بألفظ التثنية : « العَيْنَانِ وَكَاهُ السَّهْ » ، والسَّهْ : الاست .

وقد جاء في تمام الخبر في بعض الروايات : « فإذا نامت العينان استطلق الوكاء » ،
والوكاء : رباط القربة ، فجعل العينين وكاء - والمراد اليقظة - لستته كالوكاء للقربة ، ومنه
الحديث في اللقطة : « احفظ عفاصها ووكاءها ، وعرفها سنة ، فإن جاء صاحبها وإلا
فشأنك بها » ، والعفاص : السداد ، والوكاء : السداد ، وهذه من الكنايات اللطيفة .

[فصل في ألفاظ الكنايات وذكر الشواهد عليها]

وقد كنا قد منّا قطعةً صالحةً من الكنايات المستحسنة ، ووعدنا أن نعاود ذكر طرف
منها ، وهذا الموضع موضع ، فمن الكناية عن الحدث الخارج - وهو الذي كفى عنه
أمير المؤمنين عليه السلام ، أو رسول الله صلى الله عليه - الكناية التي ذكرها يحيى
ابن زياد في شعره ، قيل : إن يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحمادا الراوية جلسوا على
شرب لهم ، ومعهم رجل منهم ، فاحل وكأوه ، فاستجيا وخرج ، ولم يعد إليهم ،
فكتب إليه يحيى بن زياد :

أَمِنْ قُلُوبٍ غَدَتْ لَمْ يُؤْذِهَا أَحَدٌ إِلَّا تَذَكَّرُهَا بِالرَّمْلِ أَوْ طَانًا
خَانَ الْعِقَالُ لَهَا فَأَنْبَتَ إِذْ نَفَرَتْ وَإِنَّمَا الذَّنْبُ فِيهَا لِلَّذِي خَانَا
مَنْعَتْنَا مِنْكَ هِجْرَانًا وَمَقَالِيَةً وَلَمْ تَزُرْنَا كَمَا قَدْ كُنْتَ تَفْشَانَا
خَفَضَ عَلَيْكَ فَمَا فِي النَّاسِ ذُوَابِلُ إِلَّا وَأَبْنَقَهُ يَشْرُدُنْ أَحْيَانَا

وليس هذا الكتاب أهلاً أن يضمّن حكاية سخيّة أو نادرة خليعة ، فنذكر فيه
ما جاء في هذا المعنى ، وإنما جئنا على ذكر هذه الحكاية خاصّة كناية أمير المؤمنين
عليه السلام أو رسول الله صلى الله عليه وآله عنها ، ولكننا نذكر كنايات كثيرة في
غير هذا المعنى مستحسنة ، ينتفع القارئ بالوقوف عليها .

يقال : فلان من قوم موسى ، إذا كان ملولاً ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَى إِنِّ نَصَبُ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾^(١) .

قال الشاعر :

فيا من ليس يكفيه صديقٌ ولا ألفاً صديقٍ كلَّ عامٍ
أظنك من بقايا قوم موسى فهم لا يصبرون على طعامٍ
وقال العباس بن الأحنف :

كُتِبَتْ تَلُومٌ وَنَسْرِيثُ زِيَارَتِي وَتَقُولُ : لَسْتُ لَنَا كَمَهْدِ الْعَاهِدِ
فَأَجَبْتُهَا وَدُمُوعُ عَيْنِي سَجَمٌ تَجْعُرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ غَيْرَ جَوَامِدِ
يَا فَوْزُ لَمْ أَهْجُرْكُمْ لِلْأَمَةِ عَرَضْتُ وَلَا لِمَقَالٍ وَاشِ حَسَدِ
لَكِنِّي جَرَّبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ لَا أَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدِ
ويقولون للجارية الحسنة : قد أبقت من رضوان ، قال الشاعر :

جَسَتْ الْعُودَ بِالْبَنَانِ الْحِسَانِ وَتَشْتِ كَأَنَّهَا غُصْنُ بَابِ
فَسَجَدْنَا لَهَا جَمِيعاً وَقَلْنَا إِذْ شَجَّتْنَا بِالْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ
حَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَكُونِي مِنَ الْإِزِيسِ وَلَكِنْ أَبَقْتَ مِنْ رِضْوَانِ
ويقولون للمكشوف الأمر الواضح الحال : ابن جلاء ، وهو كناية عن الصُّبْحِ
ومنه ما تمثل به الحجاج :

أَنَا ابْنُ جَلَاءٍ وَطَّلَاعِ الثَّنَائِيَا مَتَى أَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي^(٢)
ومنه قول القلائخ بن حزن :

(١) سورة البقرة ٦١ .

(٢) الكامل ١ : ٢٢٤ ، ونسبه إلى سعيد بن وهيل الرباعي .

* أنا القُلاخُ بنُ القُلاخِ ابنُ جَلّاء *

ومنه قولهم : فلان قائدُ الجملِ لأنه لا يَخْفَى لعظمُ الجملِ وكِبَرُ جثته ، وفي المثل : ما استترَ من قادِ جملًا . وقالوا : كفى برُغائِها نِداءً ، ومثلُ هذا قولهم : ما يومُ حليمةَ بَسيرٍ يقال : ذلك في الأمرِ المشهورِ الذي لا يُستَرُ ، ويومُ حليمةَ يومُ التقيِ المنذرُ الأكبرُ والحارثُ النَسائيُّ الأكبرُ ، وهو أشهرُ أيامِ العربِ ، يقال : إنه ارتفعَ من العجاجِ ما ظهرتْ معه الكواكبُ نهاراً ، وحليمة : اسمُ امرأةٍ أضيفَ اليَوْمُ إليها ، لأنها أخرجتْ إلى المعركةِ مَراكنَ الطَّيِّبِ ، فكانتْ تُطَيِّبُ بها الداخلين إلى القتالِ ، فقاتلوا حتّى تَفانُوا .

ويقولون في الكِنَايةِ عن الشيخِ الضعيفِ : قائدُ الحمارِ ، إشارةً إلى ما أنشده الأصمعي :

أتى النديُّ فلا يُقَرَّبُ بِمَجْلِسِي وَأَقْوَدُ لِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ حِمَارِي
أى أقوده من الكِبَرِ إلى مَوْضِعٍ مرتفعٍ لأرْكبه لضعفى . ومثلُ ذلك كِنَايتُهُم عن الشيخِ الضعيفِ بالعاجِزِ ، لأنه إذا قامَ عَجَزَ في الأرضِ بكففيه ، قال الشاعر :

فأصبحتُ كُنْتِيًّا وأصبحتُ عاجِزًا وَشَرُّ خِصَالِ المرءِ كُنْتُ وعاجِزُ
قالوا : الكُنْتِيُّ الذي يقولُ كنتُ أفعلُ كذا ، وكنتُ أركبُ الخيلَ ، يتذكَّرُ ماضىَ من زمانِهِ ، ولا يكونُ ذلكُ إلّا عندَ الهرَمِ أو الفقرِ والعَجْزِ .

ومثله قولهم للشيخِ : راكم ، قال ليبيد :

أخبرَ أخبارَ القرونِ التي مَضَتْ أدبُ كَأَنِّي كَمَا قُتُّ رَاكِعٌ (١)
والرَّكوعُ : هو التَّطَاطُؤُ والانحناءُ بعد الاعتدالِ والاستواءِ ، ويقالُ للإنسانِ إذا انتَقَلَ من الثَّروةِ إلى الفقرِ : قدَرَ كَع ، قال :

لَا تُهَيِّنِ الْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرَ كَعَ يَوْمًا وَالِدَهُرُ قَدْ رَفَعَهُ (٢)

وفي هذا المعنى قال الشاعر :

ارفع ضعيفك لا يحز بك ضعفه يوماً فتدركه الحوادث قد تمسكاً^(١)
يحز بك أو يئني عليك وإن من يئني عليك بما فعلت قد جرى
ومثله أيضاً :

وأكرم كريماً إن أذاك حاجة لعاقبة إن العظاءة تروح
تروح الشجر : إذا انقطع بالنبت ، يقول : إن كان فقيراً فقد يستغني ، كما أن
الشجر الذي لا ورق عليه سيكتسي ورقاً ، ويقال : ركم الرجل ، أي سقط .
وقال الشاعر :

خرق إذا ركم المطي من الوجاه لم يطلو دون رفيقه ذا المروء
حتى يؤوب به قليلاً فضيله جيد الرفيق نذاك أو لم يحمّد
وكا يشبهون الشيخ بالراكم فيكنون به عنه ، كذلك يقولون : يحجل في قيده
لتقارب خطوه ، قال أبو الطمّحان الغني :

حنّني حانسات الدهر حتى كآني خاتل أدنو لصيد
قريب الخطو يحسب من رأيي ولست مقبداً أني بميد
ونحو هذا قولهم للكبير : بدت له الأرنب ، وذلك أن من يحجل الأرنب ليصيدها
يمايل في مشيته ، وأنشد ابن الأعرابي في النوادر :

وطالت بي الأيام حتى كآني من الكبير العالي بدت لي أرنب
ونحوه يقولون للكبير : قيد بفلان البعير ، أي لا قوة لديه على أن يصرف
البعير تحته على حسب إرادته ، فيقوده قائد يحمله حيث يريد .

ومن أمثالهم : لقد كنتُ وما بقادُ بنِ البعير : يضرب لمن كاتب ذا قُوَّة وعِزٍّ ، ثم عَجَزَ وقَتَرَ .

ومن الكنايات عن شيب المَنفَقَةِ قولهم : قد عَصَ على صُوفِهِ .
ويَكْنُونُ عن المرأة التي كَبُرَ سِنُهَا فيقولون : امرأةٌ قد جَمَتِ الثَّيابُ ، أى تَلَبَّسَ القِنَاعَ والخمارَ والإزارَ ، وليست كالْفَتَاةِ التي تَلَبَّسُ ثوباً واحداً .
ويقولون لمن يَحْضِبُ : يَسْوِدُ وجهَ النَّذِيرِ ، وقالوا في قوله تعالى : ﴿ وجاءكم النَّذير ﴾ ^(١) :
إنه الشَّيْبُ . وقال الشاعر :

وقائلةٌ لى اخْضِبْ فالقَوَانِي . تَطِيرُ مِنْ مَلاحِظَةِ القَتِيرِ
قلتُ لها الشَّيْبُ نَذِيرُ مَوْتِي . وليستُ مسوِّداً وجهَ النَّذِيرِ
وزاحمُ شابٍّ شيخاً في طريقِ فقال الشابُّ : كم ثمن القوس ؟ يعبِّره بالحناءِ الظَّهْرُ ،
فقال الشيخُ : يابنَ أخى : إن طَالَ بك عُمرُ فسوفَ تَشْتَرِيها بثلاثين .
وأنشد لابن خلف :

تعبِّرُنِي وخطَّ الشَّيْبِ بعاريضٍ . ولولا الحِجُولُ البُلُقُ لم تُعرَفِ الدُّهُمُ
حناءَ الشَّيْبِ ظَهْرِي فاستمرَّتْ مَرِيرَتِي . ولولا الحناءُ القوسِ لم يَنفَعِ السَّهْمُ
ويقولون لمن رشا القاضي أو غيره : صَبَّ في قِنْدِيلِهِ زَيْتاً ، وأنشد :
وعند قُضائنا خُبْتُ وَمَكُرُ . وزَرَعُ حينَ تَسْقِيهِ يُسْبِلُ
إذا ماصَّبَ في القِنْدِيلِ زَيْتٌ . تَحَوَّلَتِ القُضْيَةُ لِلْمُقْنَدِلِ
وكان أبو صالح كاتبُ الرِّشْدِ يُنسبُ إلى أخذِ الرِّشَا ، وكان كاتبُ أمِّ جعفر .

وهو سعدان بن يحيى كذلك ، فقال لها الرشيد يوما : أما سمعتِ ما قيل في كاتبك ؟
قالت : ما هو ؟ فأشدها :

صَبَّ فِي قِنْدِيلِ سَعْدَانَ نَ مَعَ النَّسِيمِ زَيْشَانَا
وَقَضَّ أَدِيلَ بَنِيهِ قَبْلَ أَنْ تَخْفَى الْكُمَيْتَانَا
قالت : فما قيل في كاتبك أشنع ، وأشدته :

قِنْدِيلُ سَعْدَانَ عِلَا ضَوْءُهُ فَرَمَحَ لِقِنْدِيلِ أَبِي صَالِحٍ
تَرَاهُ فِي مَجْلِيهِ أَحْوَصَ مِنْ لَحْيِهِ لِلدَّرَمِ السَّلَاحِ
ويقولون : لمن طَلَّقَ ثَلَاثًا : فداخَرَهَا بِمَثَلَتِهِ .
ويقولون أيضا : أعطاهما نصف السَّنة .

ويقولون لمن يَفْخَرُ بِآبَائِهِ : هُوَ عِظَامِي ، وَلَمَنْ يَفْخَرُ بِنَفْسِهِ هُوَ عِصَامِي ، إشارة
إلى قول النابغة في عِصَامِ بْنِ سَهْلٍ حَاجِبِ النعمان :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا وَعَلَمَتِهِ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا ^(١)
* وَجَعَلَتْهُ مَلِكًا لِهَامَا *

وأشار بالعِظَامِيَّ إِلَى فَخْرِهِ بِالْأَمْوَاتِ مِنْ آبَائِهِ وَرَهْطِهِ ، وقال الشاعر :

إِذَا مَا الْحَيُّ عَاشَ بِعَظْمٍ مَيِّتٍ فَذَاكَ الْعَظْمُ حَيٌّ وَهُوَ مَيِّتٌ

ونحو هذا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ بْنَ ظَبْيَانَ التَّمِيمِيَّ دَخَلَ عَلَى أَبِيهِ وَهُوَ يَجُودُ
بِنَفْسِهِ فَقَالَ : أَلَا أَوْصَى بِكَ الْأَمِيرَ ؟ فَقَالَ : إِذَا لَمْ يَكُنْ لَاحِيًا إِلَّا وَصِيَّةَ الْمَيِّتِ فَالْحَيُّ
هُوَ الْمَيِّتُ ، وَيُقَالُ : إِنْ عَطَاءُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ لِيَزِيدَ بْنِ مَنَاوِيَةَ : أَغْنِنِي عَنْ غَيْرِكَ ، قَالَ :

حَسْبُكَ مَا أَغْنَاكَ بِهِ مَعَاوِيَةُ ؛ قَالَ : فَهُوَ إِذْنُ الْحَيِّ وَأَنْتَ الْمَيِّتُ ، وَمِثْلُ قَوْلِهِمْ :
عِظَامِي ، قَوْلُهُمْ : خَارِجِي ، أَيْ يَفْخَرُ بِغَيْرِ أَوْلِيَّةٍ كَانَتْ لَهُ ، قَالَ كَثِيرُ الْعَبْدِ الْعَزِيزِ :
أَبَا مَرْوَانَ لَسْتُ بِخَارِجِي . وَلَيْسَ قَدِيمُ تَحَدُّكَ بِاتِّصَالٍ
وَيَكُونُ عَنِ الْعَزِيزِ وَعَنِ الذَّلِيلِ أَيْضًا فَيَقُولُونَ : بَيْضَةُ الْبَلَدِ ، فَمَنْ يَقُولُهَا لِلْمَدْحِ
يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْبَيْضَةَ هِيَ الْحَوْزَةُ وَالْحَتَّى ، يَقُولُونَ : فَلَانٌ يَحْمِي بَيْضَتَهُ ، أَيْ يَحْمِي
حَوْزَتَهُ وَجَمَاعَتَهُ ، وَمَنْ يَقُولُهَا لِلذَّمِّ يَعْنِي أَنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْ بَيْضِ النِّعَامِ إِذَا فَسَدَتْ
تَرَكَهَا أَبْوَاهَا فِي الْبَلَدِ وَذَهَبًا عَنْهَا ، قَالَ الشَّاعِرُ فِي الْمَدْحِ :

لَكِنْ قَاتِلُهُ مِنْ لَا كِفَاءَ لَهُ مَنْ كَانَ يُدْعَى أَبُوهُ بَيْضَةُ الْبَلَدِ ^(١)
وَقَالَ الْآخَرُ فِي الذَّمِّ :

تَأْتِي قَضَاعَةٌ لَمْ تَعْرِفْ لَكُمْ نَسَبًا وَأَبْنَا نِزَارٍ قَاتِمٌ بَيْضَةُ الْبَلَدِ ^(٢)
وَيَقُولُونَ لِلشَّيْءِ الَّذِي يَكُونُ فِي الدَّهْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً : هُوَ بَيْضَةُ الدَّيْكَ ،
قَالَ بَشَّارُ :

يَا أَطِيبَ النَّاسِ رَيْقًا غَيْرَ مَحْتَبَرٍ إِلَّا شَهَادَةُ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ ^(٣)
قَدْ زُرْتِنَا زَوْزَةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً نَتْنَى وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدَّيْكِ
وَيَكُونُ عَنِ التَّقْوِيلِ بِالْقَدَى فِي الشَّرَابِ ، قَالَ الْأَخْطَلُ بِذِكْرِ الْخَمْرِ
وَالْأَجْتِمَاعِ عَلَيْهَا :

وَلَيْسَ قَدْأَاهَا بِالَّذِي قَدْ بَصِيرُهَا وَلَا بِذَبَابٍ نَزَعَهُ أَيْسَرُ الْأَمْرِ ^(٤)
وَلَكِنْ قَدْأَاهَا كُلَّ جِلْفٍ مَكْلَفٍ أَتَقْنَاهُ بِهَ الْأَيَّامُ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي

(١) مِنْ أَيْيَاتِ لَامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، نَرَى عَمْرُو بْنَ وَدٍّ ، اللِّسَانُ (بَيْضُ)

(٢) اللِّسَانُ (بَيْضُ) وَنَسَبَهُ إِلَى ابْنِ الرَّفَاعِ

(٣) أَمَالِي الْقَالِي ١ : ٢٢٨

(٤) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِيِّ ١٩١

فَذَاكَ الْقَدَى وَأَبْنُ الْقَدَى وَأَخُو الْقَدَى فَإِنْ لَهُ مِنْ زَائِرِ آخِرِ الدَّهْرِ

وَيَكُونُونَ أَيْضًا عَنْهُ بِقَدَحِ اللَّبْلَابِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

يَا ثَقِيلًا زَادَ فِي الثَّقِيلِ عَلَى كُلِّ ثَقِيلٍ ^(١)

أَنْتَ عِنْدِي قَدَحُ اللَّهِ لَابٍ فِي كَفِّ الْعَلِيلِ

وَيَكُونُونَ عَنْهُ أَيْضًا بِالْقَدَحِ الْأَوَّلِ ، لِأَنَّ الْقَدَحَ الْأَوَّلَ مِنَ الْخَمْرِ تَكْرَهُهُ الطَّبِيعَةُ

وَمَا بَعْدَهُ فَدُونُهُ لَاعْتِيَادِهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَثَلُ مِنْ حَصِينٍ بَادِيًا وَأَبْضُ مِنْ قَدَحِ أَوَّلِ

وَيَكُونُونَ عَنْهُ بِالْكَانُونِ ، قَالَ الْخَطِيبَةُ يَهْجُو أُمَّهُ :

تَنْحَى فَاغْمَدِي عَنِّي بَعِيدًا أَرَاكِ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ ^(٢)

أَغْرَ بَالًا إِذَا اسْتَوْدَعْتِ مِرْمًا وَكَانُوا نَارِي عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ !

قَالُوا : وَأَصْلُهُ مِنْ كُنْتُ أَى سَتَرْتُ ، فَكَأَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ

سَتَرُوهُ عَنْهُ ، وَقِيلَ : بَلِ الْمُرَادُ شِدَّةُ بَرِّهِ .

وَيَكُونُونَ عَنِ الثَّقِيلِ أَيْضًا بِرَحَا الْبَزْرِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَثَلُ مِنْ رَحَا بَزْرِ عَلَيْنَا كَأَنَّكَ مِنْ بَقَايَا قَوْمٍ عَادٍ ^(٣)

وَيَقُولُونَ لِمَنْ يَحْمَدُونَ جَوَارَهُ : جَارُهُ جَارُ أَبِي دُوَادٍ ، وَهُوَ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ الْإِيَادِي ،

كَانَ إِذَا جَاوَزَهُ رَجُلٌ فَمَاتَ وَدَّاهُ ، وَإِنْ هَلَكَ عَلَيْهِ شَاةٌ أَوْ بَعِيرٌ أَخْلَفَ عَلَيْهِ ، فَجَاوَزَهُ

أَبُو دُوَادٍ الْإِيَادِي ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، فَضْرِبَ بِهِ الْمَثَلَ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ : هُوَ جَائِسٌ قَقْمَقَاجِ بْنِ شَوْرٍ ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَدَخَلَ

عَلَيْهِ ، وَالْجُلُوسُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ لَيْسَ فِيهِ مَقْعَدٌ ، فَقَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ وَأَجْلَسَهُ مَكَانَهُ ، فَلَمْ

يَبْرَحُ الْقَعْقَاعُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ بِكَلِمٍ مُعَاوِيَةً وَمُعَاوِيَةً يُخَاطِبُهُ حَتَّى أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَأَحْضَرَتْ إِلَيْهِ ، فَجَعَلَتْ إِلَى جَانِبِهِ ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ لِلرَّجُلِ الْقَائِمُ لَهُ مِنْ مَكَانِهِ : ضُمَّهَا إِلَيْكَ ، فَهِيَ لَكَ بِقِيَامِكَ لَنَا عَنْ مَجْلِسِكَ ، فَتَقِيلُ فِيهِ :

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ وَلَا يَشْقَى بِقَعْقَاعِ جَلِيسٌ^(١)
ضَحُوكُ السَّنَنِ إِنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقُ عَبُوسٍ
أَخَذَ قَوْلَهُ : « وَلَا يَشْقَى بِقَعْقَاعِ جَلِيسٌ » مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :
« هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ » .

وَيَكُونُونَ عَنِ السَّمِينِ مِنَ الرِّجَالِ بِقَوْلِهِمْ : هُوَ جَارُ الْأَمِيرِ ، وَضَيْفُ الْأَمِيرِ ، وَأَصْلُهُ أَنَّ الْغَضْبَانَ بْنَ الْقُبَيْعَرِيِّ كَانَ مَحْبُوسًا فِي سِجْنِ الْحِجَاجِ ، فَدَعَا بِهِ يَوْمًا فَكَلَّمَهُ ، فَقَالَ لَهُ فِي جَهْلَةِ خُطَابِهِ : إِنَّكَ لَسَمِينٌ يَا غَضْبَانُ ، فَقَالَ : الْقَيْدُ وَالرَّتْعَةُ ، وَالتَّخْفِضُ وَالِدَّاعَةُ ، وَمَنْ يَكُنْ ضَيْفَ الْأَمِيرِ يَسْمَنُ .

وَيَكْنِي الْفَلَاسِفَةُ عَنِ السَّمِينِ بِأَنَّهُ يُعَرِّضُ سُرُوحَ حَبَسِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَفْلَاطُونَ رَأَى رَجُلًا سَمِينًا ، فَقَالَ : يَا هَذَا ، مَا أَكْثَرَ عِنَايَتَكَ بِتَعْرِيزِ سُرُوحِ حَبْسِكَ !
وَنَظَرَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَجُلٍ جَيِّدٍ السِّكِّدَةِ^(٢) ، فَقَالَ : أَرَى عَلَيْكَ قَطِيفَةً مُحْكَمَةً .
قَالَ : نَعَمْ ، ذَلِكَ عَنَوَانُ نِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدِي .

وَيَقُولُونَ لِلْكَذَّابِ : هُوَ قِمَوصُ الْحُجْرَةِ ، وَأَيْضًا هُوَ زَلُوقُ الْكَيْدِ ، وَأَيْضًا لَا يُوثِقُ بِسَبِيلِ بَلْقَمِيرٍ . وَأَيْضًا أُسِيرُ الْهِنْدِ لِأَنَّهُ يَدَّعِي أَنَّهُ ابْنُ الْمَلِكِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَوْلَادِ السُّنَّةِ .

وَيَكْنِي عَنْهُ أَيْضًا بِالشَّيْخِ الْغَرِيبِ ، لِأَنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَتَزَوَّجَ فِي الْغُرْبَةِ فَيَدَّعِي أَنَّهُ ابْنُ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ .

(٢) السِّكِّدَةُ : كَثْرَةُ الشَّحْمِ وَاللَّحْمِ .

(١) كِتَابَاتُ الْجُرْجَانِ ١١١

ويقولون : هو فاختة البلد ، من قول الشاعر :

أَكْذَبُ مَنْ فَاخَتَهُ نَصِيحُ فَوْقَ الْكَرْبِ^(١)
وَالْعُلْمُ لَمْ يَبْدُ لَهَا : هَذَا أَوَانُ الرُّطْبِ

وقال آخر في المعنى :

جَدِثُ أَبِي حَازِمٍ كَلَمَةً كَقَوْلِ الْقَوَاحِثِ : جَاءَ الرُّطْبِ^(٢)
وَهُنَّ وَإِنْ حَكْنَ بِشَبَهَةِ فَلَسْنَ يُدَانِيَنَّهُ فِي الْكَذِبِ

وَيَسْكُنُونَ عَنِ النَّعَامِ بِالزَّجَاجِ ، لِأَنَّهُ يَشِبُّ عَلَى مَا تَحْتَهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
أَمُّ بِمَسَا أَسْتَوْدَعْتُهُ مِنْ زُجَاجَةٍ يُرَى الشَّيْءُ فِيهَا ظَاهِرًا وَهُوَ بَاطِنٌ
وَيَسْكُنُونَ عَنْهُ بِالنَّسِيمِ ، مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

وَإِنَّكَ كَلَمًا اسْتَوْدَعْتَ سِرًّا أَمُّ مِنَ النَّسِيمِ عَلَى الرُّبَاصِ

ويقولون : إِنَّهُ لَصُبْحٌ ، وَإِنَّهُ لَطِيبٌ ، كَلَمَةً فِي النَّعَامِ . ويقولون : مَازَالَ يَفْتَلُّ لَهُ فِي
الدُّرُوزَةِ وَالْفَارِبِ حَتَّى أَسْمَحَتْ قَرُونَتُهُ ، وَهِيَ النَّفْسُ ، وَالذُّرُوزَةُ : أَهْلُ النَّعَامِ ،
وَالْفَارِبُ : مُقَدَّمُهُ .

ويقولون فِي الْكِتَابَةِ عَنِ الْجَاهِلِ : مَا يَدْرِي أَيُّ طَرَفِيهِ أَطْوَلُ ، قَالُوا :
ذَكَرَهُ وَلِسَانُهُ .

وقالوا : هَلْ نَسَبُ أَبِيهِ أَفْضَلُ أَمْ نَسَبُ أُمِّهِ ؟

وَمِثْلُهُ لَا يَمُرُّ قَطَانُهُ مِنْ لَطَانِهِ ، أَيُّ لَا يَعْرِفُ جَبَنَتَهُ مِمَّا بَيْنَ وَرِكَيِهِ .

وقالوا : الْحِدَّةُ كُنْيَةُ الْجَهْلِ ، وَالْأَقْصَادُ كُنْيَةُ الْبُخْلِ ، وَالْأَسْتَقْصَاءُ
كُنْيَةُ الظُّلْمِ .

وقالوا للجائع : عَضَّ الصَّقَر ، وَعَضَّ شُجَاعُ الْبَطْن .

وقال الهذلي :

أُرِدُّ شُجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَعَلَّمْتَهُ وَأَوْثِرَ غَرْنِي مِنْ عِيَالِكَ بِالطَّمْرِ (١)
مَخَافَةَ أَنْ أَحْيَا بِرَغْمٍ وَذِلَّةٍ وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى رَغْمٍ
ويقولون : زَوَّدَهُ زَادَ الضَّبِّ ، أَيْ لَمْ يَزُودْهُ شَيْئًا لِأَنَّ الضَّبَّ لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ ،
وإنما يَتَغَذَّى بِالرَّيْحِ وَالنَّسِيمِ ، وَيَأْكُلُ الْقَلِيلَ مِنْ عُشْبِ الْأَرْضِ .

وقال ابن المعتز :

يَقُولُ أَكَلْنَا لَحْمَ جَدْيٍ وَبَطَّةٍ وَعَشَرَ دَجَاجَاتٍ شِوَاءَ بَأْلَبَانٍ (٢)
وَقَدْ كَذَبَ الْمَلْعُونُ مَا كَانَ زَادُهُ سِوَى زَادِ ضَبٍّ يَبْلَعُ الرِّيحَ عَطْشَانٍ
وقال أبو الطيب :

لَقَدْ لَعِبَ الْبَيْنُ الْمَشِيتُ بِهَا وَبِي وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَزَوْدَ الضَّبِّ (٣)
ويقولون للمختلِفِينَ مِنَ النَّاسِ : هُمْ كَتَمُوا الصَّدَقَةَ ، وَهُمْ كَبَعُوا الْكَبْشَ ، قَالَ
عمرو بن لجأ :

وَشِعْرَ كَبَعِ الْكَبْشِ أَلْفَ بَيْتِهِ لِسَانُ دَعِيٍّ فِي الْقَرِيْبِ دَخِيلٍ (٤)
وذلك لِأَنَّ بَعَرَ الْكَبْشِ يَقَعُ مَتَفَرِّقًا .

وقال بعضُ الشُّعْرَاءِ لِشَاعِرٍ آخَرَ : أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ لِأَنِّي أَقُولُ الْبَيْتَ وَأَخَاهُ ، وَتَقُولُ
الْبَيْتَ وَابْنَ عَمَةٍ . فَأَمَّا قَوْلُ جَرِيرٍ فِي ذِي الرَّمَّةِ : إِنَّ شَعْرَهُ بِعَرِظِيَاءَ وَتَقَطَّ عَرُوسُ ، فَقَدْ
فَسَّرَهُ الْأَصْمَعِيُّ فَقَالَ : يَرِيدُ أَنْ شَعْرَهُ حُلُوٌّ أَوَّلَ مَا تَسْمَعُهُ ، فَإِذَا كُرِّرَ إِنْشَادُهُ ضَعُفَ ،
لِأَنَّ أَبْعَارَ الظُّبَاءِ أَوَّلَ مَا تَسْمَعُ تَوْجِدُ لَهَا رَائِحَةً مَا أَكَلَتْ مِنَ الْجُنْجَابِ وَالشَّيْحِ

(٢) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِ ١١٥

(٤) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِ ١١٧

(١) نَظْمُ خِرَاشِ الْهَذَلِيِّ ، دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ ٢ : ١٢٨

(٣) دِيْوَانُهُ : ٦٠

والقيصوم ، فإذا أدمت شتمها عُدِمَتْ تلك الرَّائحة ، ونقط العروس إذا غَسَّتها ذهبٌ .
 ويقولون أيضا للمختلفين : أخْياف ، وأخْيَيف : سوادُ إحدى العينين وزرق الأخرى .
 ويقولون فيهم أيضا : أولادُ عِلَّاتٍ كالإخوةِ لأمهاتٍ شتى ، والعلة : الضَّرَّة .
 ويقولون فيهم : خبزُ كُتَّاب ، لأنه يكون مختلفا ، قال شاعرٌ يهجو الحجاجَ
 ابنَ يوسف :

أبْدَسَى كَلِيبٌ زَمَانَ الْهَزَالِ وتعليمه سورة انكوتر^(١)
 رَغِيفٌ لَهُ فَلَكَةٌ مَا تَرَى وآخر كالقمر الأزهر

ومثله :

أما رأيتَ بَنِي سَلَمَ وَجُوهَهُمْ كأنها خبزُ كُتَّابٍ وَبَقَانٍ^(٢)

ويقال المتساوين في الرذالة : كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ ، قال الشاعر :

سواءُ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ فَلَا تَرَى لَدَيْ شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِءٍ فَضْلًا^(٣)

وقال آخر :

شَابُهُمْ وَشَيْبُهُمْ سَوَاءٌ فهُمْ فِي اللَّوْمِ أَسْنَانُ الْحِمَارِ^(٤)

وأُشْدُ الْمِرْدُ فِي الْكَمَلِ لَأَعْرَابِي يَصِفُ قَوْمًا مِنْ طَيْفٍ بِالتَّسَاوِي فِي الرَّذَالَةِ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بَنِي جُؤَيْنٍ جُلُوسًا لَيْسَ بَيْنَهُمْ جَلِيسٌ^(٥)

يَلِيسَتْ مِنْ أَلَدِي أَقْبَاتُ أَبْنَى لَدَيْهِمْ ، إِنِّي رَجُلٌ يَمُوسُ

إِذَا مَا قُلْتُ أَيْهِمْ لَأَيَّ تَشَابَهَتْ الْمُنَاكِبُ وَالرَّمُوسُ

قال : فقوله : « لَيْسَ بَيْنَهُمْ جَلِيسٌ » هجاء قبيح ، يقول : لا يلتصق الناس معروفهم ،

(٢) كدنايات الجرجاني ١٢١

(١) شرح العيون ١٧٠ وكدنايات الجرجاني ١١٨

(٣) الكامل ١ : ١٧٢ ، ونسبه إلى أعرابي من طي .

فليس بينهم غيرهم . ويقولون في التساويين في الرداءة أيضا : هما كحماري العبادي ، قيل له : أي حماريك شر ؟ قال : هذا ثم هذا . ويقال في التساوي في الشر والخير : هم كأسنان المشط ، ويقال : وقعا كركبتى البعير ، وكركبلى النعامة .

وقال ابن الأعرابي : كل طائر إذا كسرت إحدى رجليه تحامل على الأخرى إلا النعام فإنه متى كسرت إحدى رجليه جثم ، فلذلك قال الشاعر يذكر أخاه :
وإني وإياه كركبلى نعامة على ما بنا من ذى غنى وفقير^(١)

وقال أبو سفيان بن حرب لعاصم بن الطقيّل وعلقمة بن علاثة وقد تنافرا إليه : أنما كركبتى البعير ؛ فلم ينفر واحدا منهما ، فقالا : فأيتنا البني ؟ فقال : كل منكما يمخى . وسأل الحجاج رجلا عن أولاد المهلب : أيهم أفضل ؟ فقال : هم كالحلقة الواحدة . وسئل ابن دريد عن المبرد وتعلب ، فأثنى عليهما ، فقيل : فأين قتيبة ؟ قال : ربوة بين جبلي ، أى خجل ذكره بنباهتهما .

ويكنى عن الموت بالقطع عند المنجمين ، وعن السعاية بالنصيحة عند العمال ، وعن الجماع بالوطء عند الفقهاء ؛ وعن الشكر بطيب النفس عند الندماء ، وعن السؤال بالزوار عند الأجواد ؛ وعن الصدقة بما أفاء الله عند الصوفية .

ويقال للمتكلف بمصالح الناس : إنه وصى آدم على ولده ، وقد قال شاعر في هذا الباب :

فكان آدم عند قرب وفاته أوصاك وهو يجود بالحوباء
بينه أن ترعاهم فرعتهم وكفيت آدم عيلة الأبناء
ويقولون : فلان خليفة الخضر إذا كان كثير السقر ، قال أبو تمام :

خليفة الخضر من يربع على وطن
أو بليدة فظهور العيس أو طاني^(١)
بغداد أهلى وبالشام الهوى فأنا
بالرقتين وبالفسطاط إخوانى
وما أظن النوى ترضى بما صنعت
حتى تبلغ بن أقصى خراسان

ويقولون للشئ المختار المنتخب : هو ثمرة الغراب ، لأنه ينتقى خير الثمر .

ويقولون : سمن فلان فى أدبعه : كناية عن لا ينتفع به ، أى ما خرج منه
يرجع إليه ، وأصله أن نحيماً^(٢) من السمن انشق فى طرف من الدقيق ، فقبل ذلك ،
قال الشاعر :

ترحل فما بغداد دار إقامة
ولا عند من أضحى ببغداد طائل^(٣)
محل ملوك سمنهم فى أدبعهم
وكلمهم من حلية المجد عاطل
فلا غرو أن شئت يد المجد والعلی
وقل سماح من رجال ونائل
إذا غصض البحر العظامط ماءه
فليس عجيباً أن تفيض الجداول^(٤)

ويقولون لمن لا يبق بالعهد : فلان لا يحفظ أول المائدة ، لأن أولها : يا أيها
الذين آمنوا أوفوا بالعقود^(٥) .

ويقولون لمن كان حسن اللباس ولا طائل عنده : هو مشجب ، والمشجب : خشبة
الفصار التى يطرح الثياب عليها ، قال ابن الحاج :

لى سادة طائر السرور بهم
يطرده اليأس بالمقاييع^(٥)
مناجب للثياب كلمهم
وهذه عادة المشايخ
جائزنى عندهم إذا سمعوا
شعري : هذا كلام مطبوع

(٢) كتيبات الجرجاني ١٢٠ ، ونسبها إلى ابن العالبة .

(٤) سورة المائدة ١

(١) ديوانه ٣ : ٣٠٨ ، ٣١٠

(٣) بحر غظامط : كثير الأوج .

(٥) كتيبات الجرجاني ١٢١

ولهم يضحكون إن ضحكوا مِنِّي وأبكي أنا من الجوع
وقال آخر :

إذا لبسوا دُكْنَ الخزوز وخُضِرَها وراحوا فقدراحت عليك المشاجِبُ ^(١)
وروي أن كيسان غلام أبي عبيدة وقد على بعض البرامكة فلم يعطه شيئاً ، فلما
وافى البصرة قيل له : كيف وجدته ؟ قال : وجدته مشجباً من حيث ما أتيتُه وجدته .
ويكنون عن الطفيلي فيقولون : هو ذبابٌ ، لأنه يقع في القُدور ، قال الشاعر :

أَتَيْتُكَ زائراً لِقضاءِ حَقِّي فخال السُتْرُ دُونَكَ والحِجابُ ^(٢)
ولستُ بواقِعٍ في قَدْرِ قومٍ وإن كرهوا كما يقع الذُّبابُ
وقال آخر :

وأنتَ أخو السَّلام وكيف أنتمُ ولستَ أخا المَلقاتِ الشُّدارِ ^(٣)
وأطفالٌ حين يُحَقِّقُ مِن ذُبابٍ وألزم حين يُدْعَى مِن قُرادرٍ
ويكنون عن الجرب بحب الشباب ، قال الوزير المهلبى :

يا صُروفِ الدهرِ حَسْبِي أَى ذَنْبٍ كانَ ذَنْبِي ^(٤)
عِلةَ خَصَّتْ وَنَحَّتْ في حَيْبٍ وَحُبِّ
دَبٌّ في كَفِّهِ يا مَنْ حُبُّهُ دَبٌّ بِقَلْبِي
فهو بِشَكو جَرٍّ حَبٍّ واشتكاى حَرٍّ حُبِّ

ويكنون عن القصير القامة بأبي زبيبة ، وعن الطويل بخيط باطل . وكانت كنية
سروان بن الحكم لأنه كان طويلاً مضطرباً ، قال فيه الشاعر :

لما اللهُ قوماً أَمَرُوا خَيْطَ باطلٍ على الناسِ يُعْطَى من يَساهِ وَيَمْنَعُ ^(٥)
وفى خيط باطلٍ قولان : أحدهما أنه الهباء الذي يدخل من ضوء الشمس في الكوة

(٢) كُنَايَاتُ الجُرْجَانِي ١٢٢ ، ونسبه لابن أبي عينة .

(١) لدعل ، ديوانه ٢٢

(٣) كُنَايَاتُ الجُرْجَانِي ١٢٢

من البيت ، وتسميه العامة غَزَلَ الشَّمْس ، والثاني أنه الخيط الذي يخرج من فم
العنكبوت ، وتسميه العامة مُحَاط الشَّيْطَان .

وتقول العرب الملقو^(١) : لَطِيمُ الشَّيْطَان .

وكان لقبُ عمرو بن سعيد الأشدق ، لأنه كان ملقو^(٢)ا .

وقال بعضهم لآخر : ما حدث ؟ قال : قتل عبد الملك عمرا ، فقال : قتل أبو الذبان
لَطِيمُ الشَّيْطَان ، ﴿ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ .

ويقولون للحزين المهموم : بَعْدَ الْحَصَى ، وَيَخُطُّ فِي الْأَرْضِ ، وَيَفْتُ الْيَرَمَعُ ؛
قال المجنون :

عَشِيَّةَ مَالِي حِيلَةٌ خَسِيرَةٌ أَنِّي بِأَقْطِ الْحَصَى وَالْخَطَّ فِي الدَّارِ مُوَلِّعٌ^(٣)
أَخْطُ وَأَمْحُو كُلَّ مَا قَدْ خَطَّطْتُهُ بَدْمَعِي وَالْقِرْبَانِ حَسَوْنِي وَقَعُ
وهذا كالتأدب بقرع السن ، والبخل بتسكت الأرض بيناته ، أو يعود عند الرد ،
قال الشاعر :

عَبِيدُ إِخْوَانِهِمْ حَتَّى إِذَا رَكِبُوا يَوْمَ الْكَرْبَةِ فَالْأَسَادُ فِي الْأَجَمِ^(٤)
يُرْضُونَ فِي الْمُسْرِ وَالْإِسَارِ سَائِلَهُمْ لَا يَهْرَعُونَ عَلَى الْأَسْنَانِ مِنْ نَدَمِ
وقال آخر في تسكت الأرض بالعيدان :

قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الْغَرِيبَ بَدَارِهِمْ تَرَكَوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقِيَانِ
لَا يَنْسَكُتُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ لَتَطْلُبَ الْعَلَاتُ بِالْيَيْدَانِ
ويقولون للفارغ : فَوَادُ أُمِّ مُوسَى .

(١) الملقو : المصاب بالقوة ، وهو مرض يعرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه .

(٢) كنايةات الجرجاني ، ونسبه إلى عمر بن أمية بن أبي الصلت .

(٣) ديوانه ١٨٨

ويقول المُنثَرى من المال : مُنْقَرَسٌ ، وذلك أَنَّ عِلَّةَ النُّقْرِسِ أَكْثَرُ مَا تَعْتَرِي أَهْلَ الثَّرْوَةِ وَالتَّنَمُّ .

حَكِي الْمَبْرَدُ ، قَالَ : كَانَ الْحِرْمَازِيُّ فِي نَاحِيَةِ عَمْرُو بْنِ مَسْعُودَةَ ، وَكَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ ، فَفَرَجَ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودَةَ إِلَى الشَّامِ ؛ وَتَخَلَّفَ الْحِرْمَازِيُّ بَيْنَسَدَادَ ، فَأَصَابَهُ النُّقْرِسُ ، فَقَالَ :

أَقَامَ بِأَرْضِ الشَّامِ فَاخْتَلَّ جَانِبِي وَمَطْلَبِي بِالشَّامِ غَسِيرٌ قَرِيبٌ ^(١)

وَلَا سِيَا مِنْ مُفْلِسٍ حَلَفَ نِقْرِسٍ أَمَا نِقْرِسٌ فِي مُفْلِسٍ بَعْجَابٍ !

وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو ابْنَ زَيْدَانَ الْكَاتِبَ :

تَوَاضَعَ النُّقْرِسُ حَتَّى لَقِيَ دَارَ رَجُلٍ إِلَى رَجُلٍ زَيْدَانَ

عِلَّةُ إِنْسَانٍ وَلَكِنَّهَا قَدْ وَجَدَتْ فِي غَيْرِ إِنْسَانٍ

وَيَقُولُونَ لِلْمَتَرَفِ : رَفِيقُ النَّعْلِ ، وَأَصْلُهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

رِفَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْرَاتُهُمْ يُحْيَوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِيبِ ^(٢)

يَعْنِي أَنَّهُمْ مَلُوكٌ ، وَالْمَلِكُ لَا يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَإِنَّمَا يَخْصِفُ نَعْلَهُ مِنْ يَمَنِ . وَقَوْلُهُ : « طَيِّبٌ

حُجْرَاتُهُمْ » ، أَيُّ هُمْ أَعْيَاءُ الْفُرُوجِ ، أَيُّ يَشْدُونَ حُجْرَاتَهُمْ عَلَى عِفَّةٍ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ :

فُلَانٌ مُسَمَّطُ النَّعَالِ ، أَيُّ نَعْلُهُ طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ غَيْرُ مُخْصُوفٍ ، قَالَ : الْمُرَّازُ بْنُ سَعِيدٍ الْفَقْعَسِيُّ :

وَجَدْتُ بَنِي خَفَاجَةٍ فِي عَقِيلٍ كِرَامِ النَّاسِ مُسَمَّطَةُ النَّعَالِ ^(٣)

وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ النَّجَاشِيِّ :

وَلَا يَا أَكْلُ الْكَلْبِ السَّرُوقُ نِعَالَنَا وَلَا يَنْقِي الْمُنْعُ الدِّيَّ فِي الْجَاهِجِ ^(٤)

يريد أن نعلم سبب ، والسبب : جلود البقر المدبوغه بالقرظ ، ولا تقر بها الكلاب ، وإنما تأكل الكلاب غير المدبوغ ؛ لأنه إذا أصابه المطر دسسه فصار زهها .

ويقولون للسيد : لا يطأ على قدم ، أى هو يتقدم الناس ولا ينبع أحدا فيطأ على قدمه .

ويقولون : قد اخضرت نعلم ، أى صاروا فى خصب وسعة ، قال الشاعر :

يتأيهون إذا اخضرت نعلم وفى الخفيضة أبرام مضاجير

وإذا دعوا على إنسان بالزمانه قالوا : خلع الله نعليه ، لأن التعلد لا يحتاج إلى نعل .

ويقولون : أطفأ الله نوره ، كناية عن العمى وعن الموت أيضا ، لأن من يموت فقد طفت ناره .

ويقولون : سقاه الله دم جوفه ؛ دعاء عليه بأن يقتل ولده ، ويضطر إلى أخذ دينه ابلا فيشرب البائسها .

ويقولون : رماه الله بليلة لا أخت لها ؛ أى ليلة موته ، لأن ليلة الموت لا أخت لها .

ويقولون : وقعوا فى سلا جهل ، أى فى داهية لا يرى مثلها ، لأن الجهل لا سلا له ، وإنما السلا للناقة ، وهى الجليدة التى تكون ملفوفة على ولدها .

ويقولون : صاروا فى حولا ناقة ، إذا صاروا فى خصب .

وكانوا إذا وصفوا الأرض بالخصب قالوا : كأنها حولا ناقة .

ويقولون لأبناء الملوك والرؤساء ومن يجرى تجارهم : جُفَاءَ الْحَرِّ ،
قال الشاعر :

جُفَاءَ لِلْحَرِّ لَا يُصِيبُونَ مِفْصَلًا وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخْدَمَا
يقول : هم ملوك ، وأشباه الملوك لا حِذْقَ لهم بنحر الإبل والغنم ولا يعرفون
التجديد والسَّخ ، ولهم من يتولى ذلك عنهم ، وإذا لم يحضرهم من يجزّر الجزور
تكلّفوا هم ذلك بأنفسهم ، فلم يُحْسِنُوا حَزَّ الْمِفْصَلِ كما يفعله الجزّار ، وقوله :

• وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخْدَمَا •

أى ليس بهم شرّ فإذا أكلوا اللحم تخذلوا قليلا قليلا ، واتخذهم : القطع ،
وأشد الجاحظ في مثله :

وَصُلَحَ الرِّءُوسِ عِظَامُ الْبَطُونِ جُفَاءَ الْحَرِّ غِلَظُ الْقِصَرِ

لأن ذلك كله أمارات للملك ، وقريب من ذلك قوله :

ليس براعى إبل ولا غنم ولا يجزّار على ظهر وضم^(١)

ويقولون : فلان أملس ، يكون عن لا خير فيه ولا شرّ ، أى لا يثبت فيه
حد ولا ذم .

ويقولون : ملحه على ركبته ، أى هو سقي الخلق ، يُنْضِجُهُ أَذْنَى شَيْءٍ ، قال :

لَا تَلْهَى إِيَّاهَا مِنْ عُصْبَةٍ مِلْحُهَا مَوْضُوعَةٌ فَوْقَ الرُّكْبِ^(٢)

ويقولون كناية عن تجوسى : هو من يخط على النمل ، والنمل جمع نملة ،
وهى قرحة بالإنسان ، كانت العرب تزعم أن الجوسى إذا كان من أخيه وخط عليها
برأت ، قال الشاعر :

وَلَا عَيْبَ فِينَا غَيْرَ عِرْقٍ يَمْتَرِي كِرَامَ وَأَنَا لَا نَخْطُ عَلَى النَّمْلِ^(٣)

(٢) المهرجان ١٢٧ ، ونسبه إلى مكين :

(١) الكامل ٢١٨ (طبع أوروبا) .

(٣) السان (نمل) .

ويقولون للصبي : قد قُطِفَتْ ثمرته ، أى خُتِن . وقال عمار بن عقيل بن بلال ابن جرير :

ما زال عصياننا لله يردُّنا
حتى دُفِعْنَا إلى يحيى ودينار^(١)
إلى عليّ بنين لم تُقطِفْ ثمارها
قد طامأنا سجداً للشمس والنار
ويقولون : قِدر حليلة ، أى لا غليان فيها .

ويقولون لمن يصلي صلاةً مختصرة : هو راجز الصلاة .
وقال أعرابيٌّ لرجل رآه يصلي صلاةً خفيفة : صلاتك هذه رَجَز .
ويقولون : فلانٌ عَفِيفُ الشَّفَّةِ ، أى قليلُ السؤال ، وفلانٌ خَفِيفُ الشَّفَّةِ ،
كثيرُ السؤال .

وتسكني العرب عن التيقظ بالقطامي ، وهو الصقر .
ويكنون عن الشدة والمشقة بعرق القربة ، يقولون : لقيتُ من فلانٍ عرقَ
القربة ، أى العرق الذي يحدث بك من حملها وثقلها ؛ وذلك لأنَّ أشدَّ العمل كان
عندهم السقي وما ناسبه من معالجة الإبل .

وتسكني العرب عن الخسرات وهوام الأرض بجنود سعد ؛ يعنون سعد الأخبية ،
وذلك لأنه إذا طلع انتشرت في ظاهِر الأرض ، وخرج منها ما كان مستتراً في باطنها ،
قال الشاعر :

قد جاء سعدٌ مُنذراً بحرِّه
موسعِدةً جنوده بشره^(١)
ويكني قومٌ عن السائلين على الأبواب بحفاظ سورة يوسف عليه السلام ، لأنهم
يعتنون بحفظها دون غيرها ، وقال عمار بن جُو محمد بن وهيب :

تَشَبَّهتْ بالأعراب أهلُ التمجُّرِ
فدَلَّ على ما قلتَ قُبْحُ التكلُّفِ^(١)

لسان عراقي إذا ماصرفته — إلى لسان الأعراب لم يتصرف
ولم تنس ما قد كان بالأمس حاكه أبوك وغسود الجف لم يتقص
لن كنت للأشمار والنحو حافظاً لقد كان من حفاظ سورة يوسف
ويكنون عن اللقيط بتريه القاضي ، وعن الرقيب بشان الحبيب ، لأنه يرى معه
أبدا ، قال ابن الرومي :

موقف الرقيب لا أنساه — لست أختاراه ولا آباه
مرحباً بالرقيب من غير وعد — جاء يخلو على من أهواه
لا أحب الرقيب إلا لأنى — لا أرى من أحب حتى أراه

ويكنون عن الوجه المليح بحجة المذنب ، إشارة إلى قول الشاعر :
قد وجدنا غفلة من رقيب — فسرقتنا نظرة من حبيب
ورأينا ثم وجها مليحاً — فوجدنا حجة للذنوب
ويكنون عن الجاهل ذي النعمة بحجة الزنادقة ، قال ابن الرومي :
مهلاً أبا الصقر فكم طائر — خراً صريعاً بعد تخليق
لا قدست لمعى تبرلتها — كم حجة فيها لزيد يقر !
وقال ابن بسام في أبي الصقر أيضاً :

يا حجة الله في الأرزاق والقسم — وعبرة لأولى الأسباب والفهم
تراك أصبحت في كماء سابعة — إلا وربك غضبان على النعم

فهذا ضد ذلك المقصد ، لأن ذلك جعله حجة على الزنادقة ، وهذا جعله حجة على
قدرة الباري سبحانه على عجائب الأمور وغرائبها ، وأن النعم لا قدر لها عنده سبحانه ،
حيث جعلها عند أبي الصقر مع دنائة منزلته . وقال ابن الرومي :

وَقَيْنَسَ أبردُ من ثَلْجَةٍ تَبَيَّتْ مِنْهَا النَّفْسُ فِي ضَجَّةٍ
فِي ضَنْكَةٍ كَأَنَّهَا مِنْ نَنْهِيهَا تَحْمَةُ لَكْنِهَا فِي اللَّوْنِ أَثْرُجَةٍ
تَفَاوَتْ خِلْقَتُهَا فَاعْتَدَتْ لِكُلِّ مَنْ عَطَّلَ مُحْتَجَّةٍ

وقد يشابه ذلك قول أبي علي البصير في ابن سعدان :

يَا بَنَ سَعْدَانَ أَجْلَحَ الرُّزْقُ فِي أَمِّ رِيكَ وَاسْتَحْسَنَ الْقَبِيحِ بِمَرَّةٍ
نَلَتْ مَا لَمْ تَكُنْ تَكْمَى إِذَا مَا أَسْرَفَتْ فِي غَايَةِ الْأُمَانِيِّ عِشْرَةً
لَيْسَ فِيمَا أَظُنُّ إِلَّا لَكَيْلًا يُفَكِّرُ الْمُنْكَرُونَ لِلَّهِ قَدْرَةً
وَالْمَفْجَعُ فِي قَرِيبٍ مِنْهُ :

إِن كَفْتُ خُتْمَ الْمَوَدَّةِ غَادِرًا أَوْ حُلْتُ عَنْ سَنَنِ الْحُبِّ الْوَاقِعِ
فُصِّحَتْ فِي قُبَيْعِ ابْنِ طَلْحَةَ إِنَّهُ مَادَلَتْ قَطْعًا عَلَى كَالِ الْخَالِقِ
ويقولون : عَرَضَ فُلَانٌ عَلَى الْحَاجَةِ عَرَضًا سَائِرِيًّا ، أَيْ خَفِيفًا مِنْ غَيْرِ اسْتِقْصَاءٍ ،
تَشْبِيهًا لَهُ بِالثُّوبِ السَّائِرِيِّ ، وَالدُّرْعِ السَّائِرِيَّةِ ، وَهِيَ الْخَفِيفَةُ .

وَيُحْكَى أَنْ مَرَّتْ مَرَّةً عَلَى قَوْمٍ يَأْكُلُونَ وَهُوَ رَاكِبٌ حِمَارًا ، قَالُوا : انْزِلْ
إِلَيْنَا ، قَال : هَذَا عَرَضٌ سَائِرِيٌّ ، قَالُوا : انْزِلْ يَا بَنَ الْفَاعِلَةِ . وَهَذَا ظَرْفٌ وَلِبَاقَةٌ .
ويقولون فِي ذَلِكَ : وَعَدٌ سَائِرِيٌّ ، أَيْ لَا يُقَرَّنُ بِهِ وَفَاءٌ ، وَأَصْلُ السَّائِرِيِّ ،
اللطيف الرقيق .

وقال المبرد : سَأَلْتُ الْجَاهِظَ : مَنْ أَشْعَرُ الْمَوْلَدِينَ ؟ قَالَ : الْقَائِلُ :

كَأَنَّ رِيَابَهُ أَطْلَمَ مَنْ مِنْ أَزْدَارِهِ قَمَرًا
يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا
بَعَيْنٍ خَالَطَ النَّفْسَ يَرُ فِي أَجْفَانِهَا الْخَوْرَا

ووجه سائري لو تصوب ماؤه قطرا

يعنى العباس بن الأحنف^(١).

وتقول العرب فى معنى قول المحدثين : عرض عليه كذا عرضا سائريا ، عرض عليه عرض عالة ، أى عرض الماء على النعم العالة التى قد شربت شربا بعد شرب ، وهو العال ؛ لأنها تعرض على الماء عرضا خفيفا لا تبلغ فيه .

ومن الكتابات الحسنة قول أعرابية قالت لقيس بن سعد بن عباد : أشكو إليك قلة الجرذان فى بيتي ؛ فاستحسن منها ذلك ، وقال لأنك كثرتها ؛ املئوها لبيتها خبزا وتمرا وسمنا وأقطا ودقيقا .

وشبه بذلك ما روى أن بعض الرؤساء سائره صاحب له على يرذون مهزول ، فقال له : ما أشد هزال دابتك ! فقال : يدها مع أيدينا ، ففطن لذلك ووصله .

وقريب منه ما حكى أن المنصور قال لإنسان : ما مالك ؟ قال ما أصون به وجهي ، ولا أعود به على صديقي ؛ فقال : لقد تلطفت فى المسألة ، وأمر له بصلة .

وجاء أعرابي إلى أبى العباس ثعلب وعنده أصحابه ، فقال له : ما أراد القائل بقوله :

الحمد لله الوهوب الننان صار الثريد فى رءوس القضبان

فأقبل ثعلب على أهل المجلس فقال : أجيئوه ، فام بكن عندهم جواب ، وقال له نطقوا به : الجواب منك ياسيدى أحسن ، فقال : على أنكم لا تعلمونه ! قالوا : لا نعلمه ، فقال الأعرابي : قد سمعت ما قال القوم ، فقال : ولا أنت أعزك الله تعلمه ، فقال ثعلب : أراد أن السنبلى قد أفرك ، قال : صدقت فأين حق القائدة ؟ فأشار إليهم ثعلب ،

فَبَرُّوْهُ ، فَقَامَ قَائِلًا : بوركْتَ من ثعلب ، ما أعظمَ بَرَكَتِكَ !

وَيَكُونُونَ عَنِ الشَّيْبِ بِغُبَارِ الْعَسْكَرِ ، وَبِرُّغَوْةِ الشَّيْبِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
قَالَتْ أَرَى شَيْبًا بِرَأْسِكَ ، قُلْتُ لَا هَذَا غُبَارُ الْعَسْكَرِ
وَقَالَ آخِرُ - وَسَمَاءُ غُبَارَ وَقَائِعِ الدَّهْرِ :

عَضِبْتُ ظُلُومَ وَأُزِمْتُ هَجْرِي وَصَبْتُ ضَائِرُهَا إِلَى النَّدْرِ
قَالَتْ أَرَى شَيْبًا فَقُلْتُ لَهَا هَذَا غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ
وَيَقُولُونَ لِلشَّجَابِ : فَحُلِ الْأَرْضِ .

وَقَالُوا : الْقَلَمُ أَحَدُ الْأَلْسَانِينَ وَرِدَاءَةُ الْخَطِّ أَحَدُ الزَّمَانِينَ .

قَالَ : وَقَالَ الْجَاهِظُ : رَأَيْتُ رَجُلًا أَعْمَى يَقُولُ فِي الشُّوَارِعِ وَهُوَ يَأَلُ : اِرْحَمُوا ذَا
الزَّمَانَتَيْنِ ، قُلْتُ : وَمَا هُمَا ؟ قَالَ : أَنَا أَعْمَى وَصَوْتِي قَبِيحٌ . وَقَدْ أَشَارَ شَاعِرٌ إِلَى
هَذَا فَقَالَ :

اِثْنَانِ إِذَا عُدَا حَقِيقٌ بِهِمَا الْمَوْتُ
فَقِيرٌ مَالَهُ زُهْدٌ وَأَعْمَى مَالَهُ صَوْتُ

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « إِيَّاكُمْ وَحَضَرَاءَ الدُّمَنِ » ، فَلَمَّا سُئِلَ عَنْهَا
قَالَ : « الْبَرَاءَةُ الْحُسْنَاءُ فِي الْمَذْبِيتِ السَّوِّءِ » .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صَلَاحِ قَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ : « إِنْ يَبْنُوا وَيَبْنِيهِمْ عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ » ،
أَيُّ لَا نَكْشَفَ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْ ضِيْفَنٍ وَحِقْدٍ وَدَمٍ .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « الْأَنْصَارُ كَرِّشِي وَعَيْبَتِي » ، أَيُّ مَوْضِعٍ سِرِّي .
وَكَرِّشِي : جَمَاعَتِي .

ويقال : جاء فلانٌ رَيدٌ ^(١) العنان ، أى مُنْهَزمًا .

وجاء يَنْفُضُ مِذْرَوِيه ^(٢) ، أى يتوَعَّد من غيرِ حَقِيقَةٍ .

وجاء يَنْظُرُ عن شِمَالِه ، أى مُنْهَزمًا .

وتقول : فلانٌ عِنْدِي بِالشَّمالِ ، أى مَنزِلَتُهُ خَسِيسَةٌ . وفلانٌ عِنْدِي بِالْيَمِينِ ، أى

بِالْمَنزِلَةِ الْعُلْيَا ، قال أبو نُؤَاسٍ :

أَقُولُ لِنَاقِي إِذْ بَلَغَتْنِي لَقَدْ أَصْبَحْتَ عِنْدِي بِالْيَمِينِ ^(٣)

فَلَمْ أَجْعَلْكَ لِلْغَرْبَانِ سَهْبًا وَلَمْ أَقُلْ شَرْقِي بَدَمِ الْوَتِينِ

حَرُمْتُ عَلَى الْأَزْمَةِ وَالْوَلَايَا وَأَعْلَاقِ الرِّحَالَةِ وَالْوَضِينِ

وقال ابن مَيَّادَةَ :

أَيُّنِي أَفَى يُمْنِي بِدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرَجَ أُمَّ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ !

وتقول العرب : التَّقَى الثَّرَبَانِ فِي الْأَمْرَيْنِ بِاتِّفَاقٍ وَيَنْفَقَانِ ، أَوِ الرَّجُلَيْنِ ؛ قَالَ

أَبُو عُبَيْدَةَ : وَالتَّرَى التَّرَابَ النَّدَى فِي بَطْنِ الْوَادِي ، فَإِذَا جَاءَ الْمَطَرُ وَشَخَّ

فِي بَطْنِ الْوَادِي حَتَّى يَلْتَقِيَ نَدَاهُ وَالتَّسْدَى الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِي يَقَالُ :

التَّقَى الثَّرَبَانِ .

ويقولون : هم فِي خَيْرٍ لَا يُطَيِّرُ غُرَابُهُ ، يَرِيدُونَ أَنَّهُمْ فِي خَيْرٍ كَثِيرٍ وَخِصْبٍ عَظِيمٍ

فَيَقَعُ الْغُرَابُ فَلَا يُنْفِرُ لِكثَرَةِ الْخِصْبِ .

وكذلك أَمْرٌ لَا يُنَادِي وَلِيدُهُ ، أَيْ أَمْرٌ عَظِيمٌ يُنَادِي فِيهِ الْكِبَارُ دُونَ الصَّغَارِ .

وقيل : الْمُرَادُ أَنَّ الْمَرْأَةَ تَشْتَغِلُ عَنْ وَلِيدِهَا فَلَا تَنَادِيهِ لِعَظَمِ الْخُطْبِ ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُ

الشَّاعِرِ يَصِفُ حَرْبًا عَظِيمَةً :

(١) فِي اللَّسَانِ : « رَيْدُ الْعِنَانِ ، أَيْ مُفْرَدًا مُنْهَزمًا » .

(٢) الْمِذْرَوَانِ : الْحَاكِمَانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَقَدْ يَطْلُقَانِ عَلَى الْمُسَكِّينِ .

(٣) دِيْوَانُهُ ٦٥

إذا خرسَ الفحلُ وسَطَ الحُجُورِ وصاحَ السِّكَّابُ وعقَّ الولدُ
يريد أن الفحل إذا عاين الجيشَ والبارقةَ لم يلتفتَ لفت الحُجُور ولم يصهل ، وتذبح
الكلابُ أربابها ، لأنها لا تعرفهم للبسهم الحديد ، وتذهل المرأة عن ولدها رعباً ، فجعل
ذلك عُقُوقاً .

ويقولون : أصبحَ فلانٌ على قرنٍ أعفر ؛ وهو الظبي إذا أرادوا أصبح على
خَطَر ، وذلك لأن قرن الظبي ليس يصلح مكاناً ، فمن كان عليه فهو على خَطَر ،
قال امرؤ القيس :

ولا مِثْلَ يومٍ بالعظالي قطعته * كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَغْفَرَا ^(١)
وقال أبو العلاء المعري :

* كَأَنِّي فَوْقَ رَوْقِ الظَّبْيِ مِنْ حَذَرٍ ^(٢) *

وأشدَّ ابنُ دريد في هذا المعنى :

وما خَيْرُ عَيْشٍ لَا يَزَالُ كَأَنَّهُ * مَحَلَّةٌ يَغْسُوبُ بِرَأْسِ سِنَانٍ
يعني من القلق وأنه غير مطمئن .

ويقولون : به داء الظبي ، أي لا داء به ، لأن الظبي صحيح لا يزال ، والمرض قل
أن يعتريه . ويقولون للمتلون المختلف الأحوال : ظلَّ الذئب ، لأنه لا يزال مرةً هكذا
ومرةً هكذا .

ويقولون : به داء الذئب ، أي الجوع .

(١) ديوانه ٢٠ وروايته :

وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قَدْرَانِ ظَلَّتُهُ * كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَغْفَرَا

(٢) سقط الزند ١٣١ ، وصدره : * في بلدة مثل ظهر الظبي بت لها *

وعهدُ فلانٍ عهدُ الغراب ، يَعْنُونَ أَنَّهُ غَادِرٌ ، قَالُوا : لَأَن كُلَّ طَائِرٍ يَأْلَفُ أَتْشَاءَ إِلَّا الْغُرَابَ ، فَإِنَّهُ إِذَا بَاضَتْ الْأُنْثَى تَرَكَهَا وَصَارَ إِلَى غَيْرِهَا .

ويقولون : ذهب سَمْعُ الْأَرْضِ وَبَصَرُهَا ، أَي حَيْثُ لَا يَدْرِي أَيْنَ هُوَ !
وتقول : أَتَيْ عَصَاهُ ؛ إِذَا أَقَامَ وَاسْتَقَرَّ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنُنَا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ ^(١)
وَوَقَعَ الْقَضِيبُ مِنْ يَدِ الْحِجَاجِ وَهُوَ يَخْطُبُ ، فَتَطِيرُ بِذَلِكَ حَتَّى بَانَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ مَسْبُوقٌ وَهُمْ الْأُمَيْرُ إِلَيْهِ ، وَلَسَكُنْهُ قَوْلُ الْقَاتِلِ ، وَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَ ، فَسُرِّيَ عَنْهُ .

ويقال للمُخْتَلِفِينَ : طَارَتْ عَصَاهُمْ شَقَقَا .
ويقال : فلانٌ مُنْقَطِعُ الْقَبَالِ ^(٢) ، أَي لَا رَأْيَ لَهُ .

وفلانٌ عَرِيضُ الْبَطَانِ ، أَي كَثِيرُ الثَّرْوَةِ .

وفلانٌ رَخِيٌّ اللَّبِّ ، أَي فِي سَعَةٍ .

وفلانٌ وَاقِعُ الطَّائِرِ ، أَي سَاكِنٌ .

وفلانٌ شَدِيدُ الْكَاهِلِ ، أَي مَنِيْعُ الْجَانِبِ .

وفلانٌ يَنْظُرُ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ ، أَي هُوَ نَادِمٌ آيِسٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْعَدَاةِ كَنَازِرٍ مَعَ الصَّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ ^(٣)
وَسَقَطَ فِي يَدِهِ ، أَي أُيْقِنَ بِالْهَلَكَةِ .

وَقَدْ رَدَدْتُ يَدَهُ إِلَى فِيهِ ، أَي مَنَعْتُهُ مِنَ الْكَلَامِ .

وَبَنُو فُلَانٍ يَدُّ عَلَى بَنِي فُلَانٍ ، أَي مُجْتَمِعُونَ .

(١) اللسان (عصا) .

(٢) القبال : زمام النعل .

(٣) العجوان ، ديوانه ٧٩ .

وأعطاء كذا عن ظهر يد ، أى ابتداء لا عن مكافأة .

ويقولون : جاء فلان ناشراً أذنيه ، أى جاء طامعاً .

ويقال : هذه فرسٌ غيرٌ محلفة ، أى لا تحوج صاحبها إلى أن يحلف أنها
كريمة ، قال :

كَيْتٌ غَيْرُ مُحَلِّفَةٍ وَلَكِنْ كَلَوْنُ الصَّرْفِ عَلَّ بِهِ الْأَدِيمُ

وتقول : حاكب فلان الدهر أشطره ، أى مرّت عليه ضروبه خيره وشره .

وقرّع فلان لأمرٍ ظنبوبه ، أى جدّ فيه واجتهد .

وتقول : أبدى السرّ نواجذه ، أى ظهر .

وقد كشفت الحرب عن ساقها ، وكشّرت عن نابها .

وتقول : استنوّق الجمل ؛ يقال ذلك للرجل يكون في حديث ينتقل إلى غيره
يخلطه به .

وتقول لمن يهون بعد عزٍّ : استأنن العير .

وتقول للضعيف يقوى : استنسر البغات .

ويقولون : شرابٌ بأنقع ، أى معاود للأمر ؛ وقال الحجاج : يا أهل العراق ،

إنكم شرابون بأنقع ، أى معتادون الخير والشر . والأثقع : جمع نقع ، وهو ما استنقع

من الغدران ، وأصله في الطائر الحذر يرد المناقع في القلوات حيث لا يباغته قانص ،

ولا ينصب له شرك .

[حديث عن امرئ القيس]

ونعتم هذا الفصل في الكتابات بحكاية رواها أبو الفرج علي بن الحسين
 لأصبهاني ؛ قال أبو الفرج : أخبرني ^(١) محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني
 ابن عمي ، قال : حدثنا أحمد بن عبد الله ، عن الهيثم بن عدي . قال : وحدثني
 عمي ، قال : حدثنا محمد بن سعد الكرائي ؛ قال : حدثنا العُمري ، عن الهيثم بن عدي ،
 عن مجاهد بن سعيد ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : قدم علينا عمر بن هيرة
 الكوفة أميراً على العراق ، فأرسل إلى عشرة من وجوه أهل الكوفة أنا أحدهم ،
 فسرنا عنده ، فقال : ليحدثني كل رجل منكم أحديثاً وأبدأ أنت يا أبا عمرو ، فقلت :
 أصلح الله الأمير ! أحدث حق أم حديث باطل ؟ قال : بل حديث حق ؛ فقلت : إن
 امرأ القيس كان آلي أليّة ^(٢) ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعين ،
 فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر ، فبينا هو يسير في جوف
 الليل إذا هو برجل يحمل ابنة صغيرة له كأنها البدر لشمه ، فأعجبته ، فقال لها : يا جارية ،
 ما ثمانية ، وأربعة ، واثنان ؟ فقالت : أما ثمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة : فأخلاف
 الناقة ، وأما اثنان فتدب المرأة ؛ فخطبها إلى أبيها ، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله
 ليلة ينأها عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ،
 وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ، ففعل ذلك ، ثم بعث عبداً إلى المرأة ،
 وأهدى إليها معه نحيلاً ^(٣) من سمّن ونحيا من غسل وحلّة من عصب ، فنزل العبد على بعض
 النياه ، ونشر الحلّة فلبسها . فتعلقت بسمرة فانشقت ، وفتح النحيين فأطعم أهل الماء
 منهما ففقدوا ، ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف ^(٤) فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ، ودفع

(٢) الأغاني : « بأليّة » .

(١) الأغاني ٩ : ١٠١ - ١٠٣ .

(٤) خلوف : غريب .

(٣) النحي : النوق .

إليها هديتها ، فقالت : أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ، ويبعد قريباً ، وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين ، وأن أخي ذهب يرعى الشمس ، وأن سماءكم انشقت ، وأن وعاءكم نضبا .

فقدم الغلام على مولاه ، فأخبره فقال : أما قولها : إن أبي ذهب يقرب بعيداً ، ويبعد قريباً ، فإن أباهما ذهب يحالف قوماً على قومه ، وأما قولها : إن أمي ذهبت تشق النفس نفسين ، فإن أمها ذهبت تقبل (١) امرأة نفسها . وأما قولها : إن أخي ذهب يرعى الشمس ، فإن أخاهما في سرج له يرعاه ، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به ؛ وأما قولها : إن سماءكم انشقت ، فإن البرد الذي بعثت به انشق ؛ وأما قولها إن وعاءكم نضبا فإن النحيين الذين بعثت بهما نقصاً ، فاصدقني . فقال : يا مولاي ، إني نزلت بماء من مياه العرب ، فسألوني عن نسي فأخبرتهم أنني ابن عمك ، ونشرت الحلة وابستها وتجملت بها ، فتعاقمت بسمرة فانشقت ، وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء ، فقال : أولئك ! ثم ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ومعه العبد يسقى الإبل ، فمَجَز ، فأعانه امرؤ القيس ، فرمى به العبد في البئر ، وخرج حتى أتى إلى أهل الجارية بالإبل ، فأخبرهم أنه زوجها ، فقيل لها : قد جاء زوجك ، فقالت : والله ما أدرى أزوجي هو أم لا ! ولكن انحرؤا له جزؤرا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ، فأكل ما أطعموه ، فقالت : اسقوه لبناً حارراً - وهو الحامض - فسقوه فشرب ، فقالت : افرشوا له عند القرث (٢) والدم ، فقرشوا له ، فنام فلما أصبحت أرسلت إليه : إني أريد أن أسألك ، فقال لها : سأل عما بدا لك ، فقالت : مم يحتاج شفئك ؟ قال : من تقبيل إياك ، فقالت : مم يحتاج كشحك ، قال : لا التزامي إياك ، قالت : مم يحتاج فخذاك ؟

(١) يقال : قبلت القابلة المرأة ؟ إذا نكحت ولدها عند ولادته .

(٢) القرث : السرجين ما دام في الكرش .

قال : لتوركي إيتاك ، فقالت : عليكم العبد فشدوا أيديكم به ، ففعلوا .
 قال : ومرة قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر ، فرجع إلى حيته وساق مائة من الإبل ،
 وأقبل إلى امرأته فقيل لها : قد جاء زوجك ، فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا !
 ولكن انحروا له جزوا ، وأطعموه من كرشها وذنبها ؛ ففعلوا ، فلما أتوه بذلك قال : وأين
 السكبد والسنام والمذحاء ^(١) ، وأبى أن يأكل ، فقالت اسقوه لبنا حارراً ، فأتى به ، فأبى
 أن يشربه ، وقال : فأين الصريب ^(٢) والرتيثة ؟ فقالت : افرشوا له عند القرث والدم ،
 ففرشوا له ، فأبى أن ينام ، وقال : افرشوا لي عند التلعة الحمراء ، واضربوا لي عليها
 خبأ ، ثم أرسلت إليه : هلم شريطيني عليك في المسائل الثلاث ، فأرسل إليها أن سلى عما
 شئت ، فقالت : مم تختلج شفتاك ؟ فقال : لشربي المشعشات ، قالت : فمم يحتاج
 كشحك ؟ قال : للبسي الحبرات . قالت : فمم يحتاج نخذاك ؟ قال : لركضي المظهعات ^(٣) ،
 فقالت : هذا زوجي لعمرى ، فعليكم به . فأهديت إليه الجارية .
 فقال ابن هبيرة : حسبكم ، فلا خير في الحديث سائر الليلة بعد حديث أبي عمرو ،
 ولن يأتي أحد منكم بانحجب . منه فانصرفنا وأمر لي بجائزة .

(١) المذحاء : لحم في العصب من الكاهل إلى العجز من البعير . (٢) والصريب : هو الماين يحلب
 من عدة أفاج ؛ وفي الأعرابي : « الصريف » . وهو الماين الحار ساعة يصرف من الضرع ، والرتيثة :
 الماين الذي يصب منه اللبن حامض ، فيروب من ساعته .
 (٣) المظهعات : الحبل الناعم الحسن .

الأصل :

وقال عليه السلام في كلام له :
وَوَلِيَهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ ، حَتَّى ضَرَبَ الدُّيْنُ بِحِرَانِهِ .

الشرح :

الحِيران : مقدم العنق ، وهذا الِوالى هو عمرُ بنُ الخطاب .
وهذا الكلامُ من خطبة خطبها في أيام خلافة طويِّلة ؛ يذكر فيها قُرْبَهُ من النبي
صلى الله عليه وآله واختصاصه له ، وإفضاءه بأسراره إليه ، حتى قال فيها :
فاختار المسلمون بعده بأرائهم رجلاً منهم ، فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف
وحد كانا فيه ، وليهم بعده والٍ ، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بحِرانه ، على عسف
وعجرفة كانا فيه ، ثم اختلفوا ثالثاً لم يكن يملك من أمر نفسه شيئاً ، غلب عليه أهله
فقادوه إلى أهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم ، فلم يزل الأمرُ بينه وبين الناس يبعد
تارة ويقرب أخرى حتى نزوا عليه فقتلوه ، ثم جاءوا بي مذنب الدنيا يريدون بيعتي .
وتمام الخطبة معروف ، فايطلب من السكائب الموضوعات لهذا الفن .

الأضل :

وقال عليه السلام :

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ ، يَعْضُّ الْمَوَسِرُ فِيهِ عَلَى مَافِي يَدَيْهِ ، وَلَمْ يُوْتَمَرْ بِذَلِكَ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَلَا تَدْسُوا الْقُضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ ؛ يَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ ، وَيُسْتَذَلُّ الْأَخْيَارُ ، وَيُبَايِعُ الْمُضْطَرُّونَ ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ .

مركز تحقيق و نشر علوم اسلامی

الْبَنْج :

زَمَانٌ عَضُوضٌ ؛ أَيْ كَلِبٌ عَلَى النَّاسِ ، كَأَنَّهُ يَعْضُّهُمْ ، وَفَعُولٌ لِلْعَبَاثَةِ ، كَالشُّقْرِ وَالْعَقُوقِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ : بَنَزَ عَضُوضٌ ، أَيْ بَعِيدَةُ الْقَعْرِ ضَيْقَةٌ ، وَمَا كَانَتْ الْبَنَزُ عَضُوضًا ، فَعَضَّتْ ، كَقَوْلِهِمْ : مَا كَانَتْ جَرُورًا فَأَجْرَتْ ، وَهِيَ كَالْعَضُوضِ . وَعَضَّ فُلَانٌ عَلَى مَا فِي يَدِهِ ، أَيْ بَخِلَ وَأَمْسَكَ .

وَيَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ ، يَنْهَضُونَ إِلَى الْوَلَايَاتِ وَالرِّيَاسَاتِ ، وَتَرْتَفِعُ أَقْدَارُهُمْ فِي الدُّنْيَا . وَيُسْتَذَلُّ فِيهِ أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْدِّينِ ، وَيَكُونُ فِيهِ بَيْعٌ عَلَى وَجْهِ الْاضْطِرَارِ وَالْإِجَاءِ ؛ كَمَنْ يَبِيعُ^(١) ضَيْقَهُ ؛ وَهُوَ ذَلِيلٌ ضَعِيفٌ ، مِنْ رَبٍّ ضَيْعَةٍ مُجَاوِرَةٍ لَهَا ذِي ثَرَوَةٍ وَعِزٍّ وَجَاهٍ فَيُلْجِئُهُ يَمْنَعُهُ لَمَّا ، وَاسْتِذْلَالَهُ الْأَكْرَةَ وَالْوَكِيلَ إِلَى أَنْ يَبِيعَهَا عَلَيْهِ ؛ وَذَلِكَ مِنْهُنَّ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ حَرَامٌ تَحْضٌ .

الأصل :

وقال عليه السلام :

يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ ، وَبَاهِتٌ مُفْتَرٍ .

قال الرضا رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَلَكَ فِي اثْنَانِ :
مُحِبٌّ غَالٍ ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ .

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

الشرح :

قد تقدم شرحُ مِثْلِ هذا الكلام : وخلاصةُ هذا القول : أَنَّ الهالكَ فِيهِ الْمُفْرِطُ والمُفْرِطُ ، أَمَّا الْمُفْرِطُ فَالغُلَاةُ ، وَمَنْ قَالَ بِكُفْرِ أَعْيَانِ الصَّحَابَةِ وَنِفَاقِهِمْ أَوْ فِتْنَتِهِمْ ، وَأَمَّا الْمُفْرِطُ فَمَنْ اسْتَنْقَصَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ أَبْغَضَهُ أَوْ حَارَبَهُ أَوْ أْضَمَرَ لَهُ غِلًّا ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَصْحَابُنَا أَصْحَابَ النِّجَاةِ وَالْخِلَاصِ وَالْفَوْزِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، لِأَنَّهُمْ سَلَكُوا طَرِيقَةً مُقْتَصِدَةً ، قَالُوا : هُوَ أَفْضَلُ انْتَلَقَ فِي الْآخِرَةِ ، وَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَفْضَلُ انْتَلَقَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَكْثَرُهُمْ خِصَائِصَ وَمَزَايَا وَمَنَاقِبَ ، وَكُلٌّ مِنْ عَادَاهُ أَوْ حَارَبَهُ أَوْ أَبْغَضَهُ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ وَخَالِدٌ فِي النَّارِ مَعَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ قَدْ ثَبَتَتْ تَوْبَتُهُ ، وَمَاتَ عَلَى تَوَلِّيهِ وَحُبِّهِ .

فَأَمَّا الْأَفْضَلُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ وَلَّوْا الْإِمَامَةَ قَبْلَهُ فَلَوْ أَنَّه أَنْكَرَ إِمَامَتَهُمْ

وغيظ عليهم ، وسخط فعلهم ، فضلاً عن أن يُشير عليهم السيف ، أو يدعو إلى نفسه ، قلنا: إنهم من المالكين ، كانوا غضب عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : « حربك حربي ، وسلمك سلمى » ، وأنه قال : « اللهم وال من ولاء ، وعاد من عاداء » ، وقال له : « لا يُحبك إلا مؤمن ، ولا ينفك إلا منافق » ، ولكننا رأينا رضى إمامتهم وبايعهم وصلى خلفهم وأنكحهم وأكل من فيهم ، فلم يكن لنا أن نتعدى فعله ، ولا نتجاوز ما اشتهر عنه ؛ ألا ترى أنه لما برئ من معاوية برئنا منه ، ولما لعنه لعناه ، ولما حكم بضلال أهل الشام ومن كان فيهم من بقايا الصحابة كعمرو بن العاص وعبد الله ابنه وغيرهما حكمنا أيضا بضالاهم !

والحاصل أننا لم نجعل بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله إلا رتبة النبوة ، وأعطيناها كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينهم^(١) ، ولم نطمع في أكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا أنه طعن فيهم ، وعاملناهم بما عاملهم عليه السلام به .

[فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة]

والقول بالتفضيل قول قديم ، قد قال به كثير من الصحابة والتابعين ، فمن الصحابة عمار ، والقداد ، وأبو ذر ، وسلمان ، وجابر بن عبد الله ، وأبي بن كعب ، وحذيفة ، وبريدة ، وأبو أيوب ، وسهل بن حنيف ، وعثمان بن حنيف ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وخزيمة بن ثابت ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة ، والعباس بن عبد المطلب وبنوه ، وبنو هاشم كافة ، وبنو المطلب كافة .

(١) ب : هـ بينه ، تحريف .

وكان الزبير من القائلين به في بدء الأمر؛ ثم رجع، وكان من بنى أمية قومٌ يقولون بذلك، منهم خالد بن سميد بن العاص، ومنهم عمر بن عبد العزيز.

وأنا أذكرها هنا الخبر المروي المشهور عن عمر، وهو من رواية ابن السكيت، قال: بينما عمر بن عبد العزيز جالساً في مجلسه، دخل حاجبه ومعه امرأة أدماء طويلة حسنة الجسم والقامة، ورجلان متعلقان بها، ومعهما كتاب من ميمون بن مهران إلى عمر، فدفعوا إليه الكتاب، ففضّه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، من ميمون بن مهران، سلامٌ عليك ورحمةُ الله وبركاته، أما بعد، فإنه وردَ علينا أمرٌ ضاقتُ به الصدور، وعجزتُ عنه الأوساع^(١)، وهربنا بأنفسنا عنه، ووَكَلناه إلى عالمه، لقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٢)، وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها، وإن أباهما يا أمير المؤمنين زعم أن زوجها حالف بطلاقها أن علي بن أبي طالب عليه السلام خيرُ هذه الأمة وأولاهها برسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه يزعم أن الله طلقَ منه، وأنه لا يجوز له في دينه أن يتخذَ صهرًا، وهو يعلم أنها حرامٌ عليه كأمه. وإن الزوج يقول له: كذبت وأثمت، لقد برّ قسَمي، وصدقتُ مقالتِي، وإنها أمرأتِي على رَغم أنفِك، وتغيظُ قلبِك؛ فأجتمِعُوا إلى مختصِمون في ذلك، فسألتُ الرجلَ عن يمينه، فقال: نعم، قد كان ذلك، وقد حلفتُ بطلاقها أن علياً خيرُ هذه الأمة وأولاهها برسول الله صلى الله عليه وآله، عرفه من عرفه، وأنكره من أنكره؛ فليغضب من

(١) الأوساع: جمع وسع؛ وهو الطائفة.

(٢) سورة النساء ٨٣.

غَضِبَ ، وَلَيَرْضَى مَنْ رَضِيَ ، وَتَسَامَعَ النَّاسُ بِذَلِكَ ، فَاجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ كَانَتِ الْأَلْسُنُ
مَجْتَمِعَةً فَالْقُلُوبُ شَتَّى ، وَقَدْ عَلِمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اخْتِلَافَ النَّاسِ فِي أَهْوَائِهِمْ ، وَتَسَرُّعِهِمْ
إِلَى مَا فِيهِ الْفِتْنَةُ ، فَأَحْبَبْنَا عَنْ الْحُكْمِ لِنَحْكُمَ بِمَا أَرَادَ اللَّهُ . وَإِنَّمَا تَعَلَّقَا بِهَا ، وَأَقْسَمَ
أَبُوهَا أَلَّا يَدَّعِيَا مَعَهُ ، وَأَقْسَمَ زَوْجُهَا أَلَّا يَفَارِقَهَا وَلَوْ ضُرِبَتْ عَنْقُهُ إِلَّا أَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِ
بِذَلِكَ حَاكِمٌ لَا يَسْتَطِيعُ مُخَالَفَتَهُ وَالامْتِنَاعَ مِنْهُ ، فَرَفَعْنَاهُ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَحْسَنَ
اللَّهُ تَوْفِيقَكَ وَأَرْشَدَكَ !

وَكُتِبَ فِي أَصْفَلِ الْكِتَابِ :

إِذَا مَا الْمَشْكِلَاتُ وَرَدْنَ يَوْمًا فَخَارَتْ فِي تَأْمِيلِهَا الْعُيُونُ
وَضَاقَ الْقَوْمُ دَرْعًا عَنْ نِيَاهَا فَأَنْتَ لَهَا أَبَا حَفْصٍ أَمِينُ
لَأَنْتَ قَدْ حَوَيْتَ الْعِلْمَ طَرًّا وَأَحْكَمْتَ التَّجَارِبُ وَالشُّونُ
وَحَفَنْتَ الْإِلَهَ عَلَى الرِّعَايَا فَحَفَظَكَ فِيهِمْ الْحَفَظُ الثَّمِينُ

قال : فجمع عمرُ بنُ عبد العزيز بنى هاشم وبنى أمية وأخذ قريش ، ثم قال
لأبي المرأة : ما تقول أيها الشيخ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا الرجل زوجته ابنتي ،
وجهرتها إليه بأحسن ما يجهز به مثلها ، حتى إذا أملت خبره ، ورجوت صلاحه ، حان
بطلاقها كاذباً ، ثم أراد الإقامة معها ، فقال له عمر : يا شيخ ، لعله لم يطلق امرأته ،
فكيف حلف ؟ قال الشيخ : سبحان الله ! الذي حلف عليه لأبين حنثاً وأوضح كذباً
من أن يتخلج في صدرى منه شك ، مع سني وعلمي ، لأنه زعم أن علياً خير هذه الأمة
وإلا فامرأته طالق ثلاثاً . فقال للزوج : ما تقول ؟ أهكذا حلفت ؟ قال : نعم ، فقليل :
إنه لما قال : نعم ، كاد المجلس يرتج بأهله ، وبنو أمية ينظرون إليه شزراً ، إلا أنهم
لم ينطقوا بشيء ، كل ينظر إلى وجه عمر .

فأكبَّ عمر مَلِيًّا يَنْكُتُ الْأَرْضَ بِيَدِهِ وَالْقَوْمُ صَامِتُونَ بَنظَرُونَ مَا يَقُولُهُ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ :

إِذَا وَلِيَ الْحُكْمَ بَيْنَ قَوْمٍ أَصَابَ الْحَقُّ وَالنَّصْرَ السَّدَادَا
وَمَا خَيْرُ الْإِمَامِ إِذَا تَعَدَّى خِلَافَ الْحَقِّ وَأَجْتَنَبَ الرَّشَادَا

ثُمَّ قَالَ لِلْقَوْمِ : مَا تَقُولُونَ فِي يَمِينِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَسَكَتُوا ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! قُولُوا . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ : هَذَا حُكْمٌ فِي فَرْجٍ ، وَلَسْنَا نَجْتَرِئُ عَلَى الْقَوْلِ فِيهِ ، وَأَنْتَ عَالِمٌ بِالْقَوْلِ ، مُؤْتَمِنٌ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ، قُلْ مَا عِنْدَكَ ، فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا لَمْ يَكُنْ يُحِقُّ بِاطِلَالٍ وَيُبْطِلُ حَقًّا جَائِزًا عَلَى فِي مَجْلِسِي .

قَالَ : لَا أَقُولُ شَيْئًا ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ وَلَدِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِيمَا حَلَفَ بِهِ هَذَا الرَّجُلُ يَا عَقِيلِي ؟ فَاعْتَمَمَهَا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ جَعَلْتُ قَوْلِي حُكْمًا ، أَوْ حُكْمِي جَائِزًا قُلْتُ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَالْتَسَكُوتُ أَوْسَعُ لِي ، وَأَبْقَى لِلْعُدَّةِ ؛ قَالَ : قُلْ وَقَوْلُكَ حُكْمٌ ، وَحُكْمُكَ مَاضٍ .

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ بَنُو أُمَيَّةَ قَالُوا : مَا أَنْصَفَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ جَعَلْتَ الْحُكْمَ إِلَى غَيْرِنَا ، وَنَحْنُ مِنْ لَحْمَتِكَ وَأُولَى رَحِمَتِكَ ! فَقَالَ عُمَرُ : اسْكُتُوا أَعْجَزَا وَلَوْ مَا ! عَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ آتِفًا فَمَا اسْتَدْبَحْتُمْ لَهُ . قَالُوا : لِأَنَّكَ لَمْ تُعْطِنَا مَا أُعْطِيَ الْعَقِيلِي ، وَلَا حَكَمْتَنَا كَمَا حَكَمْتَهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنْ كَانَ أَصَابَ وَأَخْطَأْتُمْ ، وَحَزَمَ وَعَجَزْتُمْ ، وَأَبْصَرَ وَنَحِمْتُمْ ، فَمَا ذَنْبُ عُمَرَ ، لَا أَبَا لَكُمْ ! أَتَدْرُونَ مَا مَثَلُكُمْ ؟ قَالُوا : لَا نَدْرِي ، قَالَ : لِيَكُنِ الْعَقِيلِي يُدْرِي ، ثُمَّ قَالَ : مَا تَقُولُ يَا رَجُلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

دُعِيتُمْ إِلَى أَمْرٍ فَلَمَّا عَجَزْتُمْ تَسْأَلُوهُ مَنْ لَا يُدَاخِلُهُ عَجْزُ

فَلَمَّا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ أَبَدْتُمْ نَفُوسَكُمْ نِدَامًا وَهَلْ يُفْنَى مِنَ الْخِذَرِ الْحَرُورُ !

فَقَالَ عُمَرُ : أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ ، فَقُلْ مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،

يَرْتَقِمُهُ ، ولم تَطْلُقِ امرأته ، قال : وأنى علمتَ ذلك ؟ قال : نشدتُكَ اللهُ يَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَهُوَ عِنْدَهَا فِي يَدَيْهَا عَائِدَةً لَهَا : يَا بُنَيَّةُ ، مَا عِلَّتُكَ ؟ قالت : الْوَعْدُكَ يَا أَبَتَاهُ - وَكَانَ عَلِيٌّ غَائِبًا فِي بَعْضِ حَوَاجِجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فقال لها : أَتَشْتَهِينَ شَيْئًا ؟ قالت : نَعَمْ أَشْتَهِي عَيْنًا ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ عَزِيزٌ ، وَلَيْسَ زَوْجَتِي عَيْنَبُ ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنْ اللهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِنَا بِهِ ، نَحْنُ قَالُوا : اللَّهُمَّ ائْتِنَا بِهِ مَعَ أَفْضَلِ أُمَّتِي عِنْدَكَ مَنْزِلَةً ؛ فَطَرَّقَ عَلَى الْبَابِ ، وَدَخَلَ وَمَعَهُ مِكَئَلٌ قَدْ أَتَى عَلَيْهِ طَرَفُ رِدَائِهِ ، فقال له النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَا هَذَا يَا عَلِيُّ ؟ قال : عَيْنَبُ التَّمَسُّهُ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فقال : اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُمَّ كَمَا سَرَرْتَنِي بِأَنْ تَخْصَصْتَ عَلِيًّا بِدَعَاؤِي فَاجْعَلْ فِيهِ شِفَاءً لِبَنِيَّتِي ، ثُمَّ قَالَ : كُلِّي عَلَى اسْمِ اللهِ يَا بُنَيَّةُ ، فَإِذَا كَلَّمْتُ ، وَمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى اسْتَقَلَّتْ وَبَرَّأَتْ ، فقال عمر : صدقتَ وبرَّرتَ ، أَشْهَدُ لَقَدْ سَمِعْتُهُ وَوَعَيْتُهُ ، يَا رَجُلُ ، خُذْ بِيَدِ امْرَأَتِكَ فَإِنَّ عَرَضَ لَكَ أَبُوهَا فَاهْتِمُّ أَنْفَهُ . ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَاللَّهِ مَا تَجْهَلُ مَا يَعْلَمُ غَيْرُنَا ، وَلَا بَنَا عَمِّي فِي دِينِنَا ، وَلَكِنَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

تَصِيدُ الدِّينَا رَجَالًا بَفَخْمِهِمْ قَلَمُ بَدْرِ كَوَا خَيْرًا بَلِ اسْتَقْبَحُوا الشَّرَّ
وَأَعْمَاهُمْ حُبُّ النَّبِيِّ وَأَصْنَحَهُمْ قَلَمُ بَدْرِ كَوَا إِلَّا الْخُسَارَةَ وَالْوُزْرَا
قِيلَ : فَسَكَتَا ثُمَّ أَلْقَمَ بَنِي أُمَيَّةَ حَجَرًا ، وَمَضَى الرَّجُلُ بِامْرَأَتِهِ .

وَكُتِبَ عُمَرُ إِلَى مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ :

عَلَيْكَ سَلَامٌ ، فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَمَا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ فَهِمْتُ كِتَابَكَ ، وَوَرَجَّهِ الرَّجُلَانِ وَالْمَرْأَةِ ، وَقَدْ صَدَّقَ اللهُ يَمِينَ الزَّوْجِ ، وَأَبْرَأَ قِسْمَهُ ، وَأَثْبَتَهُ عَلَى نِكَاحِهِ ، فَاسْتَيْقِنْ ذَلِكَ ، وَاعْمَلْ عَلَيْهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فأما مَنْ قال بتفضيله على الناس كافةً من التابعين فَخَلَقَ كثيرًا وَيْسَ القرَنيَّ
وزَيْد بن صُوحان ، وصَعَصعة أخيه ، وجُنْدُب^(۱) الخير ، وعبيدة السلماني وغيرهم ممن
لا يُحصى كثرةً ، ولم تكن لفظة الشيعة تُعرف في ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله ،
ولم تكن مقالة الإمامية ومنّ نحا نحوها من الطّاعنين في إمامة السلف مشهورة حينئذٍ
على هذا النحو من الاشتهار ، فكان القائلون بالتفضيل هم المسمّون الشيعة ، وجميعُ
ماورد من الآثار والأخبار في فضل الشيعة وأنهم موعودون بالجنة ، فهؤلاء هم المعنيّون
به دون غيرهم ، ولذلك قال أصحابنا المعتزلة في كتبهم وتصانيفهم : نحن الشيعة حقًا .
فهذا القول هو أقرب إلى السلامة وأشبه بالحق من القولين المقتسمين طرفي الإفراط
والتفريط إن شاء الله .

مرکز تحقیقات کتب ویراثہ علوم اسلامی

الأضل :

وسئل عن التوحيد والعَدْل ، فقال :
التَّوْحِيدُ إِلَّا تَتَوَهَّمُهُ ، وَالْعَدْلُ إِلَّا تَتَّبِعُهُ .

الْبَسْرُخ :

هذان الرُّكْنَانِ هُمَا رُكْنَا عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَهُمَا شِعَارُ أَصْحَابِنَا الْمُعْتَزِلَةِ ، لِنَفِيهِمُ
الْمَعَانِيَ الْقَدِيمَةَ الَّتِي يُشَبِّهُهَا الْأَشْعَرِيُّ وَأَصْحَابُهُ ، وَلِتَنْزِيهِهِمُ الْبَارِي سُبْحَانَهُ عَنْ
فِعْلِ الْقَبِيحِ .

ومعنى قوله « أَلَا تَتَوَهَّمُهُ » أَي أَلَا تَتَوَهَّمُهُ جِسْمًا أَوْ صُورَةً أَوْ فِي جِهَةٍ مُخْصِوَصَةٍ ،
أَوْ مَالًا لِكُلِّ الْجِهَاتِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ قَوْمٌ ، أَوْ نُورًا مِنَ الْأَنْوَارِ ، أَوْ قُوَّةً سَارِيَةً فِي
جَمِيعِ الْعَالَمِ ، كَمَا قَالَ قَوْمٌ ، أَوْ مِنْ جِنْسِ الْأَعْرَاضِ الَّتِي تَحُلُّ الْمَحَالَّ أَوْ تَحُلُّ الْمَحَلَّ ،
وَلَيْسَ بِعَرَضٍ كَمَا قَالَ النَّصَارَى وَغَلَاةُ الشَّيْخَةِ ، أَوْ تَحُلُّهُ الْمَعَانِي وَالْأَعْرَاضُ ، فَهِيَ تَوَهَّمُ
عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَقَدْ خُوِّلَ التَّوْحِيدُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ جِسْمٍ أَوْ عَرَضٍ أَوْ حَالٍ فِي تَحَلُّ
أَوْ تَحُلُّ الْحَالِ ، أَوْ مُخْتَصٍ بِجِهَةٍ ، لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ مُنْقَسِمًا فِي ذَاتِهِ ، لَا سِيَّمَا عَلَى قَوْلِ مَنْ نَفَى
الْجُزْأَ مَطْلَقًا ، وَكُلٌّ مُنْقَسِمٌ فَلَيْسَ بِوَاحِدٍ ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ وَاحِدٌ . وَأَضَافَ أَصْحَابُنَا إِلَى
التَّوْحِيدِ نَفْيَ الْمَعَانِي الْقَدِيمَةِ ، وَنَفْيَ ثَانٍ فِي الْإِلَهِيَّةِ ، وَنَفْيَ الرُّؤْيَةِ ، وَنَفْيَ كَوْنِهِ مُشْتَبِهًا أَوْ نَافِرًا
أَوْ مُتَلَدِّيًا^(١) أَوْ آلِمًا أَوْ عَالِمًا يَعْلَمُ مُحَدَّثٌ ، أَوْ قَادِرًا بِقُدْرَةٍ مُحَدَّثَةٍ ، أَوْ حَيًّا بِحَيَاةٍ مُحَدَّثَةٍ ،
أَوْ نَفِي كَوْنِهِ عَالِمًا بِالْمُسْتَقْبَلَاتِ أَبَدًا ، أَوْ نَفِي كَوْنِهِ عَالِمًا بِكُلِّ مَعْلُومٍ ، أَوْ قَادِرًا عَلَى

(١) فِي دَلَالَةِ مُتَلَدِّيًا .

كل الأجناس وغير ذلك من مسائل علم الكلام التي يُدخلها أصحابنا في الركن الأول ، وهو التوحيد .

وأما الركن الثاني فهو ألاّ تهمه ، أي لا تهمه في أنه أجبرك على القبيح ، ويعاقبك عليه ، حاشاه من ذلك ! ولا تهمه في أنه مَسَكَن الكذابين من المعجزات ، فأضلّ بهم الناس ، ولا تهمه في أنه كلفك مالا تطيقه ، وغير ذلك من مسائل العدل التي يذكّرها أصحابنا مفعلة في كتبهم كالعبوس عن الآلم ، فإنه لا بدّ منه ، والثواب على فعل الواجب فإنه لا بدّ منه ، وصدق وعلمه ووعيده ، فإنه لا بدّ منه .

وجملة الأمر أن مذهب أصحابنا في العدل والتوحيد مأخوذ عن أمير المؤمنين . وهذا الموضع من النوّاحي التي قد صرح فيها بمذهب أصحابنا بعينه ، وفي قرش كلامه من هذا النمط مالا يخصّ . مركز تحقيقات كميته علوم اسلامی

الأصل :

وقال عليه السلام : في دعاء استسقى به :
اللهم اسقنا ذلّل السحابِ دُونَ صِحابِها .

قال الرضى رحمه الله تعالى :

وهذا من الكلام العجيب الفصاحة ، وذلك أنه عليه السلام شبه السحابَ
ذوات الرعود والبوارق ، والرياح والصواعق ، بالإبل الصّاب التي تقمص
برحائها^(١) ، وتتوقّص برُكبانها ، وشبه السحاب الخالية من تلك الزواجر
بالإبل اللذلة التي تحلب طيّعة ، وتقنع مسيحة .

الشرح :

قد كفانا الرضى - رحمه الله - بشرح هذه الكلمة متونة الخوض في تفسيرها .

الأصل :

وقيل له عليه السلام : لو غيّرتَ شيبك يا أمير المؤمنين ! فقال :
ألخصابُ زينة ، ونحن قومٌ في مُصيبَةِ برَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله .

[مختارات مما قيل من الشعر في الشيب والخصاب]

الشرح :

قد تقدم لنا في الخصاب قولٌ كافٍ ، وأنا أستملح قول الصابي فيه :

خصابٌ تقاسمناه بيني وبينها ولكن شأني فيه خالف شأنها
فياقبضه إذ حلّ مني بمفرقي ويأحسسه إذ حلّ منها بنائها
وسحقاً له عن لمتي حين شأنها وأهلاً به في كفها حيث زانها
وقال أبو تمام :

لمب الشيب بالمفارق بل جدّ فأبكي ثماضراً ولعوباً^(١)
خضبت خدّها إلى لؤلؤ العقد ما أن رأت شوائى خضيباً^(٢)
كلّ داء يرجي الدواء له إلا الفظيعين : مئنة ومشيأ
يانسب الثغام ذنبك أبقي حسناتي عند الحسان ذنوباً^(٣)

(١) ديوانه ١ : ١٦٦ ، وتمامر ولعوب من أسماء النساء .

(٢) الشوائى : جلدة الرأس . (٣) الثغام : نبت أبيض يشبه به الشيب .

وَلَيْتَنِي عَيْنَ مَارَيْنَ لَقَدْ أَنْكَرَنَ مُسْتَكْرًا وَعَيْنَ مَعِيَا
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا
وقال :

فَإِنْ يَكُنِ الشَّيْبُ طَفَى عَلَيْنَا وَأَوْدَى بِالْبَشَاةِ وَالشَّبَابِ
فَإِنِّي لَسْتُ أَدْفُئُهُ بِشَيْءٍ يَكُونُ عَلَيْهِ أَثْقَلُ مِنْ خِضَابِ
أُرِدْتُ بِأَنْ ذَاكَ وَذَا عَذَابُ فَسَلَّطْتُ الْعَذَابَ عَلَى الْعَذَابِ
ابن الرواحي :

لَمْ أَخْضِبِ الشَّيْبَ لِلْفَوَائِي أُنَبِّئُ بِهِ عَنْهُمْ وَدَادَا
لَكِنْ خِضَابِي عَلَى شَبَابِي لَسْتُ مِنْ بَعْدِهِ حِدَادَا

مرکز تحقیقاتی و ترویجی علوم اسلامی

وَمَنْ نَحَارَ مَا جَاءَ مِنَ الشَّعْرِ فِي الشَّيْبِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ذِكْرُ الْخِضَابِ قَوْلُ
أَبِي تَمَامٍ :

نَسَجَ الشَّيْبُ لَهُ لِقَاعًا مُنْجِدِقًا بَقَعًا قَتَنَعَ مِذْرَوِيَهُ وَنَصَفًا
نَظَرَ الزَّمَانُ إِلَيْهِ قَطَعَ دُونَهُ نَظَرَ الشَّقِيقِ تَحَسُّرًا وَتَلَهُفًا
مَا اسْوَدَّ حَتَّى أَيْبَضَ كَالْكَرَمِ الَّذِي لَمْ يَبْدُ حَتَّى جِئَ كَيْمَا يَقْطَعًا
لَمَّا تَفَوَّتِ الْخُطُوبُ سَوَادَهَا بَيَاضُهَا عَابَتْ بِهِ فَتَفَوَّفا
مَا كَانَ يَخْطُرُ قَبْلَ ذَا فِي فِكْرِهِ لَلْبَدْرِ قَبْلَ تَمَامِهِ أَنْ يُكْسَفَا
وقال أيضا :

عِنْدَا اللَّهُمَّ مَخْطَأُ بَقَوْدِي خِطَّةٌ طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ مَهْمَعٌ (١)

هو الزور يُخْفَى ، والمُعاشرُ يُجْتَوَى وذو الإلف يُقَلَى ، والجديدُ يُرْفَعُ
له مَنْظَرٌ في العَيْنِ أبيضُ ناصعٌ ولكنه في القلبِ أسودُ أَسْفَعُ
ونحنُ نَرْجِيهِ على الكُرْهِ والرضا وأنفُ الفتى من وجهه وهو أجْدَعُ
وقال أيضا :

شُعْلَةٌ في المَفَارِقِ استودَعَتْنِي في صَمِيمِ الأحشاءِ تُكَلِّأُ صَمِيمًا ^(١)
تَسْتَبِيرُ المِصْرَ مَا أَكْتَنَ مِنْهَا صُعْدًا وَهِيَ تَسْتَبِيرُ المِصْرَ
غُرَّةُ مُرَّةٍ أَلَا إِنَّمَا كُنْتُ أَغْرًا أَيْامُ نَكْتٍ بَيْنَا
دَقَّةٌ فِي الحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالًا مِنْ بَلِّ مَا سَمَّى اللَّدِيعُ سَلَامًا
حَلَمْتُ زَعْمًا وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا

وقال الصَّابِي وَذَكَرَ الخَضَابُ : *كاتب علمي*
خَضِبْتُ مِثْبَئِي لِلتَّلَاقِ بِالصَّبَا وَأَوْهَمْتُ مَنْ أَهْوَاهُ أَنِّي لَمْ أَشِبْ
فَلَمَّا ادَّعَى مِنِّي العِزَّ ذَارُ شَيْبَةٍ إِذَا صَلَّيْتُ قَدْ صَاحَ مِنْ فَوْقِهِ كَذِبُ
فَكَمْ طُرُقٌ طَارَتْ وَدَانَتْ ذَوَائِبُ وَكَمْ وَجَنَةٌ حَالَتْ وَمَاءُ بَيْسَا نَضَبُ
شَوَاهِدُ بِالتَّزْوِيرِ يَحْوِينُ رَبِّهَا فَهَجَرَانُهُ عِنْدَ الأَحِبَّةِ قَدْ وَجَبُ
الْبَحْتَرَى :

بَانَ الشَّبَابُ فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ إِلَّا بَقِيَّةُ بُرْدٍ مِنْهُ أَسْمَالُ
قَدْ كَذَّبْتُ أَخْرَجَهُ عَنْ مُنْتَهَى عَدَدِي بَاسًا وَأَسْقَطُهُ إِذَا فَاتَ مِنْ بَالِي
سُوءَ العَوَاقِبِ يَأْسٌ قَبْلَهُ أَمَلُ وَأَعْضَلُ الدَّاءِ نِكْسٌ بَعْدَ إِبْلَالِ
وَالْمَرْءُ طَاعِسٌ أَيْامُ تَنْقَلُهُ تَنْقَلُ الظِّلُّ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالِ

الأصل :

وقال عليه السلام :

ما المُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَعْظَمِ أَجْرٍ عَمَّنْ قَدَرَ فَعَفَ ، لَكَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ .



[نبذ وحكايات حول العفة]

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

الشرح :

قد تقدم القولُ في العِفَّةِ ، وهي ضُرُوب : عِفَّةُ الْيَدِ ، وَعِفَّةُ اللِّسَانِ ، وَعِفَّةُ الْفَرْجِ ، وهي الْمُغْلَى ، وقد جاء في الحديث المرفوع : « مَنْ عَشِقَ فَكَّكُمْ وَعَفَّ وَصَبَرَ فَاتَّ مَاتَ شَهِيدًا وَدَخَلَ الْجَنَّةَ » .

وفي حِكْمَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ : إِنَّ الْغَالِبَ لِهَوَاهُ أَشَدُّ مِنَ الَّذِي يَفْتَحُ الْمَدِينَةَ وَحْدَهُ .

نزل خارجيٌّ على بعض إخوانه منهم مستترا من الحُجَّاجِ ، فشَخَّصَ النِّزُولَ عليه لبعض حاجاته وقال لزوجته : يَا نَعْمِيَاءُ ، أوصيكِ بضَيِّقِي هَذَا خَيْرًا ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ - فَلَمَّا عَادَ بَعْدَ شَهْرٍ قَالَ لَهَا : كَيْفَ كَانَ ضَيْفُكَ ؟ قَالَتْ : مَا شَغَلَهُ بِالْعَمَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَكَانَ الضَّيْفُ أَطْبَقَ جَفْتِيهِ فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى الْمَرْأَةِ وَلَا إِلَى مَنْزِلِهَا إِلَى أَنْ عَادَ زَوْجُهَا .

وقال الشاعر :

إِنْ أَكُنْ طَامِحَ اللَّحَاطِ فَإِنِّي وَالَّذِي يَمْلِكُ الْقُلُوبَ عَفِيفُ
خَرَجْتُ امْرَأَةً مِنْ صَالِحَاتِ نِسَاءِ قَرِيشٍ إِلَى بَابِهَا لِتَفْلِقَهُ ، وَرَأْسُهَا مَكْشُوفٌ ، فَرَأَاهَا
رَجُلٌ أَجْنَبِيٌّ ، فَرَجَعْتُ وَحَلَقْتُ شَعْرَهَا ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ النِّسَاءِ شَعْرًا ، فَقِيلَ لَهَا فِي
ذَلِكَ ، قَالَتْ : مَا كُنْتُ لِأَدْعَ عَلَى رَأْسِي شَعْرًا رَأَاهُ مِنْ لَيْسَ لِي بِمَحْرَمٍ .

كَانَ ابْنُ سِيرِينَ يَقُولُ : مَا غَشِيَتْ امْرَأَةً قَطُّ فِي بَقْعَةٍ وَلَا نَوْمٍ غَيْرَ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ
وَإِنِّي لَا أَرَى الْمَرْأَةَ فِي الْمَنَامِ وَأَعْلَمُ أَنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي فَأَصْرِفُ بَصَرِي عَنْهَا .
وقال بعضهم :

وَإِنِّي لَعَفٌ عَنْ فُسْكَاهَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَسْنُوهُ إِلَى اغْتِيَابِهَا
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعَثْتُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا صَدِيقًا وَلَمْ تَأْتِنِ إِلَى كِلَابِهَا
وَلَمْ أَكُ طَلَّابًا أَحَادِيثَ سِرِّهَا وَلَا عَالِمًا مِنْ أَىِّ حَوْلِكَ ثِيَابِهَا
دَخَلْتُ بُيُوتَهُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ : مَا أَرَى فِيكَ بَابُتَيْنِ شَيْئًا مِمَّا كَانَ
يَكْتَلِجُ بِهِ جَمِيلٌ ! فَقَالَتْ : إِنَّهُ كَانَ يَرْنُو إِلَى بَعْثَيْنِ لَيْسَتَا فِي رَأْسِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
قَالَ : فَكَيْفَ صَادَفْتَهُ فِي عِفَّتِهِ ؟ قَالَتْ : كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ إِذْ قَالَ :

لَا وَالَّذِي تَسْجُدُ الْجِبَاهُ لَهُ مَالِي بِمَا ضَمَّ ثَوْبَهَا خَيْرٌ (١)
وَلَا بِفِيهِمَا وَلَا تَهَمُّتُ بِهِ مَا كَانَ إِلَّا الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ

وقال أبو سهل الساعدي : دَخَلْتُ عَلَى جَمِيلٍ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا سَهْلٍ ،
رَجُلٌ يَلْتَقِي اللَّهَ وَلَمْ يَسْفِكْ دَمًا حَرَامًا ، وَلَمْ يَشْرَبْ خَمْرًا ، وَلَمْ يَأْتِ فَاخِشَةً ، أَتَرْجُو لَهُ الْجَنَّةَ ؟
قُلْتُ : إِي وَاللَّهِ فَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ ، فَذَكَرْتُ لَهُ بُيُوتَهُ ،

قال : إني لفي آخر يومٍ من أيام الدنيا ، وأول يومٍ من أيام الآخرة ، لا نالتي شفاعته محمد إن كنت حدثت نفسي بريئة معها أو مع غيرها قط .

قال الشاعر :

قالت وقلتُ ترَفَّقِي فصلي حَبْلُ أَسْرَى بِوِصَالِكُمْ صَبَّ
صَادِقٌ إِذَا بَعْلِي هَلَّتْ لَهَا الْفَدْرُ شَيْءٌ لَيْسَ مِنْ شَعْبِي
نِثْنَانٍ لَا أَصْبُو لَوْصَلِيهَا عَرَسُ الصَّدِيقِ وَجَارَةُ الْجَنْبِ
أَمَّا الصَّدِيقُ فَلَسْتُ خَائِنَهُ وَالْجَنْبُ أَوْصَانِي بِهِ رَبِّي

يقال : إن امرأة ذات جمال دعت عبد الله بن عبد المطلب إلى نفسها لما كانت ترمى على وجهه من النور ، فأبى وقال :

أما الحرامُ فاللماتُ دونه وَالْحَلُّ لَاحِلٌ فَاسْتَيْبَنَهُ
فكيف بالأمر الذي تبغينه يَحْمِي الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ

راودَ توبةُ بنُ الحِمْيَرِ ليلي الأَخِيلِيَّةَ مرَّةً عن نفسها ، فاشمأزت منه وقالت :

وذي حاجةٍ قلنا له لا تَبْعُجْ بها فَلَيْسَ إِلَيْهَا مَا حَيَّتَ سَبِيلُ^(١)
لنا صاحبٌ لا يَنْبَغِي أَنْ نَخُونَهُ وَأَنْتِ لِأُخْرَى صَاحِبٌ وَخَلِيلُ

ابن ميادة :

مَوَانِعُ لَا يُعْطِينَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ وَهَنْ زَوَانٍ فِي الْحَدِيثِ أَوَانِسُ
وَيَكْرَهُنَّ أَنْ يَسْمَعَنَّ فِي اللَّهْوِ رِيَّةٌ كَمَا كَرِهَتْ صَوْتَ اللَّجْجَامِ الشَّوَامِسُ

آخر :

بَيْضُ أَوَانِسُ مَا هَمَّ مِنْ بَرِيَّةٍ كَطَيِّبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ

يُحَسِّنُ مِنْ لَيْلِ الْكَلَامِ زَوَانِيًا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخُلَا الْإِسْلَامُ
 فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : « لَا تَكُونَنَّ حَدِيدَ النَّظَرِ إِلَى مَا لَيْسَ لَكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَزْنِي
 فَرْجُكَ مَا حَفِظْتَ عَيْنَيْكَ ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَّا تَنْظُرُ إِلَى ثَوْبِ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَحِلُّ لَكَ فَافْعَلْ
 وَلَنْ تَسْتَطِيعَ ذَلِكَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ » .

كَانَ ابْنُ الْمَوَلَى الشَّاعِرِ الْمَدَنِيِّ مَوْصُوفًا بِالْعِفَّةِ وَطَيْبِ الْإِزَارِ ، فَأَنشَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ شِعْرًا
 لَهُ مِنْ جُحْلَتِهِ :

وَأَيْكِي فَلَا لَيْلِي بَكَتْ مِنْ صَبَابَةٍ لَيْلَا وَلَا لَيْلِي لَدَى الْبَدَلِ تَبْدُلُ
 وَأَخْنَعُ بِالْعُتْبَى إِذَا كُنْتُ مُدْبِيًا وَإِنْ أَذْنِبْتُ كُنْتُ الَّذِي أُتَصَّلُ
 فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَنْ لَيْلِي هَذِهِ ؟ إِنْ كَانَتْ حُرَّةً لَأَرْوِجَنَّهَا ، وَإِنْ كَانَتْ أَمَةً
 لَأَشْتَرِيَنَّهَا لَكَ بِالْفَقْدِ مَا بَلَغْتَ ، فَقَالَ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا كُنْتُ لِأَصْعُرَ وَجْهَ حُرٍّ
 أَبْدَا فِي حُرَّتِهِ وَلَا فِي أَمَتِهِ ، وَمَا لَيْلِي الَّتِي أُنِسْتُ بِهَا إِلَّا قَوْسِي هَذِهِ سَمِيَّتْهَا لَيْلِي لِأَنَّ
 الشَّاعِرَ لَا يَدَّ لَهُ مِنَ النَّسِيبِ .

ابْنُ الْمَلُوحِ الْجَنُونُ :

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا الْحُمْرَ بَحَّةٌ بِمَاءِ النَّدَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غَابِقُ^(١)
 وَمَا ذُقْتُهُ إِلَّا بِعَيْنِي تَفَرُّسًا كَمَا شِيمَ مِنْ أَعْلَى السَّعَابَةِ بَارِقُ
 هَذَا مِثْلُ بَيْتِ الْحَمَاسَةِ :

بِأَعَذَبَ مِنْ فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ وَلَكِنِّي فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ^(٢)
 شَاعِرُ :

مَا إِنْ دَعَانِي الْهَوَى لِفَاحِشَةٍ إِلَّا سَهَانِي الْحِمَامُ وَالْكَرَمُ

(١) ديوانه ٢٠٣

(٢) لأنَّ صِنْفَةَ الْبُولَانِ ، دِيْوَانُ الْحَمَاسَةِ ٣ : ١٢٨١ - بِشْرُوحِ الرُّزُوقِ .

ولا إلى محرم مددت يدي ولا مسّت بي لريّة قدّم

العباس بن الأخنف :

أتأذنون لصبيّ في زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر^(١)

لا يضمرُ السوء إن طال الجلوس به عفت الضمير ولكن فاسق النظر

قال بعضهم : رأيت امرأة مستقبله البيت في الموسم ، وهي في غاية الضر والنحافة ،

رافعة يديها تدعو ، قلت لها : هل لك من حاجة ؟ قالت : حاجتي أن تُنادي في

الموقف بقولي :

تزوّد كلّ الناس زاداً بقيمتهم ومالي زاد والتام على نفسي

فعلت ، وإذا أنا بقبيّ شهوك ، فقال : أنا الزاد ، فضيت به إليها ، فما زادوا على النظر

والبكاء ، ثم قالت له : انصرف مُصاحباً ، قلت : ما علمت أن النقاء كما يقتصر فيه على

هذا ، فتأملت : امسك يافتي ، أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد .

قال بعضهم :

كم قد ظفرتُ بين أهوى فيمتعني منه الحياء وخوفُ الله والحذرُ

وكم خلوتُ بين أهوى فيمتعني منه الفكاهة والتحديثُ والنظرُ

أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم وليس لي في حرامِهم وطَرُ

كذلك الحب لا يتياف معصية لا خير في لذّة من بعدِها سقرُ

قال محمد بن عبد الله بن طاهر لبنيه : اعشقوا نظرفوا ، وعفوا كسرفوا .

وصف أعرابي امرأة طرّقها ، فقال : ما زال القمرُ يربّيها فلما غاب أرتنيه ، فقيل :

فما كان ينسك ؟ قال : ما أقرب ما أحلّ الله مما حرّم ، إشارة في غير باس ، ودنو من غير

مساس ، ولا وجم أشد من الذنوب .

كثير عزة :

وإني لأرضى منك يا عزّ بالذي لو أبصره الواشي لقرت بلاءه
بلا وبالأ أستطيع وبإلني وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله
وبالتظرة المجلى وبالحوّل ينقضي أواسره لا تلتقي وأوائله

وقال بعض الظرفاء : كان أرباب الكوى يسرون فيما مضى ، ويقنعون بأن يمتنع
أحدهم لبائناً قد مضفته محبوبته ، أو يستاك بسواكها ، ويرون ذلك عظيماً ، واليوم
يطلب أحدهم الخلوة وإرخاء الستور ، كأنه قد أشهد على نكاحها أبا سعيد
وأبا هريرة .

وقال أحمد بن أبي عثمان الكاتب :

وإني لبرضي للمروءة يتكلم بها وأقنع منها بالوعيد وبالزجر
قال يوسف بن الماجشون : أنشدت محمد بن المنكدر قول وضاح اليمن :
إذا قلت هاتي نولي تيسمت وقالت معاذ الله من فعل ما حرم
فما نولت حتى تصرعت حو لها وعرقها مارخص الله في اللعم
فضحك وقال : إن كان وضاح ألقى فيها في نفسه .

قال آخر :

فقلت بحق الله إلا أتقنا إذا كان لون الليل لون الطيالس
فجئت وما في القوم يقظان غيرها وقد نام عنها كل وال وحارس
فبتنا مبيتاً طيباً نستلذه جميعاً ولم أمدد لها كف لأمس

مرت امرأة حسنة بقوم من بني كعب بن لؤي فنادى لهم ، فرمقوها بأبصارهم ،
وقال قائل منهم : ما أكلها لولا أنها رسحاء^(١) ! فالتفت إليهم ، وقالت : والله

(١) الرسحاء : القبيحة .

يَا بَنِي نَمِيرٍ ، مَا أَطْعَمَ اللَّهُ وَلَا الشَّاعِرُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْعَسُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (١).

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

فَعَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَفْتَ وَلَا كِلَابًا (٢)
فَأَخْجَلَتْهُمْ .

وَقَالَ أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِيُّ مِنْ شُعْرِ الْحَمَاسَةِ :

وَلَلَّيْلَةُ مِنْهَا تَعُودُ لَنَا مِنْ غَيْرِ مَارَقَةٍ وَلَا إِنْهَامٍ
أَشْهَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ رَحَتْ مِمَّا مَلَكَتُ مِنْ بَنِي سَهْمٍ
آخِرُ :

وَمَا نَلْتُ مِنْهَا سَحَرَمًا غَيْرَ أَنِّي أَقْبِلُ بِسَامَا مِنَ الثَّغْرِ أَفْلَجَا
وَأَلَمْ فَأَهَا أَخِيذًا بَقَرُونَهَا وَأَتْرَكَ حَاجَاتِ النَّفْسِ تَحْرُجَا
وَأَعَفْتُ مِنْ هَذَا الشُّعْرِ قَوْلُ عَبْدِ بَنِي الْحَسَنِاسِ عَلَى فِئْتِهِ :
لَعَمْرُ أَبِيهَا مَا صَبَوْتُ وَلَا صَبْتُ إِلَيَّ وَإِنَّ مِنْ صَبٍّ لَحْلِيمٍ
سِوَى قُبْلَةٍ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبَهَا سَأَطِيعُ مَسْكِينَا لَهَا وَأَصُومُ
وَقَالَ آخَرُ :

وَمَجْدُ وَلَةٍ جَدَلِ الْعَنَاقِ كَأَنَّمَا سَنَا الْبَرْقِ فِي دَاجِي الظَّالِمِ ابْتِسَامُهَا
ضَرَبْتُ لَهَا الْيَعَادَ لَيْسَتْ بِكَفَّةٍ وَلَا جَارَةٍ يُخَشَى عَلَى ذِمَامُهَا
فَلَمَّا التَّقَيْنَا قَالَتِ الْحَكْمُ فَاحْتَكَمُ سِوَى خَلَّةٍ هَيَّاتَ مِنْكَ مَرَامُهَا
فَقُلْتُ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَرْكَبَ اللَّيْ تَبِيدُ وَيَبْقَى فِي الْمَعَادِ أَثَامُهَا

(١) سُوْرَةُ النَّوْرِ ٣٠

(٢) الْجَوْبَرُ ، ذِي الْوَأْتِ .

قوله : « ليست بكنته ولا جارة يحشى على ذمامها » ، مأخوذ من قول قيس ابن الخطيم :

ومثلك قد أحببتُ ليست بكنته ولا جارة ولا حليلة صاحب^(١)
وهذا الشاعر قد زاد عليه بقوله : « ولا حليلة صاحب » .
وأشبه ابن مذكويه لبعضهم :

أنا زاني اللسان والطرفِ إلّا أن قلبي يعصافُ ذاك وبأي
لا يراني الإله أشرب إلّا كلّ ما حلّ شربه لي وطاباً
آخر .

تلهو بهن كذا من غير فاحشة هو الصيام بفتح الباءين
بشار بن برود :

قالوا حرامٌ تلاقينا فقلتُ لم ما في التزائم ولا في قبلة حرج^(٢)
من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهبج
البيت الآخر مثل قول القائل :

من راقب الناس مات هماً وفاز باللذة الجسور
أبو الطيب المتنبي :

وترى الفتوة والمرورة والأبوة في كلّ مليحة ضرتها^(٣)
هن الثلاث المنافع لذتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها
إني على شغني بما في حمرها لأعف عما في سراويلاتها

كان صاحبُ رحمه الله يستهينُ قوله : « عما في سراويلِها » ، ويقول : إن كثيرا من العُزَّ أحسن من هذه العِفَّة ، ومعنى البيت الأول أن هذه الخلالَ الثلاث تراهنُ الملاحُ ضرائرَهنَّ لأنهنَّ يمنعهنَّ عن الخلوة بالملاح والتمتع بهنَّ . ثم قال : إن هذه الخلالَ هي التي تمنعه لا الخوفُ من تَبِمَاتِها ، وقال قوم : هذا تهاونٌ بالدين ، ووعُ من الإلحاد . وعندى أن هذا مذهبُ للشعراء معروف ، لا يريدون به التهاونَ بالدين ، بل المبالغةَ في وصفِ سجاياهم وأخلاقهم بالطَّهارة ، وأنهم يتركون القبيحَ لأنه قبيح ، لا لورود الشرع به ، وخوف العقاب منه . ويمكن أيضا أن يريدَ بتبعاتها تبعات الدنيا ، أي لا أخاف من قوم هذه المحبوبة التي أنستُ بها ، ولا أشقى من حرِّهم وكيدِهِم ، فأما عفة اليد وعفة اللسان فهما باب آخر ، وقد ذكرنا طرفا صالحا من ذلك في الأجزاء المتقدمة عند ذكرنا الورع . *مركز تحقيق تكملة ترمذی*

وفي الحديث الرفوع : « لا يبلغ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يترك مالا بأس به حذار ما به البأس » .

وقال أبو بكر في مرض موته : إنا منذ ولينا أمرَ المسلمين لم نأخذْ لهم دِرهما ولا ديناراً ، وأكَلْنَا من جَرِيشِ الطعام ، ولبسْنَا من خَشَنِ الثياب ، وليس عندنا من قِيٍّ المسلمين إلا هذا الناصح ، وهذا العبدُ الخَبَشِيُّ ، وهذه القطيفة ، فإذا قُبِضْتُ فادفعوا ذلك إلى عُمرَ ليجمعه في بيتِ مالِ المسلمين . فلما مات نُحِلَّ ذلك إلى عمر ، فبَكَى كثيراً ثم قال : رَحِمَ اللهُ أبا بكر ، لقد أتعَبَ من بعده !

قال سليمان بن داود : يا بني إسرائيل ، أوصيكم بأمرين أفلح من فعلهما : لا تدخلوا أجوافكم إلا الطيب ، ولا تخرجوا من أفواهكم إلا الطيب .

وقال بعض الحكماء : إذا شئت أن تعرف ربك معرفةً يقينية فاجعل بينك وبين المحارم حائطا من حديد ، فسوف يفتح عليك أبواب معرفته .

ومما يحكى من ورع حسان بن أبي سنان أن غلاما له كتب إليه من الأهواز : إن قصب السكر أصابته السنة آفة فابتع ما قدرت عليه من السكر ، فإنك تجد له ربحا كثيرا فيما بعد ، فابتاع ، وطلب منه ما ابتاعه بعد قليل بربح ثلاثين ألف درهم ، فاستقال البائع من صاحبه ، وقال : إنه لم يعلم ما كنت أعلم حين اشتريته منه ، فقال البائع : قد علمت الآن مقدار الربح ، وقد طيبته لك وأحللتك ، فلم يطمئن قلبه ، وما زال حتى رده عليه .

يقال : إن غم الفارة اختلطت بغم أهل الكوفة ، فتورع أبو حنيفة أن يأكل اللحم ، وسأل كم تعيش الشاة ؟ قالوا : سبع سنين ، فترك أكل لحم الغنم سبع سنين .

ويقال : إن المنصور حمل إليه بدرة فرمى بها إلى زاوية البيت ، فلما مات جاء بها ابنه حماد بن أبي حنيفة إلى أبي الحسن بن أبي قحطبة ، وقال : إن أبي أوصاني أن أرد هذه عليك ، وقال : إنها كانت عندى كلودبة ، فاصرفها فيما أمرك الله به ، فقال أبو الحسن : رحم الله أبا حنيفة ! لقد شح بدينه إذ سحت به نفوس أقوام .

وقال سفيان الثوري : انظر درهمك من أين هو ، وصل في الصف الأخير . جابر ، سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول لكعب بن عجرة : « لا يدخل الجنة لحم نبت من الشح ، النار أولى به » . الحسن : لو وجدت رغيفا من حلال لأخرفته ثم سحفته ثم جعلته درورا ، ثم دأويت به المرضى .

عائشة ، قالت : يا رسول الله ، مَنْ المؤمن ؟ قال : من إذا أَصْبَحَ نَفَرَ إلى رَغِيْبِهِ
كَيْفَ يَكْتَسِبُهَا ، قالت : يا رسول الله ، أَمَا إِنَّهُمْ لَوْ كَلَّفُوا ذَلِكَ لَتَسْكَلَفُوهُ ، فقال لها :
إِنَّهُمْ قَدْ كَلَّفُوهُ ، وَلَكِنْهُمْ يَعْصِفُونَ الدُّنْيَا عَسْفًا .

حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ يَرْفَعُهُ : إِنْ قَوْمًا يَجِيئُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ كَأَمْثَالِ
الْإِبَالِ ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ؛ فَقِيلَ : خَلِّمْ لَنَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِنَّهُمْ كَانُوا يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَأْخُذُونَ أَهْبَةً مِنَ اللَّيْلِ ،
وَلَكِنْهُمْ كَانُوا إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِمُ الْحَرَامُ وَتَبَوَّأُوهُ عَلَيْهِ .



مرکز تحقیقات و نشر علوم اسلامی

الأصل :

وقال عليه السلام : القناعة مال لا ينفد .

قال : وقد روى بعضهم هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

الشرح :

قد تقدم القول في هذا المعنى ، وقد تكررت هذه اللفظة بذاتها في كلامه

عليه السلام .

مركز تحقيق كتب التراث والعلوم الإسلامية

ومن جيد القول في القناعة قول الغزالي .

أنا كالثعبان جليدي ملبسي لست محتاجاً إلى ثوب الجمال
فالخول العز والياس الغني والقنوع الملاك ، هذا ما بدا لي

وقال أيضا :

لا تعجب لمن يهوى ويصعد في دنياه فاخلق في أرجوحة القدر
واقنع بما قل فالأوشال صافية وبلجة البحر لا تخلو من الكدر

الأضل :

وقال عليه السلام لزياد بن أبيه وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس وأعمالها ، في كلام طويل كان بينهما بهاة فيه عن تقديم الخراج :
استعمل العدل ، واحذر العنف والخياف ؛ فإن العنف يعود بالجلالة ،
والخياف يدعوا إلى السياف .



السنخ :

قد سبق الكلام في العدل والخير في كتاب علوم السدي

وكانت عادة أهل فارس في أيام عثمان أن يطلب الوالي منهم خراج أملا كيهم قبل يبيع الثمار على وجه الاستيفاء ، أو لأنهم كانوا يظنون أن أول السنة القمرية هو مبتدأ وجوب الخراج بخلاف الخراج التابع لسنة الشمس على الحقوق الهلالية التابعة لسنة القمر ، كأجرة العقار ، وجوا إلى أهل الدمة ، فكان ذلك يحجف بالناس ويدعو إلى عسفهم وحيثهم .

وقد غلط في هذا المعنى جماعة من الملوك في كثير من الأعصار ، ولم يعلموا فرق ما بين السنين ، ثم تنبه له قوم من أذكاء الناس فكبسوا وجعلوا السنين واحدة ، ثم أهل الناس الكبس ، وانفرج ما بين السنة القمرية والسنة الخراجية التي هي سنة الشمس انفراجا كثيراً .

واستقصاه القول في ذلك لا يليق بهذا الموضع ، لأنه خارج عن فن الأدب الذي هو موضوع كتابنا هذا .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

أشدُّ الذُّنُوبِ ما اسْتَخَفَّ بها صاحبها .

الشرح :

عُظُمُ المصيبةِ على حَسَبِ نِعْمَةِ العاصي ، ولهذا كان لَطَمُ الولدِ وجهَ الوالدِ كبيراً
ليس كلَّ طَمَةٍ وجه غير الوالدِ *مركز تحقيق كاميونير علوم إسلامي*

ولما كان الباري تعالى أعظم النعمين ، بل لا نعمة إلا وهي في الحقيقة من نعمة ،
ومنسوبة إليه ، كانت مخالفته ومعصيته عظيمة جداً ، فلا ينبغي لأحد أن يعصيه في أمرٍ
وإن كان قليلاً في ظنه ، ثم يستقله ويستهن به ، ويظهر الاستخفاف وقلة الاحتفال
بمواقفته ، فإنه يكون قد جمع إلى المعصية معصية أخرى ، وهي الاستخفاف بقدر تلك
المعصية التي لو أمِنَ النَّظَرُ أَعْلَمَ أنها عظيمة ، ينبغي له لو كان رشيداً أن يَبْكِيَ
عليها الدَّمَّ فَضْلاً عن الدَّمْعِ ، فلماذا قال عليه السلام : « أشدُّ الذُّنُوبِ ما اسْتَخَفَّ
بها صاحبها » .

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا .



البنزح :

تعليمُ العلم فرض كفاية ، وفي الخبر الرفوع « من علم علماً وكتبه أجه الله يوم القيامة بلجام من نار » .

وروى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله قال : « تعلموا العلم فإن تعلمه خشية الله ، ودراسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وطلبه عبادة ، وتعاليمه صدقة ، وبذله لأهله قرربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، وبيان سبيل الجنة ، والنور في الوحشة ، والمحدث في الخلوة ، والجائس في الوحدة ، والصاحب في الغربة ، والدليل على السراء ، والمعين على الضراء ، والزين عند الإخلاء ، والسلاح على الأعداء » .

ورئي وأصل بن عطاء يكتب من صبي حديثاً ، فقيل له : مثلك يكتب من هذا ! فقال : أما إنني أحفظ له منه ، ولكنني أردت أن أذيقه كأس الرياسة ، ليدعوه ذلك إلى الازدياد من العلم .

وقال الخليل : العلوم أقتال ، والسؤالات مفاتيحها .

وقال بعضهم : كان أهل العلم يضنون بعلمهم عن أهل الدنيا فيرغبون فيه ويبدلون لهم دنياهم ، واليوم قد بذل أهل العلم علمهم لأهل الدنيا فزهدوا فيه وضنوا عنهم بدنياهم .

وقال بعضهم : ابذل علمك لمن يطلبه ، وادع إليه من لا يطلبه ، وإلا كان مثلك كمن أهديت له فاكهة فلم يَطعمها ولم يُطعمها حتى فسدت .



مرکز تحقیقات و کتاب پزیر علوم اسلامی

الأفضل :

وقال عليه السلام :

شَرُّ الإِخْوَانِ مَنْ تَكَلَّفَ لَهُ .

الشرح :

إنما كان كذلك لأن الإخاء الصادق بينهما يوجب الانبساط ، وترك التكلف ، فإذا احتيج إلى التكلف له فقد دل ذلك على أن ليس هناك إخاء صادق ، ومن ليس بأخ صادق فهو من شر الإخوان .

وروى ابن ناقياً في كتاب « ملح للمالحة » ، قال : دخل الحسن بن سهل على المأمون ، فقال له : كيف علمك بالمروءة ؟ قال : ما أعلم ما يريد أمير المؤمنين فأجيبه ؟ قال : عليك بعمر بن مسعدة ، قال : فوأنيتُ عمرأ وفي داره صنّاع ، وهو جالس على آجرة ينظر إليهم ، فقلت : إن أمير المؤمنين بأمرك أن تعلمني المروءة ، فدعا بآجرة فأجلسني عليها ، وتحدثنا ملياً ، وقد امتلأت غيظاً من تقصيره بي ، ثم قال : يا غلام عندك شيء يؤكل ؟ فقال : نعم ، فقدم طبقاً لطيفاً ، عليه رغيفان وثلاث سكرجات ، في إحداهن خل ، وفي الأخرى سرى ، وفي الأخرى ملح ، فأكلنا ، وجاء القراش فوضأنا ، ثم قال : إذا شئت ! فنهضت متحفظاً ، ولم أودعه ، فقال لي : إن رأيت أن تعود إلي في يوم مثله ! فلم أذكر للمأمون شيئاً مما جرى ، فلما كان في اليوم الذي وعدني فيه لقياه

سرت إليه فاستؤذن لي عليه ، فتلقاني على باب الدار ، فعاتقني ، وقبل بين عيني ، وقد منى أمامه ، ومشى خلفي حتى أقعدني في الدتست ، وجلس بين يدي ، وقد فرشت الدار ، وزينت بأنواع الزينة ، وأقبل يمد يدي ويتنادر معي إلى أن حضر وقت الطعام ، فأمر فقدمات أطباق الفاكهة ، فأصبنا منها ، ونصبت الموائد ، فقدم عليها أنواع الأطعمة من حارها وباردها ، وحلوها وحامضها ، ثم قال : أي الشراب أعجب إليك ؟ فاقترحت عليه ، وحضر الوصائف للخدمة ، فلما أردت الانصراف حُل معي جميع ما أحضر من ذهب وفضة وفرش وكسوة ، وقدم إلى البساط فرش بمركب ثقيل ، فركبته وأمر من بحضرته من الفلمسان الروم والوصائف حتى سمعوا بين يدي ، وقال : عليك بهم فهم لك . ثم قال : إذا زارك أخوك فلا تشكف له ، واقتصر على ما يحضرك ، وإذا دعوته فاحتفل به واحتشد ، ولا تدعن ممكنا ، كفعلنا إياك عند زيارتك إيانا ، وفعلنا يوم دعوناك .

الأفضل :

وقال عليه السلام في كلام له :

إِذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ .



الشرح :

ليس يعنى أن الاحتشام علة الفرقة بل هو دلالة وأمانة على الفرقة ، لأن لو لم يحدث عنه ما يقتضى الاحتشام لا تبط على عادته الأولى ، فلا تلبس أمانة المباشرة .

هذا آخر ما دونه الرضى أبو الحسن رحمه الله من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في « نهج البلاغة » ، قد أتينا على شرحه بمعونة الله تعالى .

ونحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضى مما نسب قوم إليه ، فبعضه مشهور عنه ، وبعضه ليس بذلك المشهور ؛ لكنه قد روى عنه ، وعزى إليه ، وبعضه من كلام غيره من الحكماء ؛ ولكنه كالنظير لكلامه ، والمضارع لحكمته ؛ ولما كان ذلك متضمنا فتونا من الحكمة نافعة ؛ رأينا ألا نخفى هذا الكتاب عنه ؛ لأنه كالسكلة والتممة لكتاب « نهج البلاغة » .

وربما وقع في بعضه تكرار يسير شذ عن أذهاننا التنبه له ، لطول الكتاب
وتباعد أطرافه ، وقد عددنا ذلك كلمة كلمة ، فوجدناه ألف كلمة .

فإن اعترضنا معترض وقال : فإذا كنتم قد أقررتم بأن بعضها ليس بكلام له ؛ فلماذا
ذكرتموه ، وهل ذلك إلا نوع من التطويل ١ .

أجبناه وقلنا : لو كان هذا الاعتراض لازماً لوجب ألا تذكر شيئاً من الأشباه والنظائر
لكلامه ، فالعذر هنا هو العذر هناك ، وهو أن الغرض بالكتاب الأدب والحكمة ؛
فإذا وجدنا ما يناسب كلامه عليه السلام ، وينصب في قلبه ويحتذى حدوه ، ويتقبل
منهاجه ، ذكرناه على قاعدتنا في ذكر النظم عند الخوض في شرح نظيره .

وهذا حين السروع فيها خالية عن الشرح لجلائها ووضوحها ، وإن أكثرها قد
سبقت نظائره وأمثاله ، وبالله التوفيق .





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب

١ — كان كثيراً ما يقول إذا فرغ من صلاة الليل : أشهد أن السموات والأرض وما بينهما آيات تدلّ عليك ، وشواهد تشهد بما إليه دعوت . كلّ ما يؤدّي عنك الحجّة ، ويشهد لك بالربوبية موسوم بآثار نعمتك ومعالم تديبرك . علوت بها عن خلقك ، فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر ، وكفاها رجم الاحتجاج ؛ فهي مع معرفتها بك ، وولها إليك ؛ شاهدة بأنك لا تأخذك الأوهام ، ولا تدركك العقول ولا الأبصار . أعوذ بك أن أشير بقلبي أو لسان أو يد إلى غيرك ؛ لا إله إلا أنت ، واحداً أحداً ، فرداً صمداً ، ونحن لك مسلمون .

٢ — إلهي ، كفاني غمراً أن تكون لي ربّاً ، وكفاني عزّاً أن أكون لك عبداً ؛ أنت كما أريد ، فأجعلني كما تريد .

٣ — ما خاف امرؤ عدل في حكمه ، وأطمع من قوته ، وذخّر من دنياه لآخرته .

٤ — أفضّل على من شئت تكن أميره ، واستغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره .

٥ — لولا ضعفُ اليقين ما كان لنا أن نشكو محنةً يسيرةً نرجو في العاجل سرعة زوالها ، وفي الآجل عظيم ثوابها ، بين أضعاف نعم لو اجتمع أهل السموات والأرض على إحصائها ما وفوا بها فضلاً عن القيام بشكرها .

٦ — من علامات المأمون على دين الله بمد الإقرار والعمل ، الحزم في أمره ، والصدق في قوله ، والعدل في حكمه ، والشفقة على رعيته ، لا تخرجه القدرة إلى خرق^(١) ، ولا اللين إلى ضعف ، ولا تمنعه العزّة من كرم عفو ، ولا يدعوه العفو

(١) الخرق : ضد الرفق ، وألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور .

إلى إضاعة حق ، ولا يدخله الإعطاء في سرف ، ولا يتخطى به القصد^(١) إلى مجل ، ولا تأخذه نعم الله ببطر .

٧ — القسق نجاسة في الحمة ، وكلب في الطبيعة^(٢) .

٨ — قلوب الجهال تستقرها^(٣) الأطماع ، وترتهن بالأمانى ، وتتعلق بالخدائع . وكثرة الصمت زمام اللسان ، وحسم^(٤) الفطنة ، وإمالة الخاطر^(٥) ، وعذاب الحس .

٩ — عداوة الضعفاء للأقوياء ، والسفهاء للعلماء ، والأشرار للأخيار ، طبع لا يستطيع تغييره .

١٠ — العقل في القلب ، والرحمة في الكبد ، والتنفس في الرئة .

١١ — إذا أراد الله بعد خيراً حال بينه وبين شهوته ، وحجز بينه وبين قلبه ، وإذا أراد به شراً وكله إلى نفسه .

١٢ — الصبر مطية لا تكبو ، والقناعة سيف لا ينبو .

١٣ — رحم الله عبداً اتقى ربه ، وناصح نفسه ، وقدم توبته ، وغلب شهوته ؛ فإن أجله مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكل به .

١٤ — مرة بمقبرة فقال : السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة ، والحال المفرة^(٦) ؛ من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، أنتم لنا فرط^(٧) ، ونحن لكم تبع^(٨) . نزوركم عما قليل ، ونلحق بكم بعد زمان قصير . اللهم اغفر لنا ولم ، ونجاوز عنا وعنهم .

(١) القصد : أمر بين الإفراط والتفريط . (٢) الطبع والطبيعة : السجية .

(٣) استقرها واستخفه : أخرجه عن دائرة الحزم وضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة .

(٤) الحسم : القطع ، والفطنة : الذكاء ، وحدة الفهم .

(٥) إمالة الخاطر ، الإمالة : الإبعاد والإزالة ، والخاطر : ما يخطر بالبال من التفكرات .

(٦) أقفر المكان : خلا .

(٧) فرط القوم يفرطهم ، تقدمهم إلى الورد ، والفرط بالتحريك : التقدم إلى الماء .

(٨) التبعية : التابع .

الحمد لله الذي جعل الأرض كِفَاتًا ، أحياء وأمواتاً^(١) . والحمد لله الذي منها خَلَقْنَا ، وعليها
ممشانا ، وفيها معاشنا ، وإليها يُعِيدُنَا . طوبى لمن ذكر المعاد ، وقنع بالكفاف ،
وأعدّ للحساب !

١٥ — إنكم مخلوقون اقتداراً ، ومربوبون اقتساراً^(٢) ، ومضمّنون أجداناً^(٣) ، وكائنون
رُفَاتاً^(٤) ، وميموثون أفراداً ، ومدينون نصاباً . فرحم الله امرأً اقترف فاعترف ، ووجل
فمقل ، وحاذر^(٥) فبادر ، وعمر فاعتبر ، وحذر فازدجر ؛ وأجاب فأجاب ، وراجع فتاب
واقتدى فاحتذى^(٦) ، وتأهب للمعاد ، واستظهر بالزاد ؛ ليوم رحيله ، ووجه سبيله والحال
حاجته ، وموطن فاقته ، فقدم أمامه لدار مقامه ؛ فهدّوا لأنفسكم على سلامة الأبدان
وفسحة الأعمار . فهل ينتظر أهلُ غضارة^(٧) الشباب إلا حوائى الهرم ، وأهلُ بضاعة
الصحة إلا نوازل السقم ، وأهل مدة البقاء إلا مفاجأة الفناء واقتراب الموت ، ومشاركة
الانتقال ، وإشفاء الزوال ؛ وحفّز الأنين^(٨) ورشح الجبين ، وامتداد العرينين^(٩) ، وعكاز
العلق^(١٠) ، وقبّط الرّمق^(١١) وشدة المضض ، وغصص الجرض^(١٢) .

١٦ — ثلاث منجيات : خشية الله في السرّ والعلانية ، والقصد في الفقر والغنى ،
والعدل في الغضب والرضا .

(١) قوله : « كِفَاتًا أحياء وأمواتاً » ؛ أي جعل الأرض بجمعاً لنا في حياتنا ومماتنا ، الكفاة بالكسر :
الموضع يكفت فيه الشيء ، أي يضم ويجمع ، والأرض كفات لنا .

(٢) فسرّه : قهره . (٣) الحفز : الحث والإججال .

(٤) رفاتاً ، رفته : كسره ودقه ، والرفات : الخظام . (٥) الحذر : الاحتراز .

(٦) د : « اهتمدى » .

(٧) الغضارة : النعمة والسعة والخصب . (٨) الحفز : الحث والإججال .

(٩) العرينين : الأنثى ، فإنه يمتد عند الموت . (١٠) العكز : القلق والحقة .

(١١) القبط بالكاف : شدة الحر ، وبالفاء : الموت . والرّمق : بقية الحياة .

(١٢) الغصة : ما اعترض في الحلق ، والجرص : الرين .

- ١٧ — إياكم والفُحش ؛ فإنَّ الله لا يحبُّ الفُحشَ ، وإياكم والشَّحَّ فإنه أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ؛ هو الَّذي سَفَكَ دَماءَ الرِّجَالِ ، وهو الَّذي قَطَعَ أَرْحَامَهَا ، فَاجْتَنِبُوهُ .
- ١٨ — إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، وَعِلْمٍ كَانَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَاذْتَمَعُوا بِهِ ، وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ .
- ١٩ — إِذَا فَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ فَكُنْ كَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا .
- ٢٠ — سَأَلَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : بِمَاذَا أَسْوَأُ عَدُوِّي ؟ فَقَالَ : بَأَنْ تَكُونَ عَلَى غَايَةِ الْفَضَائِلِ ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ يَسُوؤُهُ أَنْ يَكُونَ لَكَ فَرَسٌ قَارَةٌ ، أَوْ كَلْبٌ صَيُودٌ ؛ فَهُوَ لِأَنَّ تَذَكَّرَ بِالْجَلِيلِ وَيَنْسَبُ إِلَيْكَ أَشَدَّ مَسَاءَةً .
- ٢١ — إِذَا قُذِفَتْ بِشَيْءٍ فَلَا تَهَاجِرْ بِهِ وَإِنْ كَانَ كَذِبًا ، بَلْ تَحَوِّزْ مِنْ طَرَفِ الْقَذْفِ جُهِدَكَ ؛ فَإِنَّ الْقَوْلَ وَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ يَوْجِبُ رِيَةً وَشُكَّا .
- ٢٢ — عَدَمُ الْأَدَبِ سَبَبُ كُلِّ شَرٍّ .
- ٢٣ — الْجَهْلُ بِالْفَضَائِلِ عَدْلُ الْمَوْتِ .
- ٢٤ — مَا أَصْعَبَ عَلَى مَنْ اسْتَعْبَدَتْهُ الشَّهَوَاتُ أَنْ يَكُونَ فَاضِلًا !
- ٢٥ — مَنْ لَمْ يَقهرْ حَسَدَهُ كَانَ جَسَدُهُ قَبْرًا لِنَفْسِهِ .
- ٢٦ — أَحَدٌ مِنْ يَخْلُظُ عَلَيْكَ وَيَعْظُكَ ، لَأَمِنْ بَرَكَتِكَ وَيَتَمَلَّقُكَ .
- ٢٧ — اخْتَرِ أَنْ تَكُونَ مَغْلُوبًا وَأَنْتَ مُنْصِفٌ ، وَلَا تَخْخَرِ أَنْ تَكُونَ غَالِبًا وَأَنْتَ ظَالِمٌ .
- ٢٨ — لَا تَهْضِمَنَّ مَحَاسِنَكَ بِالْفَخْرِ وَالتَّكَبُّرِ .
- ٢٩ — لَا تَنْفِكْ الْمَدَنِيَّةَ مِنْ شَرٍّ ؛ حَتَّى يَجْتَمَعَ مَعَ قُوَّةِ السَّاطِطَانِ قُوَّةُ دِينِهِ وَقُوَّةُ حِكْمَتِهِ .

- ٣٠ — إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُحَمَّدَ فَلَا يَظْهَرُ مِنْكَ حِرْصٌ عَلَى الْحَمْدِ .
- ٣١ — مَنْ كَثُرَ هَمُّهُ سَقَمَ بَدَنُهُ ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسُهُ ، وَمَنْ لَاحَى الرِّجَالَ سَقَطَتِ مَرْوَتُهُ ، وَذَهَبَتْ كِرَامَتُهُ ؛ وَأَفْضَلُ إِيمَانِ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ .
- ٣٢ — كُنْ وَرِعًا تَسْكُنُ مِنْ أَعْبَادِ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ جَوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلَا تَكْثُرَنَّ الضِّحْكُ ؛ فَإِنَّ كَثْرَتَهُ تَمِيتُ الْقَلْبَ ، وَأُخْرَسَ لِسَانُكَ ، وَاجْلِسْ فِي يَتِّكَ ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ .
- ٣٣ — إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحَرِّمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ بِصِيبِهِ ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدْرَ إِلَّا الدُّعَاءُ ؛ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرَّ ، وَلَا يَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَتَحَمَّلَ عَمَلٍ فِيمَ عَمِلَ !
- ٣٤ — فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ ، وَالْإِعْتِبَارُ يَفِيدُكَ الرِّشَادَ ، وَكَفَاكَ أَدَبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَعَلَيْكَ لِأَخِيكَ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِ لَكَ .
- ٣٥ — الْغَضَبُ يُثِيرُ كَامِنَ الْحَقِّدِ ، وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ لَمْ يُغْفَلِ الْإِسْتِعْدَادُ ، وَمَنْ أَمْسَكَ عَنِ الْفُضُولِ عَدَلَتْ رَأْيُهُ الْعُقُولَ .
- ٣٦ — اسْكُتْ وَاسْتَرِ تَسْلَمْ . وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ يَزِينُهُ الْعَمَلُ ، وَمَا أَحْسَنَ الْعَمَلَ يَزِينُهُ الرِّفْقُ !
- ٣٧ — أَكْبَرُ الْفَخْرِ أَلَّا تَفْخَرَ .
- ٣٨ — مَا أَصْعَبَ اكْتِسَابَ الْفَضَائِلِ وَأَيْسَرَ إِتْلَافِهَا !
- ٣٩ — لَا تَنَازِعْ جَاهِلًا ، وَلَا تَشَايِعْ مَائِقًا^(١) ، وَلَا تَعَادِ مَسْلُطًا .
- ٤٠ — الْمَوْتُ رَاحَةٌ لِلشَّيْخِ الْفَافِي مِنَ الْعَمَلِ ، وَلِلشَّابِّ السَّقِيمِ مِنَ السَّقَمِ ، وَلِلْفَلَامِ^(٢)

الناشيء من استقبال السكدة والجمع لغيره ، ولمن ركبته^(١) الدين لغرمائه ، والمطلوب بالوتر ، وهو في جملة الأمر أمنية كل ملهوف مجهود .

٤١ — ما كنت كاتبه عدوك من سرّ ، فلا تطلعن عليه صديقك . واعرف قدرك يستعل أمرك ، وكفى ما مضى مخبرا عما بقي !

٤٢ — لا تعدن عِدَّةً تحقرها قلة الثقة بنفسك ، ولا يفرئك المرتقى السهل إذا كان المنعذر وغراً .

٤٣ — اتقِ المواقب علماً بأنّ للأعمال جزاء وأجراً ، واحذر تبعات الأمور بتقديم الحزم فيها .

٤٤ — من استرشد غير العقل أخطأ منهاج الرأى ، ومن أخطأته وجوه المطالب خذله الحيل ، ومن أخل بالصبر أخل به حسن العاقبة ؛ فإنّ الصبر قوة من قوى العقل ؛ وبقدر مواد العقل وقوتها يقوى الصبر .

٤٥ — الخطأ في إعطاء من لا يبتغى ، ومنع من يبتغى واحد .

٤٦ — المشقّ مرض ليس فيه أجر ولا عوض

٤٧ — أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب ، وقائل كلمة الزور ومن يمدّ بحبلها في الأثم سواء .

٤٨ — الخصومة تحقق الدين .

٤٩ — الجهاد ثلاثة : جهاد باليد ، وجهاد باللسان ، وجهاد بالقلب ؛ فأول ما يغلب عليه من الجهاد يدك ثم لسانك ، ثم يصير إلى القلب ، فإن كان لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا نُكس فجعل أعلاه أسفله .

(١) أي علاه .

٥٠ — ما أنعم الله على عبد نعمة فشكرها بقلبه إلا استوجب المزيد عليها قبل ظهورها على لسانه .

٥١ — الحاجة مسألة ، والدعاء زيادة ، والحمد شكر ، والنَّدَم توبة .

٥٢ — لَنْ واحِلَمْ تَنْبَل^(١) ، وَلَا تَكُنْ معجِبا فتمقت وتمتهن .

٥٣ — مَالِي أَرَى النَّاسَ إِذَا قُرَّبَ إِلَيْهِمُ الطَّعَامُ لِيَلَّا تَكَلَّفُوا إِنْارَةَ الْمَصَابِيحِ لِيَبْصُرُوا مَا يَدْخُلُونَ بَطُونَهُمْ ، وَلَا يَهْتَمُّونَ بِغِذَاءِ النَّفْسِ بَأَن يَنْدِرُوا مَصَابِيحَ أَلْبَابِهِمْ بِالْعِلْمِ لِيَسْلَمُوا مِنْ لَوَاحِقِ الْجَهَالَةِ وَالذُّنُوبِ فِي اعْتِقَادَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ .

٥٤ — الْفَقْرُ هُوَ أَصْلُ حَسَنِ سِيَاسَةِ النَّاسِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مِنْ حُسْنِ السِّيَاسَةِ أَن يَكُونَ بَعْضُ النَّاسِ يَسُوسُ ، وَبَعْضُهُمْ يُسَاسُ ، وَكَانَ مَنْ يُسَاسُ لَا يَسْتَقِيمُ أَن يُسَاسَ مِنْ غَيْرِ أَن يَكُونَ قَبْرًا مَحْتَاجًا ؛ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْفَقْرَ هُوَ السَّبَبُ الَّذِي بِهِ يَقُومُ حَسَنُ السِّيَاسَةِ .

٥٥ — لَا تَتَكَلَّمْ بَيْنَ يَدَيِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ دُونَ أَن تَسْمَعَ كَلَامَهُ^(٢) ، وَتَقِيسَ مَا فِي نَفْسِكَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى مَا فِي نَفْسِهِ ، فَإِنْ وَجَدْتَ مَا فِي نَفْسِهِ أَكْثَرَ ؛ فَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي لَكَ أَن تَرُومَ زِيَادَةَ الشَّيْءِ الَّذِي بِهِ يَفْضُلُ عَلَى مَا عِنْدَكَ .

٥٦ — إِذَا كَانَ اللِّسَانُ آلَةً لَتَرْجُمَةَ مَا يَخْطُرُ فِي النَّفْسِ ؛ فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَن تَسْتَعْمَلَهُ فِيمَا لَمْ يَخْطُرَ فِيهَا .

٥٧ — إِذَا كَانَتِ الْآبَاءُ هُمُ السَّبَبُ فِي الْحَيَاةِ ، فَهَلُمُّوا الْحِكْمَةَ وَالدِّينَ هُمُ السَّبَبُ فِي جُودَتِهَا .

٥٨ — وَشَكَا إِلَيْهِ رَجُلٌ تَعَذَّرَ الرِّزْقُ ، فَقَالَ : مَهْ ، لَا تَجَاهِدِ الرِّزْقَ جِهَادَ الْمَغَالِبِ ، وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى الْقَدَرِ اتِّكَالَ الْمُسْتَكِلِ ؛ فَإِنَّ ابْتِغَاءَ الْفَضْلِ مِنَ السُّقَّةِ ، وَالْإِجْمَالِ فِي

الطلب من العفة ، وليست العفة دافعة رزقاً ، ولا الحرص جالباً فضلاً ؛ لأن الرزق مقسوم ، وفي شدة الحرص اكتساب المآثم .

٥٩ — إذا استغفيت عن شيء فدعه ، وخذ ما أنت محتاج إليه

٦٠ — العمر أقصر من أن تعلم كل ما يحسن بك علمه ؛ فتعلم الأهم فالأهم .

٦١ — مَنْ رَضِيَ بِمَا قُسِمَ لَهُ استراح قلبه وبدنه ^(١) .

٦٢ — أبعد ما يكون العبدُ من الله إذا كان همه بطنه وفرجه .

٦٣ — ليس في الحواس الظاهرة شيء أشرف من العين فلا تعطوها سؤالها ^(٢) ، فيشغلكم عن ذكر الله .

٦٤ — ارحموا ضعفاءكم فالرحمة لهم سبب رحمة الله لكم .

٦٥ — إزالة الجبال أسهل من إزالة دولة قد أقبلت ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء .

٦٦ — قال له عثمان في كلام تلاحياً فيه حتى جرى ذكر أبي بكر وعمر : أبو بكر وعمر خير منك ؛ فقال : أنا خير منك ومنهما ، عبدت الله قبلهما ، وعبدته بعدهما .

٦٧ — أوثق سلم ينسلك ^(٣) عليه إلى الله تعالى أن يكون خيراً .

٦٨ — ليس المومِر مَنْ كان يساره باقياً عنده زماناً يسيراً ، وكان يمكن أن ينقصه ^(٤) غيره منه ، ولا يبقى بعد موته له ؛ لكن اليسار على الحقيقة هو الباقي دائماً عند مالك ، ولا يمكن أن يؤخذ منه ، ويبقى له بعد موته ، وذلك هو الحكمة .

٦٩ — الشرف اعتقاد المن في أعناق الرجال ^(٥) .

(٢) ١ : « سؤالها » . (٣) تسلك الشيء : علاه .

(٥) المن : اصطناع المعروف في أعناق الناس .

(١) د : د نفسه .

(٤) د : د ينقصه .

- ٧٠ — يضرّ الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء: الإفراط في الأكل اتكالا على الصحة، وتكلف حمل مالا يطاق اتكالا على القوة، والتفريط في العمل اتكالا على القدر.
- ٧١ — أحزمُ الناس مَنْ ملكَ جدّه هزاً، وقهر رأيه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يخذعه رضاه عن خطئه، ولا غضبه عن كيده.
- ٧٢ — مَنْ لم يَصْلِحْ خُلُقَه، لم ينفع النَّاسَ تَأْدِيبُه.
- ٧٣ — مَنْ اتَّبَعَ هواه ضلّ، ومن حاد ساد، وخمود الذِّكر أَجَلٌ من ذمِّم الذِّكر^(١).
- ٧٤ — هب الشَّوقُ أخفُّ محملاً من مقاساة الملالة.
- ٧٥ — بالرفق تُنال الحاجة، وبِحُسْنِ التَّأَنِّي تسهل المطالب.
- ٧٦ — بعزيمة الصَّبر تطفأ نارُ الهوى، وببنى العجب يؤمن كيد الحساد.
- ٧٧ — ماشيء أحقُّ بطولٍ سيِّئٍ من لسان.
- ٧٨ — لا نذر في معصية، ولا عمن في قطيعة.
- ٧٩ — لكلِّ شيء ثمرة، وثمرّة المعروف تعجيل السَّراح.
- ٨٠ — إيتاكم والكسل؛ فإنّه من كسل لم يؤدِّ الله حقاً.
- ٨١ — احسبوا كلامكم من أعمالكم، وأقلّوه إلّا في الخير.
- ٨٢ — أحسنوا صحبة النِّعم فإنّها تزول، وتشهد على صاحبها بما عمل فيها.
- ٨٣ — أكثروا ذكر الموت، ويوم خروجكم من قبوركم، ويوم وقوفكم بين يدي الله عزّ وجلّ، يهنّ عليكم المصاب^(٢).

(١) د: «الفكر».

(٢) أى تعجيل سراح طالب المعروف، وهو قضاء حاجته، وورد في الأثر: خير البر عاجله.

(٣) د: «تهن عليكم المصاب».

٨٤ — بحسب مجاهدة النفوس وردّها عن شهواتها ومنعها عن مصالحة (٢) لذاتها ومنع ما أدّت إليه العيون الطامحة من لحظاتها تكون الثوبات والعقوبات ؛ والحازم من ملك هواه ؛ فكان يملكه له قاهراً ؛ ولما قدّحت الأفكار من سوء الظنون زاجراً ؛ فحتى لم تُردّ النفس عن ذلك هجم عليها الفكر بمطالبة ما شغفت (٣) به ، فعند ذلك تأنس بالآراء الفاسدة ، والأطماع الكاذبة ، والأمانى المتلاشية ؛ وكما أن البصر إذا اعتل (٤) رأى أشباحاً وخيالات لا حقيقة لها ؛ كذلك النفس إذا اعتلت بحب الشهوات وانطوت على قبيح الإرادات ، رأت الآراء الكاذبة ؛ فإلى الله سبحانه ترغّب في إصلاح ما فسد من قلوبنا ، وبه نستعين على إرشاد نفوسنا ؛ فإن القلوب بيده يُصرفها كيف شاء (٥) .

٨٥ — لا تؤاخذن الفاجر ؛ فإنه يزبّن لك فعله ، ويودّ لو أنك مثله ؛ ويحسن لك أقبح خصاله ، ومدخله ومخرجه من عندك شينٌ وعار ونقص ؛ ولا الأحقّ فإنه يحمّد لك نفسه ولا ينفعك ؛ وربما أراد أن ينفعك فضرّك ؛ سكوتُه خيرٌ لك من نطقه ، وبعده خيرٌ لك من قربه ، وموته خيرٌ لك من حياته ؛ ولا الكذاب فإنه لا ينفعك معه شيء ؛ ينقل حديثك ، وينقل الحديث إليك ؛ حتى إنه ليحدث بالصدق فلا يصدق .

٨٦ — ما استقصى كريم قطّ ، قال تعالى في وصف نبيه : ﴿ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ (٥) .

٨٧ — ربّ كلمةٍ يخترعها حليم مخافة ما هو شرٌّ منها ، وكفى بالحلم ناصراً .

٨٨ — من جمع ستّ خصال لم يدع للجنة مطلباً ، ولا عن النار مهرباً : من عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فمضاه ، وعرف الحقّ فاتبعه ، وعرف الباطل فانتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها .

(٢) شغفت : رغبت وأغرمت .

(٤) ب : « كيفما شاء » .

(١) ب : « مصالحة » .

(٣) اعتل : أصابته العلة .

(٥) سورة التحريم : ٣ .

٨٩ — مَنْ اسْتَحْيَا مِنَ النَّاسِ وَلَمْ يَسْتَحْيِ مِنْ نَفْسِهِ فَلَيْسَ لِنَفْسِهِ جُنْدٌ نَفْسَهُ قُدْرَ .

٩٠ — غَايَةُ الْأَدَبِ أَنْ يَسْتَحْيِيَ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ .

٩١ — الْبَلَاغَةُ النَّصْرُ بِالْحُجَّةِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاضِعِ الْفُرْصَةِ ، وَمِنْ الْبَصَرِ ^(١) بِالْحُجَّةِ أَنْ تَدْعَ الْإِفْصَاحَ بِهَا إِلَى الْكُنْيَةِ عَنْهَا إِذَا كَانَ الْإِفْصَاحُ أَوْعَرَ طَرِيقَةً ، وَكَانَتِ الْكُنْيَةُ أَبْلَغَ فِي الدَّرَكِ وَأَحَقَّ بِالظَّفَرِ .

٩٢ — إِيَّاكَ وَالشَّهَوَاتِ ؛ وَلَيْكُنْ مِمَّا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى كَفِّهَا عَلَيْكَ بِأَنَّهَا مَاهِيَةٌ لِعَقْلِكَ ، مَهْجَنَةٌ ^(٢) لِرَأْيِكَ ، شَائِنَةٌ لِعَرْضِكَ ، شَاغِلَةٌ لَكَ عَنْ مَعَاطِمِ أُمُورِكَ ، مُشْتَدَّةٌ بِهَا التَّبَعَةُ عَلَيْكَ فِي آخِرَتِكَ . إِنَّمَا الشَّهَوَاتُ لَعِبٌ ؛ فَإِذَا حَضَرَ اللَّعِبُ غَابَ الْجِدُّ ، وَلَنْ يَقَامَ الدِّينُ وَتَصَالِحَ الدُّنْيَا إِلَّا بِالْجِدِّ ؛ فَإِذَا ^(٣) نَارَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى اللَّهْوِ وَاللَّذَاتِ ، فَاعْلَمْ أَنَّهَا قَدْ نَزَعَتْ بِكَ إِلَى شَرٍّ مَنْزَعٍ ، وَأَرَادَتْ بِكَ أَفْضَحَ الْفَضُوحِ ؛ فَغَالِبِهَا مَغَالِبَةً ذَلِكَ ، وَامْتَنِعْ مِنْهَا امْتِنَاعَ ذَلِكَ ؛ وَلَيْكُنْ مَرْجِعُكَ مِنْهَا إِلَى الْحَقِّ ؛ فَإِنَّكَ مِمَّا تَتْرُكُ مِنَ الْحَقِّ لَا تَتْرُكُهُ إِلَّا إِلَى الْبَاطِلِ ، وَمِمَّا تَدْعُ مِنَ الصَّوَابِ لَا تَدْعُهُ إِلَّا إِلَى الْخَطَا ؛ فَلَا تَدَاهِنَنَّ هَوَاكَ فِي الْيَسِيرِ فَيَطْمَعُ مِنْكَ فِي الْكَثِيرِ .

وَلَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا أُوتِيَتْ فَاضِلًا عَمَّا يَصْلَحُكَ ؛ وَلَيْسَ لِعُمُرِكَ وَإِنْ طَالَ فَضْلٌ عَمَّا يَنْوِبُكَ مِنَ الْحَقِّ الْإِلَازِمُ لَكَ ، وَلَا بِمَالِكَ وَإِنْ كَثُرَ فَضْلٌ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْكَ فِيهِ ، وَلَا بِقُوَّتِكَ وَإِنْ تَمَّتْ فَضْلٌ عَنْ أَدَاءِ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَلَا بِرَأْيِكَ وَإِنْ حَزَمَ فَضْلٌ عَمَّا لَا تُعْذَرُ بِالْخَطَا فِيهِ ؛ فَلْيَمْنَعَنَّكَ عِلْمُكَ بِذَلِكَ مِنْ أَنْ تُطِيلَ لَكَ عَمْرًا فِي غَيْرِ نَفْعٍ ، أَوْ تُضَيِّعَ لَكَ مَالًا فِي غَيْرِ حَقٍّ ، أَوْ أَنْ تُصْرِفَ لَكَ قُوَّةً فِي غَيْرِ عِبَادَةٍ ، أَوْ تُعَدِّلَ لَكَ رَأْيًا فِي غَيْرِ رَشْدٍ .

(١) كَذَا فِي د ، وَفِي أ ، ب : « النَّصْر » تَحْرِيفٌ .

(٢) مَهْجَنَةٌ : مُقْبِحَةٌ . (٣) د : « وَإِنْ » ؛

فالحفظ الحفظ لما أوتيت ، فإن بك إلى صغير ما أوتيت الكثير منه أشد الحاجة .

وعليك بما أضعت منه أشد الرزية ؛ ولا سيما العمر الذي كل منفذٍ سواء مستخلف . وكلّ ذاهب بعده مرجع .

فإن كنت شاغلا نفسك بلذة فلتكن الذك في محادثة العلماء ودرس كتبهم ، فإنه ليس سرورك بالشّهوات بالغاً منك مبالغاً إلا وإكبابك على ذلك ، ونظرك فيه بالغاً منك ، غير أن ذلك يجمعُ إلى عاجل السُّرور تمام السعادة ، وخلاف ذلك يجمع إلى عاجل النّوى وخامة العاقبة ؛ وقد يما قيل : أسمعُ الناس أدركهم لهواه إذا كان هواه في رشده ؛ فإذا كان هواه في غير رشده . فقد شقي بما أدرك منه . وقد يما قيل : عودُ نفسك الجميل ؛ فباعتيادك إياه يعود للدين .

٩٣ — وَكُلُّ ثَلَاثٍ ثَلَاثٌ : الرزق بالحق ، والحرمان بالعقل ، والبلاء بالمنطق .
ليعلم ابنُ آدم أن ليس له من الأمر شيء .

٩٤ — ثَلَاثَةٌ إِنْ لَمْ تَظْلَمْهُمْ ظَلَمُوكَ : عبدك ، وزوجتك ، وابنتك .
وقد روينا هذه الكلمة لعمر فيما تقدم ^(١) .

٩٥ — للمناققين علامات يعرفون بها : تحييتهم لعنة ، وطعامهم شهمة ، وغنيمتهم غلول ، لا يعرفون المساجد إلا هجراً ، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً ^(٢) ؛ مستكبرون لا يلقون ولا يؤلقون ، خُشبٌ بالليل ، صُخَبٌ ^(٣) بالنهار .

(١) ١ : « قلنا » . (٢) دبراً ، أي في آخر وقتها .

(٣) في اللسان : وفي الحديث في ذكر المناققين « خُشبٌ بالليل ، صُخَبٌ بالنهار ؛ أراد أنهم ينامون كأنهم خشب مطرحة » .

٩٦ — الْحَسَدَ حُزْنٌ لَازِمٌ ، وَعَقْلٌ هَانٌ ، وَنَفْسٌ دَائِمٌ ؛ وَالتَّعَمُّعُ عَلَى الْمَحْشُورِ نِعْمَةٌ ، وَهِيَ عَلَى الْحَاسِدِ نِقْمَةٌ .

٩٧ — يَأْتِمِلَةُ الْعِلْمُ ، أَتَحْمِلُونَهُ ! فَإِنَّمَا الْعِلْمُ لِمَنْ عِلِمٌ ثُمَّ عَمَلٌ ؛ وَوَافَقَ عَمَلُهُ عِلْمَهُ ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ ، لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، تَخَالَفَ سِرِّيَّتِهِمْ عَلَانِيَتِهِمْ ، وَيَخَالَفَ عَمَلُهُمْ عِلْمَهُمْ ، يَقْعِدُونَ حَقًّا ، فَيَبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ؛ حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ ؛ أَوْلَئِكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

٩٨ — تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ صِغَارًا تَسُودُوا بِهِ كِبَارًا ؛ تَعْلَمُوا الْعِلْمَ وَلَوْ لَغَيَّرَ اللَّهُ ؛ فَإِنَّهُ سَيَصِيرُ اللَّهُ . الْعِلْمَ ذِكْرًا لَا يَحِبُّهُ إِلَّا ذِكْرٌ مِنَ الرِّجَالِ .

٩٩ — لَيْسَ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْ عَقْلِ زَانَةٍ عِلْمٌ ، وَمِنْ عِلْمِ زَانَةٍ حِلْمٌ ، وَمِنْ حِلْمِ زَانَةٍ صِدْقٌ ، وَمِنْ صِدْقِ زَانَةٍ رَفْقٌ ، وَمِنْ رَفْقِ زَانَةٍ بَقْوَى . إِنْ مَلَكَ الْعَقْلُ وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ صَوْنُ الْعِرْضِ ، وَالْجِزَاءُ بِالْفَرْضِ ، وَالْأَخْذُ بِالْفَضْلِ ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ ، وَالْإِنْجَازُ لِلْوَعْدِ . وَمَنْ حَاوَلَ أَمْرًا بِالْمَعْصِيَةِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى مَا يَخَافُ ، وَأَبْعَدَ مِمَّا يَرْجُو .

١٠٠ — إِذَا جَرَّتِ الْقَادِرُ بِالْمَكَارِهِ سَبَقَتِ الْآفَةُ إِلَى الْعَقْلِ فَخَيَّرَتْهُ ، وَأَطْلَقَتْ الْأَلْسُنَ بِمَا فِيهِ تَلَفَ الْأَنْفُسُ .

١٠١ — لَا تَصْحَبُوا الْأَشْرَارَ فَإِنَّهُمْ يَمْنُونُ بِمَلِكِكُمْ بِالسَّلَامَةِ مِنْهُمْ .

١٠٢ — لَا تَقْسِرُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى آدَابِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لِزَمَانٍ غَيْرِ زَمَانِكُمْ .

١٠٣ — لَا تَطْلُبْ سُرْعَةَ الْعَمَلِ وَاطْلُبْ تَجْوِيدَهُ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَسْأَلُونَ فِي كَمِّ فَرَاغٍ

مِنَ الْعَمَلِ ، إِنَّمَا يَسْأَلُونَ عَنِ جُودَةِ صَنْعَتِهِ .

١٠٤ — لَيْسَ كُلُّ ذِي عَيْنٍ يُبْصِرُ ، وَلَا كُلُّ ذِي أُذُنٍ يَسْمَعُ ، فَتَصَدَّقُوا عَلَى أَوْلَى

الْعُقُولِ الزَّمِينَةِ^(١) ، وَالْأَلْبَابِ الْخَائِثَةِ ؛ بِالْعُلُومِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ صَدَقَاتِكُمْ ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

(١) الزماعة : العاهة .

يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ^(١) .

١٠٥ — مَنْ أَتَتْ عَلَيْهِ الْأَرْبَعُونَ مِنَ السَّنِينَ قِيلَ لَهُ : خُذْ حَذْرَكَ مِنْ حُلُولِ الْقُدُورِ فَإِنَّكَ غَيْرُ مَعْدُورٍ ، وَلَيْسَ أَبْنَاءُ الْأَرْبَعِينَ بِأَحَقَّ بِالْحَذَرِ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَشْرِينَ ؛ فَإِنْ طَالَبَهُمَا وَاحِدٌ ، وَلَيْسَ عَنِ الطَّلَبِ بِرَاقِدٍ ؛ وَهُوَ الْمَوْتُ ؛ فاعْمَلْ لِمَا أَمَّاكَ مِنَ الْهَوْلِ ، وَدَعْ عَنْكَ زَخْرَفَ الْقَوْلِ .

١٠٦ — سُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ فَقَالَ : أَقْصَرُ أَمْ أَطِيلُ ؟ قِيلَ : بَلْ تُقْصِرُ ، فَقَالَ : جَلَّ اللَّهُ أَنْ يُرِيدَ الْفَحْشَاءَ ، وَعَزَّ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الْمُلْكِ إِلَّا مَا يَشَاءُ .

١٠٧ — مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَفَارِقُ الْأَخْيَابَ ، وَيَسْكُنُ التُّرَابَ ، وَيُوَاجِهُ الْحِسَابَ ، وَيَسْتَفْتِي عَمَّا تَرَكَ ، وَيَفْتَقِرُ إِلَى مَا قَدَّمَ ، كَانَ حَرِيصًا بِقُصْرِ الْأَمَلِ ، وَطَوَّلَ الْعَمَلَ .

١٠٨ — الْمُؤْمِنُ لَا تَحْتَلُهُ كَثْرَةُ الْمَصَائِبِ ، وَتَوَاتُرُ النَّوَائِبِ عَنِ التَّسْلِيمِ لِرَبِّهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ ، كَالْحَمَامَةِ الَّتِي تُوَخِّذُ فِرَاحَهَا مِنْ وَكْرِهَا ثُمَّ تَعُودُ إِلَيْهِ .

١٠٩ — مَمَامَاتَ مَنْ أَحْيَا عِلْمًا ، وَلَا افْتَقَرَ مَنْ مَلَكَ قَهْمًا .

١١٠ — الْعِلْمُ صَنِيعُ النَّفْسِ ، وَلَيْسَ يَفُوقُ صَنِيعَ الشَّيْءِ حَتَّى يَنْظُفَ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ .

١١١ — اعْلَمْ أَنَّ الَّذِي مَدَحَكَ بِمَا لَيْسَ فَيْكَ ، إِنَّمَا هُوَ مُخَاطَبٌ غَيْرَكَ ، وَثَوَابُهُ وَجَزَاؤُهُ قَدْ سَقَطَا عَنْكَ .

١١٢ — إِحْسَانُكَ إِلَى الْحَرِّ يُحَرِّكُهُ عَلَى الْمَكَافَاةِ ، وَإِحْسَانُكَ إِلَى النَّذْلِ يَبْعَثُهُ عَلَى مُعَاوَدَةِ الْمَسْأَلَةِ .

١١٣ — الأشرار يتتبعون مساوي الناس ، ويتركون محاسنهم ؛ كما يتتبع الذئبُ بابُ المواضع الفاسدة .

١١٤ — موت الرؤساء أسهل من رياسة السفلة .

١١٥ — ينبغي لمن ولي أمر قوم أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيته ؛ وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظلِّ العود قبل أن يستقيم ذلك العود .

١١٦ — إذا قوى الوالي في عمله حرَّ كُنته ولايته على حسب ماهو مركز في طبعه من الخير والشر .

١١٧ — ينبغي للوالي أن يعمل بخصال ثلاث : تأخير العقوبة منه في سلطان الغضب ، والأناة فيما يرثيه^(١) من رأى ، وتعجيل مكافأة المحسن بالإحسان ؛ فإن في تأخير العقوبة إمكان العفو ، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان طاعة الرعية ، وفي الأناة إنفساح الرأي وتخذ العاقبة ووضوح الصواب .

١١٨ — من حق العالم على المتعلم ألا يكتر عليه السؤال ، ولا يعنته في الجواب ، ولا يلمح عليه إذا كسل ، ولا يفشي له سرًا ، ولا يغتاب عنده أحدًا ، ولا يطلب عثرته ، فإذا زل تأثنت أوبته ، وقبلت معذرتة ، وأن تعظمه وتوقره ما حفظ أمر الله وعظمه ، وألا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت غيرك إلى خدمته فيها . ولا تضجر من صحبته ؛ فإنما هو بمنزلة التخلّة ينتظر متى يسقط عليك منها منفعة . وخصه بالتحية ، واحفظ شأهده وغائبه ؛ وليكن ذلك كله لله عز وجل ، فإن العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد في سبيل الله . وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه . وطالب العلم شيعه الملائكة حتى يرجع .

(١) يرثيه ، انفعال من الرأي ، أي فيما يفكر فيه ، وق د : « يرثيه » .

١١٩ — وَضُولٌ مُعَدِّمٌ خَيْرٌ مِنْ جَافٍ ^(١) مُكْثِرٌ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ مَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ مَا لَهُ عِنْدَهُ .

١٢٠ — لَقَدْ سَبَقَ إِلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ أَقْوَامٌ مَا كَانُوا أَكْثَرَ النَّاسِ صَلَاةً وَلَا صِيَامًا وَلَا حَجًّا وَلَا عِتْمَارًا ؛ وَلَكِنْ عَقَلُوا عَنْ اللَّهِ أَمْرَهُ فَخَسِنَتْ طَاعَتُهُمْ ، وَصَبَحَ وَرَعَهُمْ وَكَمَلَ يَقِينُهُمْ ؛ فَنَادَوْا غَيْرُهُمْ بِالْخَطْوَةِ وَرَفِيعِ الْمَنْزِلَةِ .

١٢١ — مِمَّنْ عَبْدٌ إِلَّا وَمَعَهُ مَلَكٌ يَتَّبِعُهُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَاةً وَإِيَاءَةً .

١٢٢ — إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَدَبَ نَبِيِّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٢) ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ تَأَدَّبَ ، قَالَ لَهُ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٣) ، فَلَمَّا اسْتَحْكَمَ لَهُ مِنْ رَسُولِهِ مَا أَحَبَّ قَالَ : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ^(٤) .

١٢٣ — كُنْتُ أَنَا وَالْعَبَّاسُ وَعُمَرُ نَتَذَكَّرُ الْمَعْرُوفَ ، فَقُلْتُ أَنَا : خَيْرُ الْمَعْرُوفِ سِتْرُهُ ، وَقَالَ الْعَبَّاسُ : خَيْرُهُ تَصْنِيفُهُ ، وَقَالَ عُمَرُ : خَيْرُهُ تَعْجِيلُهُ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ : فِيمَ أَنْتُمْ ؟ فَذَكَرْنَا لَهُ ، فَقَالَ : خَيْرُهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ فِيهِ .

١٢٤ — الْعَفْوُ يَفْسِدُ مِنَ اللَّثَمِ بِقَدَرٍ مَا يَصْلَحُ مِنَ الْكَرِيمِ .

١٢٥ — إِذَا خَبِثَ الزَّمَانُ كَسَدَتِ الْفَضَائِلُ وَضُرَّتْ ، وَنَفَقَتِ الرِّذَائِلُ وَنَفَعَتْ ، وَكَانَ خَوْفُ الْمَوْسِرِ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِ الْمَعْسِرِ .

١٢٦ — انْظُرْ إِلَى الْمُتَنَصِّحِ ^(٥) إِلَيْكَ ، فَإِنْ دَخَلَ مِنْ حَيْثُ يُبْصَرُ النَّاسُ فَلَا تَقْبَلْ

(١) الوصول ، فعول ؛ من الصلة ، وهي العطية ، والجاهل ضد الوصول .

(٢) سورة البقرة ٦٧ . (٣) سورة القلم ٤٠ .

(٤) سورة الأعراف ١٩٩ . (٥) التنصيح : التشبه بالنصحاء .

نصيحتته وتحرّز منه ، وإن دخل من حيث العدل والصالح فاقبلها منه .

١٢٧ — أعداء الرجل قد يكونون أنفع من إخوانه ، لأنهم يهدون إليه عيوبه فيتجنبها ويخاف شتماتهم به فيضبط نعمته ويحترز من زوالها بغاية طوقه .

١٢٨ — المرأة التي بنظر الإنسان فيها إلى أخلاقه هي الناس ، لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم ، ومساويه من أعدائه فيهم .

١٢٩ — انظر وجهك كل وقت في المرأة ؛ فإن كان حسناً فاستقبح أن تضيف إليه فعلاً قبيحاً وتشينه به ، وإن كان قبيحاً فاستقبح أن تجمع بين قبيحين .

١٣٠ — موقع الصواب من الجهل مثل موقع الخطأ من العلماء .

١٣١ — ذكّ قلبك بالأدب كما تذكي النار بالحطب .

١٣٢ — كفر النعمة لو لم ، وصحبة الجاهل شوم .

١٣٣ — عادت من ماريت .

١٣٤ — لا نصرم^(١) أخاك على ارتياب ، ولا تقطعه دون استعتاب .

١٣٥ — خير المقال ماصدقه الفعال .

١٣٦ — إذا لم ترزق غنى فلا تحز من تقوى .

١٣٧ — من عرف الدنيا لم يحزن للبلوى .

١٣٨ — دج الكذب نكرهما إن لم تدعه تأثماً .

١٣٩ — الدنيا طواحة طراحة فضاحة ، آسية جراحة .

١٤٠ — الدنيا جمة المصاب ، مرة المشارب ، لا تمتع صاحباً بصاحب .

١٤١ — المعتذر من غير ذنب ، يوجب على نفسه الذنب .

(١) لا نصرم : لا تقطع ، أى لا تهجره لجرد التهمة ، غير متيقن تقصيره .

١٤٢ — من كسل لم يؤدِّ حقًا .

١٤٣ — كثرة الجدال تورث الشك .

١٤٤ — خير القلوب أوعاها .

١٤٥ — الحياء لباس سابغ ، وحجاب مانع ، وستر من المساوى وواق ، وحليف للدين ، وموجب للمحبة ، وعين كاللثة تذود عن الفساد ، وتنهى عن الفحشاء . والمجلة في الأمور مكسبة للمذلة ، وزمام للندامة ، وسلب للمرأة ، وشين للحيجى ؛ ودليل على ضعف العقيدة .

١٤٦ — إذا بلغ المرء من الدنيا فوق قدره تنكرت للناس أخلاقه .

١٤٧ — لا تصحب الشرير فإن طبعك يسرق من طبعه شرًا وأنت لا تعلم .

١٤٨ — موت الصالح راحة لنفسه ، وموت الطالح راحة للناس .

١٤٩ — ينبغي للعاقل أن يتذكر عند حلاوة الغذاء مرارة الدواء .

١٥٠ — إن حسدك أخ من إخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعى في مكروهك فلا تقابله بمثل ما كلفك به ، فتعذر نفسه في الإساءة إليك ، وتشرع له طريقًا إلى ما يحبه فيك ؛ لكن اجتهد في التزييد من تلك الفضيلة التي حسدك عليها ؛ فإذك تسوءه من غير أن توجد حجة عليك .

١٥١ — إذا أردت أن تعرف طبع الرجل فاستشره ، فإنك تقف من مشورته على عدله وجوره ، وخيره وشره .

١٥٢ — يحب عليك أن تشفق على ولدك أكثر من إشفاقه عليك .

١٥٣ — زمان الجائر من السلاطين والولاة أقصر من زمان العادل ، لأن الجائر مفسد ، والعادل مصلح ، وإفساد الشيء أسرع من إصلاحه .

١٥٤ — إذا خدمت رئيساً فلا تلبس مثل ثوبه ، ولا تركب مثل مركوبه ، ولا تستخدم كخدمه ، فمساك تسلم منه .

١٥٥ — لا تحدث بالعلم السفهاء فيكذبوك ، ولا الجبال فيسئقنك ، ولكن حدث به من يتلقاه من أهله بقبول وفهم يفهم عنك ما تقول ، ويحكم عليك ما يسمع ؛ فإن أعليك عليك حقاً ؛ كما أن عليك في مالك حقاً ؛ بذله مستحقه ، ومنعه عن غير مستحقه .

١٥٦ — اليقين فوق الإيمان ، والصبر فوق اليقين ؛ ومن أفرط رجاؤه غابت الأمانى على قلبه واستعبدته .

١٥٧ — إيتاك وصاحب السوء ؛ فإنه كالسيف السلول يروق منظره ، ويصبح أثره .

١٥٨ — وابن آدم ، اخذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تمنى الموت فيها فلا تجده .

١٥٩ — من أخطأه سهم الشبهة قيدته الحرم .

١٦٠ — من سمع بفاحشة فأبداها كان كمن أتاها .

١٦١ — العاقل من أمهم رأيه ولم يثق بما سوائته له نفسه .

١٦٢ — من سامح نفسه فيما يحب أنمها فيما لا يحب .

١٦٣ — كفى ماضي مخبراً بحق ، وكفى عبراً لذوى الألباب ماجراً .

١٦٤ — أمر لا تدرى متى يفشاك ؛ ما يمنعك أن تستعد له قبل

أن يفجأك !

١٦٥ — ليس في البرق الخاطف مُسْتَمْتِعٌ ^(١) لمن يخوض في الظلمة .

١٦٦ — إذا أعجبك ما يتواصفه الناس من محاسنك ، فانظر فيما بطن من مساويك ؛ ولتكن معرفتك بنفسك أوثق عندك من مدح المادحين لك .

١٦٧ — من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راضٍ عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك .

١٦٨ — إذا تشبه صاحب الرأى بالمُخَاصِرِينَ في الهيئة كان مثل الوارم الذي يوم الناس أنه سمين ؛ فيظن الناس ذلك فيه وهو يستر ما يُلْقَى مِنَ الْأَلَمِ النَّابِعِ لِلْوَرَمِ .

١٦٩ — إذا قويت نفس الإنسان انقطع إلى الرأى ، وإذا ضعفت انقطع إلى البخت .

١٧٠ — الرغبة إلى الكريم تحرر كفه على البذل ، وإلى الخسيس تُفْرِيه بِالْمَنَعِ .

١٧١ — خيار الناس يترفعون عن ذكر معائب الناس ، ويهتمون بالخبر بها ، ويأثرون ^(٣) الفضائل ، ويتعصبون لأهلها ، ويستعرضون مآثر الرؤساء ، وإفضالهم عليهم ، ويطالبون أنفسهم بالكفاة عليها وحسن الرعاية لها .

١٧٢ — اكل شيء قوت ، وأثم قوت الهوام ؛ ومن مشى على ظهر الأرض فإن مصيره إلى بطنها .

١٧٣ — من كرم المرء بكاؤه على ماضٍ من زمانه ، وحبسه إلى أوطانه ، وحفظه قديم إخوانه .

(٢) الخسيس : اللئيم البعيد عن مكارم الأخلاق .

(١) مستمتع : موضع متعة .

(٣) يأثرون الفضائل : يستأثرون بها .

- ١٧٤ — وَمِنْ دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِن كُنَّا قَدْ قَصَّرْنَا عَنْ بُلُوغِ طَاعَتِكَ فَقَدْ ؛ تَمَسَّكْنَا مِنْ طَاعَتِكَ بِأَحَبِّهَا إِلَيْكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ جَاءَتْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِكَ .
- ١٧٥ — أَصَابَتِ الدُّنْيَا مِنْ أَمْنِهَا وَأَصَابَ الدُّنْيَا مِنْ حَذَرِهَا .
- ١٧٦ — وَوَقَّفَ عَلَى قَوْمٍ أُصِيبُوا بِمَصِيبَةٍ ، فَقَالَ : إِنْ تَجَزَّعُوا فَجَقَّ الرَّحِيمُ بَلْعَتُمْ ، وَإِنْ تَصَبَّرُوا فَجَقَّ اللَّهُ أَدَيْتُمْ .
- ١٧٧ — مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرُ خِصَالٍ : السَّخَاهُ ، وَالْحَيَاءُ ، وَالصَّدْقُ ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ ، وَالتَّوَاضُّعُ ، وَالْفَيْزَةُ ، وَالشَّجَاعَةُ ، وَالْحِلْمُ ، وَالصَّبْرُ ، وَالشُّكْرُ .
- ١٧٨ — مَنْ أَدَاءَ الْأَمَانَةَ الْمَكْفَاةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ لِأَنَّهَا كَالْوَدِيعَةِ عِنْدَكَ .
- ١٧٩ — الْخَيْرُ النَّفْسُ تَكُونُ الْحَرَكَةُ فِي الْخَيْرِ عَلَيْهِ سَهْلَةٌ مُتَبَسِّرَةٌ ، وَالْحَرَكَةُ فِي الْإِضْرَارِ عَسْرَةٌ بَاطِلَةٌ ، وَالشَّرُّ بِالضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ .
- ١٨٠ — الْبُخْلَاءُ مِنَ النَّاسِ يَكُونُ تَغَافُلُهُمْ عَنْ عَظِيمِ الْجَزِيمِ أَهْلٍ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَكْفَاةِ عَلَى بَسِيرِ الْإِحْسَانِ .
- ١٨١ — مَثَلُ الْإِنْسَانِ الْحَصِيفِ ^(١) مَثَلُ الْجَسْمِ الصَّلْبِ الْكَثِيفِ ، يَسْخُنُ بَطْنًا ، وَتَبْرُدُ تِلْكَ السُّخُونَةُ بِأَطْوَلٍ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ .
- ١٨٢ — ثَلَاثَةٌ يَرْحَمُونَ : عَاقِلٌ يَحْرَى عَلَيْهِ حُكْمُ جَاهِلٍ ، وَضَعِيفٌ فِي يَدِ ظَالِمٍ قَوِيٍّ ، وَكَرِيمٌ قَوْمٍ أَحْتَاجَ إِلَى لَيْمٍ .
- ١٨٣ — مَنْ صَحَبَ السُّلْطَانَ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ كَرَاكِبِ الْبَحْرِ ، إِنْ سَلِمَ بِجَسْمِهِ مِنَ الْفَرَقِ لَمْ يَسْلَمْ بِقَلْبِهِ مِنَ الْفَرَقِ ^(٢) .

(١) الْحَصِيفُ : الَّتِي تَكُونُ مِنْ نَفْسِهِ ، الْمُسْتَحْكِمُ عَقْلَهُ .

(٢) الْفَرَقُ : الْخَوْفُ .

١٨٤ - لا تقبان في استعمال عمالك وأمرائك شفاعة إلا شفاعة الكفاية والأمانة .

١٨٥ - إذا استشارك عدوك فخره له النصيحة ؛ لأنه باستشارتك قد خرج من عدوانك ودخل في مودتك .

١٨٦ - العدل صورة واحدة ، والجور صور كثيرة ؛ ولهذا سهل ارتكاب الجور وصعب تحرئ العدل ؛ وهما يشبهان الإصابة في الرماية والخطأ فيها ؛ وإن الأصابة تحتاج إلى ارتياض^(١) وتعمد ، والخطأ لا يحتاج إلى شيء من ذلك .

١٨٧ - لا يخطئ المخلص في الدعاء إحدى ثلاث : ذنب يفر ، أو خير يعجل ، أو شر يؤجل .

١٨٨ - لا ينتصف ثلاثة من ثلاثة : بر من فاجر ، وعاقل من جاهل ، وكريم من لئيم .

١٨٩ - أشرف الملوك من لم يخالطه البطر . ولم يخل عن الحق ، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ؛ وخير الأصدقاء من لم يكن على إخوانه مستصعباً ، وخير الأخلاق أعونها على النقي والورع .

١٩٠ - أربع القليل منهن كثير : النار ، والعداوة ، والمرض ، والفقر .

١٩١ - أربعة من الشقاء : جار سوء ، وولد سوء ، وامرأة سوء ، والمنزل الضيق .

١٩٢ - أربعة تدعو إلى الجنة : كتمان المصيبة ، وكتمان الصدقة ، وبر الوالدين ، والإكثار من قول لا إله إلا الله .

١٩٣ — لا تصحب الجاهل؛ فإن فيه خصالاً، فأعرفوه بها: يغضب من غير غضب، ويتكلم في غير نفع، ويمطى في غير موضع الإعطاء، ولا يعرف صديقه من عدوه، ويفشى سره إلى كل أحد.

١٩٤ — إيتاك ومواقف الاعتذار؛ فرب عذر أثبت الحجة على صاحبه وإن كان بريئاً.

١٩٥ — الصراط ميدانٌ يكثر فيه العثار؛ قال سالم ناج، والعائر هالك.

١٩٦ — لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل.

١٩٧ — إن لله عباداً في الأرض كأنما رأوا أهل الجنة في جنتهم وأهل النار في نارهم، اليقين وأنواره لامعة على وجوههم، قلوبهم محزونة، وشروهم مأمونة، وأنفسهم عفيفة، وحواسهم خفيفة؛ صبروا أياماً قليلة لراحة طويلة، أما الليل فصافون أقدامهم^(١) تجري دموعهم على خدودهم، يجسأرون^(٢) إلى الله سبحانه بأدعيتهم؛ قد حلا في أفواههم وحلا في قلوبهم طعم مناجاته ولذيد الخلوة به؛ قد أقسم الله على نفسه بحلال عزته ليورثتهم الثمام الأعلى في مقعد صدق عنده؛ وأما نهارهم فخلعاء علماء، بررة أتقياء، كالقديح ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى؛ وما بالقوم من مرضى، أو يقول: قد خولطوا؛ ولعمري لقد خالطهم أمر عظيم جايل.

١٩٨ — عاتبه عثمان فأكثر وهو ساكت، فقال: مالك لا تقول! قال: إن قلت

لم أقل إلا ما تكره، وليس لك عندي إلا ما تحب.

١٩٩ — بليت في حرب الجمل بأشد الخلق شجاعة، وأكثر الخلق ثروة وبذلاً،

وأعظم الخلق في الخلق طاعة، وأوفى الخلق كيذا وتكثراً^(٣)؛ بليت بالزبير، لم يرد وجهه قط،

(١) صافون أقدامهم، كناية عن كونهم مصليين. (٢) جأر الرجل إلى الله: فصرع.

(٣) ١: «وتكبراً».

وبيعلى بن منية يحمل المال على الإبل الكثيرة ويعطى كل رجل ثلاثين ديناراً وفرساً على أن يقاتلنى ، وبمائشة ما قالت قطاً بيدها هكذا إلا واتبعها الناس ، وبطلحة لا يدرك غوره^(١) ، ولا يطال مكره .

٢٠٠ — بعث عثمان بن حنيف إلى طلحة والزبير ، فعاد فقال : يا أمير المؤمنين ، جئتك بالخبيبة ، فقال : كلاً ! أصبت خيراً وأحررت ، ثم قال : إن من المحب انقيادها لأبى بكر وعمر وخلافهما على^(٢) ؛ أما والله إنهما ليعلمان أنى لست بدين واحدٍ منهما ، اللهم عليك بهما .

٢٠١ — الرزق مقسوم^(٣) ، والأيام دُول^(٤) والناس سرع^(٥) سواء ؛ آدم أبوهم ، وحواء أمهم .

٢٠٢ — قوت الأجسام الغذاء ، وقوت العقول الحكمة ، فحقى فقد واحد منهما قوته بار واضمحلت .

٢٠٣ — الصبر على مشقة العباد^(٦) يترقى بك إلى شرف الفوز الأكبر .

٢٠٤ — الروح حياة البدن والعقل حياة الروح .

٢٠٥ — حقيق بالإنسان^(٧) أن يخشى الله بالغيب ، ويحرس نفسه من العيب ، ويزداد خيراً مع الشيب .

٢٠٦ — أفضل الولاة من يقى بالعدل ذكره ، واستمده من يأتى بعده .

٢٠٧ — قدّم العدل على البطش تغفر بالحمية ، ولا تستعمل الفعل حيث ينجم^(٨) القول .

(١) يقال : بُر لا يدرك غوره ؛ إذا كانت عميقة جداً ، والمراد هنا أنه لا يعرف ما في أنوار نفسه .

(٢) شرع ، أى متساوين . (٣) د : « العادة » .

(٤) ب : « الأحسان » : تحريفه . (٥) ينجم : يقع .

٢٠٨ — البخیلُ یسخرُ من عِرضه بمقدار ما یبخل به من ماله ، والسخیُّ یبخل من عِرضه بمقدار ما یسخر به من ماله .

٢٠٩ — فَضَّلَ العَقلُ علی الهوى ، لأنَّ العَقلَ یَمْلِكُ الزمانَ ، والهوى یستبدُّكَ للزمان .

٢١٠ — کما حمت علیه الحرَّ احتمله ورآه زیادة فی شرفه ، إلا ما حطه جزءاً^(١) من حربته ، فإنه یأباه ولا یحبب إلیه .

٢١١ — إذا منعكَ اللئیمُ البِرَّ مع إعظامه حَقَّتْ ، کان أحسن من بذل السخیِّ لك إیاءه مع الاستخفاف بك .

٢١٢ — الملكُ کالنهر العظیم ، یتسبَّدُ منه الجداول ؛ فإنَّ کان عذیباً عذبت ، وإنَّ کان ملحاً ملحت .

٢١٣ — الفرق بین السخاء والتبذیر ، أنَّ السخیَّ یسمح بما یعرف مقداره ومقدار الرغبة فیهِ إلیه ، ویضعه بحیث یحسن وضعه ، وتركو عارفته ، والتبذیرُ یسمح بما لا یوازنُ به رغبة الراغب ، ولا حقَّ القاصد ؛ ولا مقدار ما أوی ، ویستفرِّه^(٢) لذلك خطرة من خطراته ، والتصدی لإطراء مُطَرِّ له بینهما یونٌ بعید .

٢١٤ — لا تُلَاجُ النضبان ؛ فإنَّكَ تفاقه^(٣) باللاجاج ، ولا تردّه إلی الصواب .

٢١٥ — لا تفرح بسقطة غیرك ، فإنَّكَ لا تدرى ما تنصرف الأيام بك .

٢١٦ — قایل العلم إذا وقر فی القاب كالطلَّ یصیب الأرض العطشنة فتعشب .

٢١٧ — مثلُ المؤمنِ الَّذی یقرأ القرآنَ کمثل الأترجةِ ریحها طیب ، وطعمها

(٢) استفره : أنخرجه .

(١) ب : د جزء ٢ .

(٣) تفلقه : تحرکه .

طَيِّب ؛ ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مؤر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مؤر ولا ريح لها .

٢١٨ — المؤمن إذا نظر اعتبر ، وإذا سكت تفكر ، وإذا تكلم ذكر ، وإذا استغنى شكر ، وإذا أصابته شدة صبر ، فهو قريب الرضا ، بعيد السخط ؛ يرضيه عن الله اليسير ، ولا يسخطه البلاء الكثير ؛ قوته لا تبلغ به ، ونيته تبلغ ، مغموسة في الخير بده ، ينوي كثيراً من الخير ، ويعمل بطائفة منه ، ويتلف على ما فاته من الخير كيف لم يعمل به !

والمنافق إذا نظر لها ، وإذا سكت سها ، وإذا تكلم لنا ، وإذا أصابه شدة شك ؛ فهو قريب السخط بعيد الرضا ، يسخطه على الله اليسير ، ولا يرضيه الكثير ، قوته تبلغ ، ونيته لا تبلغ ، مغموسة في الشر بده ، ينوي كثيراً من الشر ، ويعمل بطائفة منه فيتلف على ما فاته من الشر كيف لم يأمر به ، وكيف لم يعمل به !

على لسان المؤمن نور يسطع ، وعلى لسان المنافق شيطان ينطق .

٢١٩ — سوء الظن يدوي ^(١) القلوب ، ويسهم المأمون ، ويوحش المستانس ، ويُغيّر مودة الإخوان .

٢٢٠ — إذا لم يكن في الدنيا إلا محتاج فأغنى الناس أقتنهم بما رزق .

٢٢١ — قيل له : إن درعك صدر لا ظهر لها ، إننا نخاف أن نواتي من قبلك ظهر لك ، فقال : إذا وليت فلا واءلت ^(٢) .

٢٢٢ — أشد الأشياء الإنسان ، لأن أشدها — فيما يرى — الجبل ، والحديد

(١) يدوي : يصيبه بالداء . واليدوي : المرض ، وأدويته : أمرضته .

(٢) واءلت : خلص ونجا .

يُنَحْتُ الْجِبِلَ ، وَالنَّارُ تَأْكُلُ الْحَدِيدَ ، وَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ ، وَالسَّحَابُ يَحْمِلُ الْمَاءَ ، وَالرَّيْحُ يُفَرِّقُ السَّحَابَ ، وَالْإِنْسَانُ يَتَّقِي مِنَ الرَّيْحِ .

٢٢٣ — إِنَّمَا النَّاسُ فِي نَفْسٍ مَعْدُودٍ ، وَأَمَلٍ مَمْدُودٍ ، وَأَجَلٍ مَحْدُودٍ ، فَلَا بُدَّ لِلْأَجَلِ أَنْ يَنْتَاهِيَ ، وَلِلنَّفْسِ أَنْ يُحْصَى ، وَلِلْأَمَلِ أَنْ يَنْقُضَى ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ ^(١) .

٢٢٤ — اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا لِي سِجْنًا ، وَلَا فِرَاقَهَا عَلَيَّ حُزْنًا ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُنْيَا تَحْرِمُنِي الْآخِرَةَ ، وَمِنْ أَمَلٍ يَحْرِمُنِي الْعَمَلَ ، وَمِنْ حَيَاةٍ تَحْرِمُنِي خَيْرَ الْمَمَاتِ .

٢٢٥ — تَمَطَّرُوا بِالِاسْتِغْفَارِ لَا تَفْضَحْكُمْ رَائِحَةُ الذُّنُوبِ .

٢٢٦ — لِلنَّسَكِبَاتِ غَايَاتٌ تَنْتَهِي إِلَيْهَا ، وَدَوَاوِهَا الصَّبْرُ عَلَيْهَا وَتَرْكُ الْحِيلَةِ فِي إِزَالَتِهَا ؛ فَإِنْ إِزَالَتَهَا قَبْلَ انْقِضَاءِ مَدَّتِهَا سَلَبَ لَزَائِمَهَا .

٢٢٧ — لَا يَرْضَى عَنْكَ الْخَاسِدُ حَتَّى يَمُوتَ أَحَدُكَا .

٢٢٨ — لَا يَكُونُ الرَّجُلُ سَيِّدَ قَوْمِهِ حَتَّى لَا يُبَالِيَ أَى ثَوْبِيَّةٍ أَلْبَسَ !

٢٢٩ — كَتَبَ إِلَى عَامِلٍ لَهُ : اْعْمَلْ بِالْحَقِّ لِيَوْمٍ لَا يَقْضَى فِيهِ إِلَّا بِالْحَقِّ .

٢٣٠ — نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَفْتَابُ آخَرَ عِنْدَ ابْنِهِ الْحَسَنِ ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّ نَزَّهْ سَمْعَكَ عَنْهُ ؛ فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَى أَخْبَثَ مَا فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَعَهُ فِي وَعَائِكَ .

٢٣١ — احْذَرُوا الْكَلَامَ فِي مَجَالِسِ الْخَوْفِ ، فَإِنَّ الْخَوْفَ يَذْهَلُ الْعَقْلَ الَّذِي مِنْهُ تَسْتَمِدُّ وَتُسْتَفْلَهُ حِرَاسَةُ النَّفْسِ عَنْ حِرَاسَةِ الْمَذْهَبِ الَّذِي تَرُومُ نُصْرَتَهُ . واحْذَرِ الْغَضَبَ مِمَّنْ يَحْمِلُكَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ مِمَّتٌ لِلْخَوَاطِرِ ^(٢) ، مَا نَعَمَ مِنَ التَّشْبِثِ . واحْذَرِ مَنْ تَبَغَّضَهُ فَإِنَّ بَغْضَكَ لَهُ يَدْعُوكَ إِلَى الضَّجَرِ بِهِ ؛ وَقَلِيلُ الْغَضَبِ كَثِيرٌ فِي أَذَى النَّفْسِ وَالْعَقْلِ ، وَالضَّجَرُ مُضِيقٌ

لِلصَّدر ، مُضعِفٌ لِقُوَى العَقل ؛ واحذِرِ المَحاوِلَ التي لا إنصافَ لأهلِها في التَّسوية بَينَكَ وبيَن
خَصَمِكَ في الإقبال والاستماع ، ولا أدبَ لِمَن يَمنعُهم من جَوَازِ الحُكْمِ لَكَ وَعَليكَ .
واحذِر حينَ تَظهُرُ العَصبِيَّةُ لَخَصَمِكَ بالاعتراضِ عَلَيكَ وتَشديدِ قَوْلِهِ ^(١) وَحِجَّتِهِ ، فَإِنَّ
ذَلِكَ يَهيجُ العَصبِيَّةَ والاعتراضَ على هذا الوجهِ يَخْلِقُ الكَلَامَ ، وَيُذهِبُ بِهَجةِ المعاني .
واحذِر كَلَامَ من لا يَفهمُ عَنكَ فَإِنَّهُ يُضَجِّركَ ؛ واحذِر استِصغارِ الخَصَمِ فَإِنَّهُ يَمنعُ من
التَّحَفُّظِ ؛ وَرُبَّ صَغيرٍ غلبَ كَبيراً !

٢٣٢ — لا تَقبِلِ الرِّياسَةَ على أَهلِ مَدِينَتِكَ ؛ فَإِنَّهُمْ لا يَستقيمونَ لَكَ إلا بما تَخرجُ
بِهِ من شَرَطِ الرِّئيسِ الفاضِلِ .

٢٣٣ — لا تَهزَأْ بِخَطَا غَيرِكَ ؛ فَإِنَّ المَناطِقَ لا يَمْلِكُها ، وَأَقْدِلْ من الخَطَا الَّذِي
أَنتَ فِيهِ بِقَدَرِ الصِّبرِ واجعَلِ العَقلَ والحَقَّ إِمَامَيكَ تَنبُلُ البَغِيَّةُ بِهِمَا .

٢٣٤ — الرِّأْيُ يَرِيكَ غَايَةَ الأَمْرِ مَبْدَأُهُ .

٢٣٥ — الخَيرُ مِنَ النَّاسِ مَن قَدَرَ على أَن يَصْرِفَ نَفْسَهُ كما يَشاءُ وَيُدْفَعُها عَنِ الشَّرِّ ،
وَالشَّرُّ مَن لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ .

٢٣٦ — السَّاطِئَانِ الفاضِلُ هُوَ الَّذِي يَحْرُسُ الفَضائلَ وَيُجودُ بِهَا لِمَن دُونَهُ وَيُرعَاها
من خَاصَّتِهِ وعَامَّتِهِ ؛ حَتَّى تَكثُرَ في أَيَّامِهِ ، وَتَحسُنَ بِهَا من لَمْ تَكُنْ فِيهِ .

٢٣٧ — لِلْكَرِيمِ رِباطانُ أَحَدُهُما الرِّعايةُ لِمَصدِيقِهِ وذَوِي الحَرَمَةِ بِهِ ، وَالآخرُ الوَفاءُ
لِمَن أَلَزَمَهُ الفَضلُ ما يَجبُ لَهُ عَلَيهِ .

٢٣٨ — إِذَا تَحَرَّكَتْ صُورَةُ الشَّرِّ ؛ وَلَمْ تَظْهَرْ وَلَدَتْ الفِرْعَ ؛ فَإِذَا ظَهَرَتْ
وَلَدَتْ الأَلَمَ ؛ وَإِذَا تَحَرَّكَتْ صُورَةُ الخَيرِ وَلَمْ تَظْهَرْ وَلَدَتْ الفَرَجَ ، فَإِذَا ظَهَرَتْ
وَلَدَتْ اللَّذَةَ .

(١) قَوْلُهُ : « وَتَشديدِ قَوْلِهِ » أَي تَحصِينِها وصَوْنِها عَنِ طَرَفِ الحِلَالِ لِيُها ، وَأَصْلُ التَّشديدِ طَلَاءُ الحائِطِ
بِالجِصِّ وَالطينِ لِكَلِّ يَبْقَى بِهِ تَقَبُّ .

٢٣٩ — الفرقُ بين الاقتصادِ والبخلِ أن الاقتصادَ تمسكُ الإنسانُ بما في يده خوفاً على حريتهِ وجاهه من المسألة؛ فهو يضع الشيءَ موضعه، ويصبر عما لا تدعو ضرورةً إليه، ويصل صغير برّه بعظيم بشره؛ ولا يستكثر من المودات خوفاً من فرط الإجحاف به، والبخل لا يكافئ على ما يسدى إليه، ويمنع أيضاً اليسير من استحقاق الكثير، ويصبر لصغير ما يجرى عليه على كثير من الدّلة.

٢٤٠ — لا تحقرن صغيراً يمكن أن يكر، ولا قايلاً يمكن أن يكثر.

٢٤١ — ما زلتُ مظلوماً منذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا؛ ولقد كنت أظلم قبل ظهور الإسلام؛ ولقد كان أخى عقيل^(١)، يذنب أخى جعفر فيضربني.

٢٤٢ — لو كسرت لي الوسادة لقصيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم؛ وبين أهل الفرقان بفرقانهم؛ حتى تره^(٢) تلك القضايا إلى الله عز وجلّ وتقول: يارب؛ إن علياً قضى بين خاقلك بقضائك.

٢٤٣ — مرّ بدارٍ بالكوفة في مرادٍ تبني فوقعت منها شطيّة^(٣) على صامته فادمتها، فقال: ما يومى من مرادٍ هو أحد! اللهم لا ترقمها، قالوا: فوالله لقد رأينا تلك الدار بين الدور كالشاة الجاه^(٤) بين النعم ذوات القرون.

٢٤٤ — أقتلُ الأشياءَ لعدوك ألا تعرفه أنك اتخذته عدواً.

٢٤٥ — الخيرة في ترك الطيرة.

٢٤٦ — قيل له في بعض الحروب: إن جالت الخيل أين نطلبك؟ قال: حيث ركسوى.

٢٤٧ — شفيح المذنب إقراره، وتوبته اعتذاره.

(١) تره: قضى وتلاّ.

(٢) الشطيّة: الفلقة من المعصاة.

(٣) شاة جاه: لا قرون لها.

٢٤٨ — قسم ظهري رجلان : جاهل متنسك^(١) وعالم متبتك^(٢).

٢٤٩ — ألا أخبركم بذات نفسي ! أما الحسن ففقي من الفتيان ، وصاحب جفنة وخوان ؛ ولو التقت حلقا البطان^(٣) لم يخن عنكم في الحرب غناء عصفور ، وأما عبد الله بن جعفر فصاحب لجور وظل باطل ، وأما أنا والحسين فنحن منكم وأنتم منا .

٢٥٠ — قال في المنبرية : صار يُمنها تسعاً على البدئية^(٤) وهذا من العجائب .

٢٥١ — جاء الأشعثُ إليه وهو على المنبر ، فجعل يضطّى رقاب الناس حتى قُرب منه ثم قال : يا أمير المؤمنين ، غلبتنا هذه الحمراء على قُربك - يعني العجم - فركض المنبر برجله ، حتى قال صمصة بن ضوحان : مالنا وللأشعث ! ليقولنَّ أمير المؤمنين عليه السلام في العرب قولاً لا يزال يذكر ؛ فقال عليه السلام : مَنْ يعذُرني من هؤلاء الضباطرة ! يتمرغ أحدهم على فراشه يتمرغ الحمار ،^(٥) ويتمجر قوماً للذكر ؛ أفتأمرُوني أن أطردهم ! ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين ! أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً .

٢٥٢ — كان إذا رأى ابن ملجم ، يقول : أريدُ حياته^(٦) ... البيت ؛ فيقال له : فاقتله ، فيقول : كيف أقتل قاتلي !

٢٥٣ — إلهي ما قدر ذُنوبِ أقابلُ بها كرمك ، وما قدرُ عبادةٍ أقابلُ بها نِعَمك ! وإني لأرجو أن تستغرق ذُنوبي في كرمك ، كما استغرقت أعمالي في نِعَمك .

(١) المتنسك : متكلف الفسك والتفوى .

(٢) التقت حلقا البطان : مثل ؛ والبطان : الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير ، فإذا التقت حلقاه دل على اضطراب العقد وانحلالها .

(٣) المنبرية : إشارة إلى مسألة من مسائل المبرات .

(٤) الضبط : الرجل الضخم الذي لا غناء عنده ، وجمعه ضباطرة .

(٥) يتمرغ : يلعب .

(٦) أريدُ حياته : أريدُ قتلي . عذيرك من خليلك من مراد

- ٢٥٤ — إذا غضب الكريمُ فإنَّ له الكلامَ ، وإذا غضب اللئيمُ فخذ له العصا .
- ٢٥٥ — غضب العاقل في فعله ، وغضب الجاهل في قوله .
- ٢٥٦ — رأى رجلاً يحدثُ مُفكر الحديث ، فقال : يا هذا ، أنصف أذنك من فك ؛ فإنما جعل الأذنان اثنتين ، والنم واحدٌ ، ليسمع أكثر مما يقول .
- ٢٥٧ — إياك وكثرة الاعتذار ؛ فإن الكذب كثيراً ما يُخالطُ للمعاذير .
- ٢٥٨ — اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك .
- ٢٥٩ — سل مسألة الحق^(١) واحفظ حفظ الأكياس .
- ٢٦٠ — مروا الأحداثَ بالراء والجدال ، والكهولَ بالفكر ، والشيخَ بالصمت .
- ٢٦١ — عود نفسك الصبرَ على حاسن السوء ؛ فليس يكاد يخطئك .
- ٢٦٢ — يا بني ! إن الشرَّ ناركك إن تركته .
- ٢٦٣ — لا تطلبوا الحاجةَ إلى ثلاثة : إلى السكذوب ، فإنه يقرَّبُها وإن كانت بعيدة ، ولا إلى أحق ؛ فإنه يريدُ أن يتفعل فيضرك ، ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة ؛ فإنه يحملُ حاجتك وقايةً لحاجته .
- ٢٦٤ — إياك وصدر المجلس فإنه مجلس قلعة^(٢) .
- ٢٦٥ - احذروا صولة الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبع .
- ٢٦٦ — سرُّك دمك فلا تُجربنه إلا في أوداجك .
- ٢٦٧ — وسئل عن الفرق بين النعم والخوف ، فقال : الخوفُ مجاهدةُ الأمر الخوف قبل وقوعه ، والنعمُ ما يباحق الإنسان من وقوعه .

(٢) مجلس قلعة ؛ إذا كان صاحبه يحتاج إلى القيام .

(١) الحق : ضعف العمل .

٢٦٨ — المعروف كنز فانظر عند من تودعه .

٢٦٩ — إذا أرسلت لبعث فلا تأت بتمر فيؤكل كل تمر ك وتنف على خلافك^(١) .

٢٧٠ — إذا وقع في يدك يوم الشرور فلا تخله فإنك إذا وقعت في يد يوم النعم لم يهلك .

٢٧١ — إذا أردت أن تصادق رجلاً فانظر : من عدوه ؟

٢٧٢ — الانقباض من الناس مكسبة للعداوة ، والانبساط محبة لقرين السوء ؛ فكن بين المتقبض والمسترسل ، فإن خير الأمور أوساطها .

٢٧٣ — أنا عبد الله ، وأخو رسول الله ؛ لا يقولها بعدى إلا كذاب .

٢٧٤ — أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يدي فهرّها ، وقال : ما أولُ نعمة أنعم الله بها عليك ؟ قلت : أن خلقني حياً ، وأقدرني ، وأكل حوائتي ومشاعري وقواي ، قال : ثم ماذا ؟ قلت : أن جعلني ذكراً ، ولم يجعلني أنثى ، قال : والثالثة : قلت : أن هداني للإسلام ، قال : والرابعة ؟ قلت : (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)^(٢) .

٢٧٥ — اللهم إني أسألك إحيات المحبتين ، وإخلاص الموقنين ، ومراقبة الأبرار ، والعزيمة في كل برٍ والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

٢٧٦ — لما ضربه ابن ملجم وأوصى ابنه بما أوصاهما قال لابن الحنفية : هل فهمت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم ، قال : فإني أوصيك بمثله وتوقيع أخويك ، واتباع أمرها ، وألا تبزم أمراً دونهما . ثم قال لهما : أوصيكما به فإنه شقيقكما ، وابن أبيكما ، وقد علمنا أن أباكما كان يحبه فأحياه .

٢٧٧ — أما هذا الأعور — يعني الأشعث — فإن الله لم يرفع شرفاً إلا حسده ، ولا أظهر فضلاً إلا عابه ، وهو يمتحن نفسه ويخدعها ، يخاف ويرجو ، فهو بينهما لا يشق

(١) هذه الحكمة ساقطة من ب ، وأنها من د ، (٢) سورة النحل ١٨

بواحدٍ منهما ، وقد منَّ الله عليه بأن جعله جباناً ، ولو كان شجاعاً لقتله الحقُّ ،
وأما هذا الأَكْثَفُ عندَ الجاهليةِ - يعني جريرَ بن عبد الله البجلي - فهو يرى كلَّ
أحدٍ دونه ، ويستصغرُ كلَّ أحدٍ ويحتقرُه ، قد ملئ ناراً ، وهو مع ذلك يطلبُ رئاسةً ،
ويرومُ إمارةً ، وهذا الأعورُ يغويه ويُغنيه ، إن حدثته كذبه ، وإن قام دونه
نكصَ عنه ، فهما كالشيطانِ إذ قال للإنسانِ : اكفرْ فلما كفرَ قال إني بريءٌ
منك إني أخافُ الله ربَّ العالمين .

٢٧٨ - بُلُوغُ أَعْلَى النَازِلِ بغيرِ استحقاقٍ من أكبرِ أسبابِ الهلكةِ .

٢٧٩ - الكلمةُ إذا خرجت من القلبِ وقعت في القلبِ ، وإذا خرجت من
اللسانِ لم تجاوزِ الآذانَ .

٢٨٠ - الكرمُ حسنُ الفطنةِ ، واللؤمُ سوءُ التعاقلِ .

٢٨١ - أسوأُ الناسِ حالاً من اتَّسَعَتْ معرفته ، وبعُدَتْ همته ،
وضاقتْ قدرُهُ (١) .

٢٨٢ - أمران لا ينفكان من الكذب : كثرةُ المواعيدِ ، وشدةُ الاعتذارِ .

٢٨٣ - عادةُ النُّوكي (٢) الجلوسُ فوقَ القدرِ ، والحجى في غيرِ الوقتِ .

٢٨٤ - العافيةُ الملكُ الخفيُّ .

٢٨٥ - سوءُ خُلِّ الفَنَى يورثُ مقتاً ، وسوءُ حملِ الفاقةِ يضعُ شرفاً .

٢٨٦ - لا ينبغي لأحدٍ أن يدعَ الحزمَ لظفرِ ناله عاجزاً ، ولا يسمعَ نفسه في
التفريطِ لسكبةِ دخلتْ على حازمِ .

٢٨٧ - ليس من حسنِ التوكلِ أن يقالَ عثرةٌ ، ثم يركبها ثانيةً .

(١) هذه المسكوة ساقطة من ب ، وأثبتها من ا ، د (٢) النوك : الخنى .

٢٨٨ — سوء القالة في الإنسان إذا كان كذبا نظير الموت لفساد دنياه ؛ فإن كان صدقا فأشد من الموت لفساد آخرته .

٢٨٩ — ترضى الكرام بالكلام ، وتصاد اللئام بالمال ، وتصلح السفة بالهوان .

٢٩٠ — لا يزال المرء مستعرا ما لم يعثر ، فإذا عثر مرة نجا به العشار ولو كان في جدي .

٢٩١ — المتواضع كالوهدة يجتمع فيها قطرها وقطر غيرها ، والمتكبر كالربوة لا يقر عليها قطرها ، ولا قطر غيرها .

٢٩٢ — لا يصبر على الحرب ويصدق في اللقاء إلا ثلاثة : منبصر في دين ، أو غيران على حرمة ، أو محض من خلد .

٢٩٣ — مجاوزتك ما بكفيك قرا لا منتهى له .

٢٩٤ — قيل له : أي الأمور أعجل عقوبة ، وأسرع لصاحبها صرعة ؟ فقال : ظلم من لا ناصر له إلا الله ، ومجازاة النعم بالتقصير ، واستطالة الغنى على الفقير .

٢٩٥ — الجامع المحن بجماع ، والخيرات مفاع ؛ حياة يرتفع ، وعورات تجتمع ؛ أشبه شيء بالجنون ؛ ولذلك حجب عن العميون ، وتبجته وأدفتون ، إن عاش كد ، وإن مات هدد .

٢٩٦ — ماشى أهون من ورع ؛ إذا رابك أمر فدعه .

٢٩٧ — إذا أتى على يوم لا أزداد فيه عملا يقربنى إلى الله ، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم .

٢٩٨ — أشرف الأشياء العلم ؛ والله تعالى عالم يحب كل عالم .

٢٩٩ — لَيْتَ شِعْرِي أَيْ شَيْءٍ أَدْرَكَ مِنْ فَائِةِ الْعِلْمِ ! بَلْ أَيْ شَيْءٍ فَاتَ مِنْ أَدْرَكَ الْعِلْمِ !

٣٠٠ — لَا يَسْوَدُ الرَّجُلُ حَتَّى لَا يُبَالِيَ فِي أَيْ تَوْبِيهِ ظَهَرَ .

٣٠١ — سَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو لِصَاحِبِهِ ، فَقَالَ : لَا أَرَاكَ اللَّهُ مَكْرُوهًا ، فَقَالَ : إِنَّمَا دَعَوْتُ لَهُ بِالْمَوْتِ ، لِأَنَّ مِنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا لَا بُدَّ أَنْ يَرَى الْمَكْرُوهَ .

٣٠٢ — مِنْ صِفَةِ الْعَاقِلِ أَلَّا يَتَحَدَّثَ بِمَا يُسْتَطَاعُ تَكْذِيبُهُ فِيهِ .

٣٠٣ — السَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ بغيرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ أَنْعَظَ بِهِ غَيْرُهُ .

٣٠٤ — ذُو الْهَمَّةِ وَإِنْ حَطَّ نَفْسَهُ يَأْبَى إِلَّا عُلُوءًا ، كَالشَّعْلَةِ مِنَ النَّارِ يَخْفِيهَا صَاحِبُهَا ، وَتَأْبَى إِلَّا لِرَفَاعًا .

٣٠٥ — الدِّينُ غَلَّ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُذِلَّ عَبْدًا جَعَلَهُ فِي عُنُقِهِ .

٣٠٦ — الْعَاقِلُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا حِكْمَةً وَمَثَلًا ، وَالْأَحَقُّ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا حِلْفًا .

٣٠٧ — الْحَرَكَةُ لِقَاحُ الْجَدِّ الْعَظِيمِ ^(١) .

٣٠٨ — ثَلَاثَةٌ لَا يُسْتَحَى مِنْ الْخِثْمِ عَلَيْهَا : الْمَالُ لِنَفْسِ التَّهْمَةِ ، وَالْجَوْهَرُ لِنَفَاسَتِهِ ، وَالْدَّوَاءُ لِلْإِحْتِيَاطِ مِنَ الْعَدُوِّ .

٣٠٩ — إِذَا أَبَسَرَتْ فَكُلُّ الرِّجَالِ رَجَالُكَ ، وَإِذَا أَعْسَرَتْ أَنْكَرُكَ أَهْلُكَ .

٣١٠ — مِنَ الْحِكْمَةِ جَمَلُ الْمَالِ فِي أَيْدِي الْجَهَالِ فَإِنَّهُ لَوْ خُصَّ بِهِ الْعُقْلَاءُ لَمَاتَ

(١) هذه الحكمة ساقطة من ١

الجمالُ جَوْعًا ، ولكنهُ جُمْلٌ في أيدي الجهالِ ، ثم استنزلهُم عنه العقلاءُ
بلطفهم وفطنتهم .

٣١١ — مَرَدُّ أَحَدٍ أَحَدًا عَنْ حَاجَةِ الْآوْتِيَيْنِ الْعَرِّ فِي قَفَاهُ ، وَالذَّلُّ فِي وَجْهِهِ .

٣١٢ — ابْتِدَاءُ الصَّنِيعَةِ نَافِلَةٌ ، وَرَبِّهَا ^(١) فَرِيضَةٌ .

٣١٣ — الْحَاسِدُ الْمُبْطِنُ لِلْحَسَدِ كَالْحُلِيِّ يَمِجُّ الدَّوَاءُ ، وَيَبْطِنُ الدَّاءُ .

٣١٤ — الْحَاسِدُ يَرَى زَوَالَ نِعْمَتِكَ نِعْمَةً عَلَيْهِ .

٣١٥ — التَّوَاضُعُ إِحْدَى مَصَائِدِ الشَّرَفِ .

٣١٦ — تَوَاضَعُ الرَّجُلُ فِي مَرْتَبَتِهِ ذَبٌّ لِلشَّمَانَةِ عَنْهُ عِنْدَ سَقَطَتِهِ .

٣١٧ — رُبُّ صَلَفٍ أَدَّى إِلَى تَلَفٍ .

٣١٨ — سَوَاءُ الْخَلْقِ يُعَذِّبُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَدْعُو صَاحِبَكَ إِلَى أَنْ يَقَابِلَكَ بِمِثْلِهِ .

٣١٩ — الْمَرْوَةُ النَّامَةُ مُبَايَنَةُ الْعَامَةِ .

٣٢٠ — أَسْوَأُ مَا فِي الْكَرِيمِ أَنْ يَمْنَعَكَ نَدَاهُ ، وَأَحْسَنُ مَا فِي اللَّئِيمِ أَنْ يَكْفُ

عَنْكَ أَذَاهُ .

٣٢١ — السُّفْلَةُ إِذَا تَعَلَّمُوا تَكَبَّرُوا ، وَإِذَا تَمَوَّلُوا اسْتَطَالُوا ، وَالْعِلْمِيَّةُ إِذَا تَعَلَّمُوا

تَوَاضَعُوا ، وَإِذَا افْتَقَرُوا صَالُوا .

٣٢٢ — ثَلَاثٌ لَا يُسْتَصْلَحُ فِسَادُهُنَّ بِحِيلَةٍ أَصْلًا : الْعِدَاوَةُ بَيْنَ الْأَقَارِبِ ،

وَالْحَسَدُ الْأَكْفَاءُ ، وَرِكَازَةُ الْمُلُوكِ .

٣٢٣ — السُّخَى شُجَاعُ الْقَلْبِ ، وَالْبَخِيلُ شُجَاعُ الْوَجْهِ .

- ٣٢٤ — العزله توفر العرض وتستر الفاقة ، وترفع ثقل المكافأة .
- ٣٢٥ — ما احتكتك أحد قط إلا أحب الخلوّة والعزلة .
- ٣٢٦ — خير الناس من لم تجرّبه .
- ٣٢٧ — الكريم لا يائن على قسر ، ولا يقسو على يسر .
- ٣٢٨ — المرأة إذا أحببتك آذتك وإذا أبغضتك خانتك وربما قتلتك ؛ فصحبها أذى ، وبغضها داء بلا دواء .
- ٣٢٩ — المرأة تكتم الحب أربعين سنة ، ولا تكتم البغض ساعة واحدة .
- ٣٣٠ — الممتنع كالمختنق ؛ كلما ازداد اضطراباً ازداد اختناقاً .
- ٣٣١ — كل ما لا ينتقل بانتقالك من مالك فهو كفيّل بك .
- ٣٣٢ — أجل ما ينزل من السماء التوفيق ، وأجل ما يصمد من الأرض الإخلاص .
- ٣٣٣ — اثنان يهون عليهما كل شيء : عالم عرّف العواقب ، وجاهل يجهل ما هو فيه .
- ٣٣٤ — شر من الموت ما إذا نزل تميت بزواله الموت ، وخير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقدته الحياة .
- ٣٣٥ — ما وضع أحد يده في طعام أحد إلا ذل له .
- ٣٣٦ — المرأة كالنعل يلبسها الرجل إذا شاء ، لا إذا شئت .
- ٣٣٧ — أبصر الناس لعوار الناس المعور .
- ٣٣٨ — العجب ممن يخاف عقوبة السلطان وهي منقطعة ، ولا يخاف عقوبة الدين وهي دائمة .

٣٣٩ — من عرف نفسه فقد عرف ربه .

٣٤٠ — من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز .

٣٤١ — لو تكاشفتُم لما تدافعتُم .

٣٤٢ — شيطان كل إنسان نفسه .

٣٤٣ — إن لم تعلم من أين جئت ، لم تعلم إلى أين تذهب !

٣٤٤ — غاية كل مُتعمِّق في معرفة الخالق سبحانه الاعتراف بالقصور

عن إدراكها .

٣٤٥ — الكمال في خمس : ألا يعيب الرجل أحداً يعيب فيه مثله حتى يصلح

ذلك العيب من نفسه ؛ فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب من عيوبه حتى يهجم على آخر

فنشغله عيوبه عن عيوب الناس ، وألا يطلق لسانه ويده حتى يعلم أي طاعة ذلك أم

في معصية ، وألا يلتبس من الناس إلا ما يعطيهم من نفسه مثله ، وأن يسلم من

الناس باستشعار مداراتهم وتوفيتهم حقوقهم ، وأن ينفق الفضل من ماله ، ويمسك

الفضل من قوله .

٣٤٦ — صديق البخل من لم يجربه .

٣٤٧ — من الخيط الضعيف يقتل الحبل الخفيف ، ومن مقدحة^(١) صغيرة تحرق

مدينة كبيرة ، ومن لبنة لبنة^(٢) تُبنى قرية حصينة .

٣٤٨ — محب الدراهم معذور وإن أذنته من الدنيا ؛ لأنها صانته عن

أبناء الدنيا .

(١) المقدحة : ما يقدح بها النار .

(٢) اللبنة : التي يبنى بها .

٣٤٩ — عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ! وعجباً لمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يفضب !

٣٥٠ — ثلاث موبقات : الكبر فإنه حطّ إبليس عن مرتبته ، والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة ، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه .

٣٥١ — الفطام عن الخطام شديد^(١) .

٣٥٢ — إذا أقبلت الدنيا أقبلت على حمار قُطوفٍ ، وإذا أدبرت أدبرت على البراق .

٣٥٣ — أصاب مُتأملٌ أو كاد ، وأخطأ مستعجلٌ أو كاد .

٣٥٤ — سِنَّةٌ لَا تُخْطِئُهُمُ السَّكَاةُ : فقيرٌ حديث عهد بغيٍّ ، ومُكثِّرٌ يخاف على ماله ، وطالبٌ مرتبةٍ فوق قدره ، والحسودُ ، والحقودُ ، ومخالطُ أهل الأدب وليس بأديب .

٣٥٥ — طَلَبْتُ الراحةَ لِنَفْسِي فلم أجد شيئاً أروح من ترك ما لا يعني ، وتوَحَّشْتُ في القفرِ التَّامِعِ فلم أرَ وَحْشَةً أَشَدَّ من قرين السوء ، وشهدت الرُّحُوفَ^(٢) ولقيتُ الأقوان فلم أرَ قرناً أغاب من المرأة ، ونظرت إلى كلِّ ما بذلَّ العزيز وبكسرُهُ ، فلم أرَ شيئاً أذلَّ له ولا أكسر من الفاقة .

٣٥٦ — أوَّلُ رأى العاقل آخرُ رأى الجاهل .

٣٥٧ — المُشْرِشِدُ مُوْتَى ، والمُخْتَرِسُ مُلَقَى .

٣٥٨ — الخُرُّ عبدٌ ما طَمِعَ ، والعبدُ حرٌّ ما قَنَعَ .

(١) ب : شديد .

(٢) زحف إليه : خف وهين ، والنزح : الجيش يمشى إلى العدو .

٣٥٩ — ما أَحْسَنَ حُسْنَ الظَّنِّ إِلَّا أَنْ فِيهِ الْعَجَزُ ، وما أَفْبَحَ سوءَ الظَّنِّ إِلَّا أَنْ فِيهِ الْحَزَمُ !

٣٦٠ — ما الْحَيْسَلَةُ فِيمَا أُغْنَى^(١) إِلَّا الْكَفُّ عَنْهُ ، ولا الرَّأْيُ فِيمَا يُنَالُ إِلَّا الْيَأْسُ مِنْهُ .

٣٦١ — الْأَحَقُّ إِذَا حَدَّثَ ذَهَلُ ، وَإِذَا حَدَّثَ عَجِلُ ، وَإِذَا حُجِلَ عَلَى الْقَبِيحِ فَعَلَ .

٣٦٢ — إِبْتِاثُ الْحُجَّةِ عَلَى الْجَاهِلِ سَهْلٌ ؛ وَلَكِنْ إِقْرَارُهُ بِهَا صَعْبٌ .

٣٦٣ — كَمَا تُعْرَفُ أَوَانِي الْفَخَّارِ بِامْتِحَانِهَا بِأَصْوَاتِهَا فَيَعْلَمُ الصَّحِيحُ مِنْهَا مِنَ الْمَكْسُورِ ، كَذَلِكَ يُمْتَحَنُ الْإِنْسَانُ بِمَنْطِقِهِ فَيَعْرِفُ مَا عِنْدَهُ .

٣٦٤ — اِحْتِمَالُ الْفَقْرِ أَحْسَنُ مِنْ اِحْتِمَالِ الدُّلِّ ، لِأَنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْفَقْرِ قَنَاعَةٌ ؛ وَالصَّبْرَ عَلَى الدُّلِّ ضَرَاةٌ^(٢) .

٣٦٥ — الدُّنْيَا حَقَاءُ لَا تَمِيلُ إِلَّا إِلَى أَشْبَاهِهَا .

٣٦٦ — السَّفَرُ مِيزَانُ الْأَخْلَاقِ .

٣٦٧ — الْعَقْلُ مَلِكٌ وَالْخِصَالُ رَعِيَّتُهُ ، فَإِذَا ضَعُفَ عَنِ الْقِيَامِ عَلَيْهَا وَصَلَ انْخِلَالُ إِلَيْهَا .

٣٦٨ — الْكَذَّابُ يُخَيِّفُ نَفْسَهُ وَهُوَ آمِنٌ .

٣٦٩ — لَوْلَا ثَلَاثٌ لَمْ يُسَلَّ سَيْفٌ : سِلَاحٌ أَدْقُ مِنْ سِلَاحٍ ، وَوَجْهٌ أَضْبَحُ مِنْ وَجْهِ ، وَلُقْمَةٌ أَسْوَعُ مِنْ لُقْمَةٍ .

٣٧٠ — قَدْ يَحْسُنُ الْاِمْتِنَانُ بِالنِّعْمَةِ وَذَلِكَ عِنْدَ كُفْرَانِهَا ، وَلَوْلَا أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(٢) ضَرَعُ لِيَهْ ضَرَاةٌ : ذَلٌّ وَخَضَعٌ .

(١) : « أَعْيَا » .

كفروا النعمة لما قال الله لهم : ﴿ اذْكُرُوا النِّعْمَةَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ (١) .

٣٧١ — إذا تنهى الغم انقطع الدمع .

٣٧٢ — إذا ولى صديقك ولاية فأصبته على العشر من صداقته فليس

بصاحب سوء .

٣٧٣ — أعجب الأشياء بديهة أمن وردت في مقام خوف .

٣٧٤ — الحرص مخرمة (٢) والجبن مقتلة ، وإلا فانظر فيمن رأيت وسمعت : أمن

قتل في الحرب مقبلاً أكثر ، أم من قتل مذبراً ! وانظر : أمن يطلب بالإجمال والتكسر أم أحق أن تسخو نفسك له أم من يطلب بالنشر والحرص !

٣٧٥ — إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزء من جهل ليُقدِّم به صاحبه على

الأمر ، فإن العاقل أبداً متوان مترقب متخوف .

٣٧٦ — عمل الرجل بما يعلم أنه خطأ هووى ، والهووى آفة العفاف ، وترك

العمل بما يعلم أنه صواب تهاون ، والتهاون آفة الدين ، وإقدامه على مالا يدرى أصواب هو أم خطأ لجاج ، واللجاج آفة العقل .

٣٧٧ — ضعف العقل أمان من الغم .

٣٧٨ — لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ، ولا طعاماً حتى يستمره ،

ولا صديقاً حتى يستقرضه ؛ وليس من حسن الجوار ترك الأذى ، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى .

٣٧٩ — لا يتأدب العبد بالكلام إذا وثق بأنه لا يضرب

٣٨٠ — الفرق بين المؤمن والكافر الصلاة ، فمن تركها وادعى الإيمان كذبه

فعله ، وكان عليه شاهد من نفسه .

٣٨١ — من خاف الله خافه كل شيء .

٣٨٢ — من النقص أن يكون شفيعك شيئاً خارجاً عن ذاتك وصفاتك .

٣٨٣ — وبلى على العبد اللئيم ، عبد بنى ربيعة ! نزع به ^(١) عرق الشِّرْكِ العَبْثِيِّ إلى مساعتي ، وتذكر دَمِ الوليدِ وعتبة وشيبة أولى له ؛ والله ليبريني في موقفٍ بسوءه ثم لا يجدُ هناكَ فلاناً وفلاناً — يعني سالماً موثقاً حذيفة .

٣٨٤ — أنا قاتِلُ الأقران ، ومُجَدِّلُ الشَّجْعانِ ، أنا الذي فَقَّاتُ عَيْنَ الشَّرْكِ ، وثَلَّكَ عَرْشَهُ ؛ غيرَ مُتَمَتِّعٍ على الله بِجِهَادِي ، ولا مُدِلٍّ إليه بِطَاعَتِي ؛ ولكنْ أَحَدَّثُ بِنِعْمَةِ رَبِّي .

٣٨٥ — الصَّوْمُ عِبَادَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَخَالِقِهِ ، لَا يَطْلُعُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ ، وكذلك لَا يَحَازِي عَنْهَا غَيْرُهُ .

٣٨٦ — طوبى لمن شغله عَيْبُهُ عن عيوب الناس ! طوبى لمن لا يعرفُ الناسَ ولا يعرفُ الناسُ ! طوبى لمن كانَ حَيًّا كَيْتًا ، وموجوداً كَمَعْدُومٍ ؛ قد كفى جاره خَيْرَهُ وَشَرَّهُ ، لَا يَسْأَلُ عَنِ النَّاسِ ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسُ عَنْهُ .

٣٨٧ — ما السيفُ الصَّارِمُ في كَفِّ الشَّجَاعِ بِأَعَزَّ لَهُ مِنَ الصَّدَقِ .

٣٨٨ — لَا يَكُنْ فَقْرُكَ كُفْرًا ، وَغْنَاكَ طُغْيَانًا .

٣٨٩ — ثَمَرَةُ الْقِنَاعَةِ الرَّاحَةُ ، وَثَمَرَةُ التَّوَاضُعِ الْحَبَّةُ .

٣٩٠ — الْكَرِيمُ يَلِينُ إِذَا اسْتَعْطَفَ ، وَاللَّئِيمُ يَقْسُو إِذَا لُوْطِفَ .

٣٩١ — أَنْكِي لِعَدُوِّكَ أَلَّا تُرِيَهُ أَنْكَ اتَّخَذْتَهُ عَدُوًّا .

٣٩٢ — عَذَابَانِ لَا يَأْبَهُ النَّاسُ لهُمَا : السَّفَرُ الْبَعِيدُ ، وَالْبَنَاءُ الْكَثِيرُ .

(١) نزع به عرق الشر : جذبه إليه . (٢) عبثي ، نسبة إلى عبد شمس .

٣٩٣ — ثلاثة يؤثرون المال على أنفسهم : تاجر البحر ، وصاحب السلطان ،
والمرتشي في الحكم .
٣٩٤ — أعجز الناس من قصر في طلب الصديق ، وأعجز منه من
وجدَه فضيماً (١) .

٣٩٥ — أشد المشاق وعدو كذابٍ لحريص .

٣٩٦ — العادات قاهرات ، فمن اعتاد شيئاً في سره وخلوته فضحه
في جهره وعلايته .

٣٩٧ — الأخ البار مفيض الأسرار .

٣٩٨ — عدم المعرفة بالكتابة زمانة خفية .

٣٩٩ — قديم الحرمة وحديث التوبة يمتحان ما بينهما من الإساءة .

٤٠٠ — ركوب الخيل عز ، وركوب البراذن آفة ، وركوب البغال مهزلة ،
وركوب الحمار مذلة .

٤٠١ — العقل يظهر بالمعاملة ، وشيم الرجال تعرف بالولاية .

٤٠٢ — قال له قائل : علمني الحلم ، فقال : هو الذل ، فاصطبر عليه
إن استطعت .

٤٠٣ — قلتم : إن فلاناً أفاد ما أعظيماً ؛ فهل أفاد أياً ما ينفقه فيها !

٤٠٤ — عيادة النوكى أشد على المريض من وجعه .

٤٠٥ — المريض يعاد ، والصحيح يزَارُ .

٤٠٦ — الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقاً ، مدح الإنسان نفسه .

٤٠٧ — الشيء الذي لا يُستغنى عنه بحالٍ من الأحوال التوفيقُ .

٤٠٨ — أوسع ما يكونُ الكريمُ مغفرةً ، إذا ضاقتُ بالذنبِ المَعْدِرَةُ .

٤٠٩ — سترُ ما عاينتَ أحسنُ من إشاعةِ ما ظننتَ .

٤١٠ — التكبرُ على المتكبرين هو التواضعُ بعينه .

٤١١ — إذا رفعتَ أحداً فوق قدرِهِ فتوقع منه أن يحطَّ منك بقدرِ

ما رفعتَ منه .

٤١٢ — إساءةُ الحسن أن يمتنعَ جدواهُ ، وإحسانُ السيء أن يكفَّ

عَنكَ أذاهُ .

٤١٣ — اللهم إني أَسْتَعِيذُكَ عَلَى قَرِيْشٍ ؛ فَإِنَّهُمْ أَضْمَرُوا لِرَسُولِكَ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَآلِهِ ضُرُوبًا مِنَ الشَّرِّ وَالْفَدْرِ ، فَعَجَزُوا عَنْهَا ؛ وَحُلَّتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا ؛ فَكَانَتْ

الْوَجْبَةُ بَيْنِي ، وَالِدَائِرَةُ عَلَيَّ . اللَّهُمَّ احْفَظْ حَسَنًا وَحَسِينًا ، وَلَا تَمَكِّنْ لِحَجْرَةِ قَرِيْشٍ

مِنْهُمَا مَا دُمْتُ حَيًّا ، فَإِذَا تَوَفَّيْتَنِي فَأَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ شَهِيدٌ .

٤١٤ — قال له قائلٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَآلِهِ تَرَكَ وَلَدًا ذَكَرًا قَدْ بَلَغَ الْحُلُمَ ، وَأَنْسَ مِنْهُ الرُّشْدَ ، أَكَانَتْ الْعَرَبُ تَسْلُمُ إِلَيْهِ

أَمْرَهَا ؟ قَالَ : لَا ، بَلْ كَانَتْ تَقْتُلُهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا فَعَلْتُ ، إِنْ الْعَرَبُ كَرِهَتْ أَمْرَ مُحَمَّدٍ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَسَدَتْهُ عَلَى مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاسْتَطَالَتْ أَيَّامُهُ حَتَّى قَذَفَتْ

زَوْجَتَهُ ، وَنَفَرَتْ بِهِ نَاقَتُهُ ، مَعَ عَظِيمِ إِحْسَانِهِ إِلَيْهَا ، وَجَسِيمِ مَنَنِهِ عِنْدَهَا ، وَأَجَمَتْ

مُذْكَانٌ كَانَ حَيًّا عَلَى صَرْفِ الْأَمْرِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ؛ وَلَوْلَا أَنَّ قَرِيْشًا جَعَلَتْ اسْمَهُ

ذُرِيَّةً إِلَى الرَّيَاسَةِ ، وَسُلَّمًا إِلَى الْعِزِّ وَالْإِمْرَةِ ، لَمَا عَبَدْتَ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهِ يَوْمًا وَاحِدًا ،

ولارتدت في حافرتها ، وعاد قارحها جذعاً ، وبازلها ^(١) بَكَراً ، ثم فتح الله عليها
الفتوح ، فأثرت بعد الفاقة ، وتمولت بعد الجهد والمخمة ^(٢) ؛ فحسن في عيونها من
الإسلام ما كان سمجاً ، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً ، وقالت :
لولا أنه حق لما كان كذا ؛ ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها ، وحسن تدبير
الأمراء القائمين بها ، فتأكده عند الناس نباهة قوم وخول آخرين ؛ فكننا نحن ممن
نخل ذكره ، وخبث ناره ، وانقطع صوته وصيته ، حتى أكل الدهر عينا وشرب ،
ومضت السنون والأحباب بما فيها ، ومات كثير ممن يعرف ، ونشأ كثير ممن لا يعرف ؛
وما عسى أن يكون الولد لو كان ! إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقربني
ماتعلونه من القرب للنسب واللحمة ؛ بل للجهاد والنصيحة ؛ أفترأه لو كان له ولد هل
كان يفعل ما فعلت ! وكذلك لم يكن يقرب ما قربت ، ثم لم يكن عند قريش والعرب سبباً
للحظوة والمنزلة ، بل للحرمان والجفوة . اللهم إنك تعلم أني لم أريد الإمرة ، ولا علو
المك والرياسة ؛ وإنما أردت القيام بحدودك ، والأداء لشرعتك ، ووضع الأمور في
مواضعها ، وتوفير الحقوق على أهامها ؛ والنصي على منهاج نبيك ، وإرشاد الضال
إلى أنوار هدايتك .

٤١٥ — البر ما سكنت إليه نفسك ، واعلم أن إليه قلبك ؛ والإثم ما جال في نفسك

وتردد في صدرك .

٤١٦ — الزكاة نقص في الصورة ، وزيادة في المعنى .

٤١٧ — ليس الصوم الإمساك عن الماء كلى والشرب ؛ الصوم الإمساك عن

كل ما يكرهه الله سبحانه .

- ٤١٨ — إذا كان الرأى ذنباً ، فالشاة من يحفظها !
- ٤١٩ — كل شيء يعصيك إذا أغضبتك إلا الدنيا ، فإنها تطيعك إذا أغضبتك .
- ٤٢٠ — رب مغبوط بشعة هي دأؤه ، ومرحوم من سقم هو شفاؤه .
- ٤٢١ — إذا أراد الله أن يساط على عبدٍ عدواً لا يرحمه ساط عليه حاسداً .
- ٤٢٢ — شرب الدواء للجسد كالصابون للثوب ؛ ينقيه ولكن يخلقه .
- ٤٢٣ — الحسد خلق دني ؛ ومن دنائه أنه موكل بالأقرب فالأقرب .
- ٤٢٤ — لو كان أحد مكفياً من العلم لا كتفى نبي الله موسى ؛ وقد سمعتم قوله :
(هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتُ رَشِداً) (١) .
- ٤٢٥ — استغفر الله مما أملك ، واستصلحه فيما لا أملك .
- ٤٢٦ — إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب ، قعدت وأنت كبير حيث تكره .
- ٤٢٧ — الولد العاق كالإصبع الزائد ؛ إن تركت شانت ، وإن قطعت آلت .
- ٤٢٨ — خرج الغز والغنى يجولان ، فلقيا القناعة فاستقرا .
- ٤٢٩ — الصديق نسيب الروح ؛ والأخ نسيب الجسم .
- ٤٣٠ — جزية المؤمن كراه منزله ، وعذابه سوء خلق زوجته .
- ٤٣١ — الوعد وجه الإنجاز محاسنه .
- ٤٣٢ — أنعم الناس عيشاً من عاش في عيشه غيره .
- ٤٣٣ — لا تشاغل أحداً ، ولا تردن سائلاً ؛ إنما هو كريم تسد خلته ، أولئيم تشتري عرضك منه .

- ٤٣٤ — النِّمَامُ سَهْمٌ قَاتِلٌ .
- ٤٣٥ — ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا دَوَامَ لَهَا : الْمَالُ فِي يَدِ الْمُبَذِّرِ ، وَسُحَابَةُ الصَّيْفِ ، وَغَضَبُ الْعَاشِقِ .
- ٤٣٦ — الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا وَالدَّرْهَمُ أَعَزُّ مِنَ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمُ .
- ٤٣٧ — رَبُّ حَرْبٍ أَحْيَيْتَ بِلَفْظِهِ ، وَرَبُّ وَدٍّ غَرَسَ بِلِحْظِهِ .
- ٤٣٨ — إِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ فَقَدْ رَكِبَ الْبَحْرَ ، فَإِنْ وَلِدَ لَهُ فَقَدْ كَسَرَ بِهِ .
- ٤٣٩ — صَلَاحُ كُلِّ ذِي نِعْمَةٍ فِي خِلَافِ مَا فَسَدَ عَلَيْهِ .
- ٤٤٠ — أَنْعَمَ النَّاسُ عَيْشَةً مَنْ تَحَلَّى بِالْعَفَافِ ، وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ^(١) ، وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ .
- ٤٤١ — التَّوَّاضِعُ نِعْمَةٌ لَا يَفْطِنُ لَهَا الْخَاسِدُ .
- ٤٤٢ — يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَمْنَعَ مَعْرُوفَةَ الْجَاهِلِ وَاللَّيْمَ وَالسَّفِيهَ ؛ أَمَّا الْجَاهِلُ فَلَا يَعْرِفُ الْمَعْرُوفَ وَلَا يَشْكُرُ عَلَيْهِ ، وَأَمَّا اللَّيْمُ فَأَرْضُ سَبِيخَةٍ لَا تَنْبِتُ ، وَأَمَّا السَّفِيهُ فَيَقُولُ : إِنَّمَا أُعْطَانِي فَرَقًا مِنْ لِسَانِي .
- ٤٤٣ — خَيْرُ الْعَيْشِ مَا لَا يُطْفِئُكَ ، وَلَا يُلْهِيكُ .
- ٤٤٤ — مَا ضَرَبَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِسُوطِ أَوْجَعٍ مِنَ الْفَقْرِ .
- ٤٤٥ — إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَزِيلَ عَنْ عَبْدٍ نِعْمَةً كَانَ أَوَّلُ مَا يَغَيِّرُ مِنْهُ عَقْلُهُ .
- ٤٤٦ — خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي خَصْلَتَيْنِ : الْغِنَى وَالنُّفَى ، وَشَرُّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي خَصْلَتَيْنِ : الْفَقْرُ وَالْفُجُورُ .
- ٤٤٧ — ثَمَانِيَةٌ إِذَا أَهْنَوْا فَلَا يَلُومُوا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ : الْآثِي طَعَامًا لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ ،

(١) الكفاف : القليل .

وَالْمُأْمَرُ عَلَى رَبِّ الْبَيْتِ فِي بَيْتِهِ ، وَطَالِبُ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَالِدَاخِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ
لَمْ يَدْخُلَاهُ ، وَالْمُسْتَخِفُّ بِالْسلْطَانِ ، وَالْجَالِسُ بِمَجْلَسٍ لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ ، وَالْمَقْبَلُ بِحَدِيثِهِ عَلَى
مَنْ لَا يَسْمَعُهُ ، وَمَنْ جَرَّبَ الْمَجْرَبَ .

٤٤٨ — أَنْفَسُ الْأَعْلَاقِ ^(١) عَقْلٌ قَرَنَ إِلَيْهِ حَفَظٌ .

٤٤٩ — اللَّطَافَةُ فِي الْحَاجَةِ أَجْدَى مِنَ الْوَسِيلَةِ .

٤٥٠ — اِحْتِمَالُ تَخَوُّةِ الشَّرَفِ أَشَدُّ مِنْ اِحْتِمَالِ بَطْرِ الْفَنَى ، وَذَلَّةُ الْفَقْرِ مَانِعَةٌ مِنْ
الصَّبْرِ ، كَمَا أَنَّ عِزَّ الْفَنَى مَانِعٌ مِنْ كَرَمِ الْإِنصَافِ ، إِلَّا مَنْ كَانَ فِي غَرِيزَتِهِ فَضْلُ قُوَّةٍ ،
وَأَعْرَاقُهُ تَنَازَعَهُ إِلَى بُعْدِ الْهَمَةِ .

٤٥١ — أَبْعَدُ النَّاسِ سَفَرًا مَنْ كَانَ فِي طَلَبِ صَدِيقٍ يَرْضَاهُ .

٤٥٢ — اسْتِشَارَةُ الْأَعْدَاءِ مِنْ بَابِ الْخِيْلَانِ .

٤٥٣ — الْجَاهِلُ يُعْرِفُ بِسِتِّ خِصَالٍ : الْغَضَبُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ، وَالْكَلَامُ فِي غَيْرِ
نَفْعٍ ، وَالْعَطِيَّةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ، وَالْأَلْفُ يَعْرِفُ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ ، وَإِفْشَاءُ السِّرِّ ،
وَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ .

٤٥٤ — سِوَهُ الْعَادَةِ كَمِينَ لَا يُؤْمَنُ

٤٥٥ — الْعَادَةُ طَبِيعَةٌ ثَانِيَةٌ غَالِبَةٌ

٤٥٦ — التَّجَنَّى وَافِدُ الْقَطِيعَةِ

٤٥٧ — صَدِيقُكَ مَنْ نَهَاكَ ، وَعَدُوُّكَ مَنْ أَغْرَاكَ

٤٥٨ — يَا عَجَبًا مِنْ غَفْلَةِ الْحَسَادِ عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ .

٤٥٩ — مَنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَطُولَ عَمْرُهُ وَيَرَى فِي أَعْدَائِهِ مَا يَسْرُهُ .

٤٦٠ — الضَّغَائِنُ تَوَرَّثَتْ كَمَا تَوَرَّثَ الْأَمْوَالُ

(١) الْأَعْلَاقُ : الْأَشْيَاءُ النَّفِيسَةُ الْقِيَمَةُ .

- ٤٦١ — رَبِّ عَزِيزٍ أَذَلَّهُ خُرْقُهُ ، وَذَلِيلٍ أَعَزَّهُ خُلُقُهُ .
- ٤٦٢ — لَا يَصَاحُ اللَّثِيمُ لِأَحَدٍ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا مَنْ فَرَّقَ أَوْ حَاجَهُ ؛ فَإِذَا اسْتَعْنَى أَوْ ذَهَبَ خَوْفُهُ عَادَ إِلَيْهِ جَوْهَرُهُ .
- ٤٦٣ — ثَلَاثَةٌ فِي الْمَجْلِسِ وَلَيْسُوا فِيهِ : الْخَافِئُ ، وَالضَّيْقُ الْخَفِيُّ ، وَالسَّيِّءُ الظَّنُّ بِأَهْلِهِ .
- ٤٦٤ — وَسُئِلَ : مَا أَبْقَى الْأَشْيَاءَ فِي نَفُوسِ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : أَمَا فِي أَنْفُسِ الْعُلَمَاءِ فَالْتَّدَامَةُ عَلَى الذَّنُوبِ ، وَأَمَا فِي نَفُوسِ السُّفَهَاءِ فَالْحَقْدُ .
- ٤٦٥ — إِذَا انْقَضَى مُلْكُ قَوْمٍ خَبِئُوا فِي آرَائِهِمْ .
- ٤٦٦ — الضَّعِيفُ الْمُحْتَرَسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيَّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُفْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ .
- ٤٦٧ — الْحَزَنُ سَوْءُ اسْتِكَانَةٍ ، وَالنَّفْسُ لَوْثٌ قَدْرَقُوهُ .
- ٤٦٨ — كُلُّ مَا يُوْكَلُ يَنْتِنُ ، وَكُلُّ مَا يُوْهَبُ يَأْرَجُ .
- ٤٦٩ — الطَّرَشُ فِي الْكِرَامِ ، وَالهُوَجُ فِي الطُّوَالِ ، وَالسَّكِينُ فِي الْقُصَارِ ، وَالتَّبَلُّ فِي الرِّبَةِ ، وَحَسَنُ الْخَلْقِ فِي الْحَوْلِ ، وَالكَثِيرُ فِي الْعُورِ ، وَالْبَهْتُ فِي الْعَمِيَانِ ، وَالذِّكَاؤُ فِي الْخُرْسِ .
- ٤٧٠ — أَلَأَمْ النَّاسُ مَنْ سَعَى بِإِنْسَانٍ ضَعِيفٍ إِلَى سُلْطَانٍ جَائِرٍ .
- ٤٧١ — أَعَسَرَ الْحَيْلُ تَصْوِيرَ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ عِنْدَ الْعَاقِلِ الْمَعْيَزِ .
- ٤٧٢ — الْفَدْرُ ذَلٌّ حَاضِرٌ ، وَالغِيَّةُ لَوْثٌ بَاطِنٌ .
- ٤٧٣ — الْقَلْبُ الْفَارِغُ يَبْحَثُ عَنِ السَّوِّ وَالْبِدُّ الْفَارِغَةُ تَنَازَعُ إِلَى الْإِثْمِ .
- ٤٧٤ — لَا كَثِيرٌ مَعَ إِسْرَافٍ ، وَلَا قَلِيلٌ مَعَ إِحْتِرَافٍ ، وَلَا ذَنْبٌ مَعَ اعْتِرَافٍ .

- ٤٧٥ — الْمُتَعَبِّدُ عَلَى غَيْرِ فِقْهِ كَعِمَارِ الرِّحَا يَدُورُ وَلَا يَبْرَحُ .
- ٤٧٦ — الْحَرُومُ مِنْ طَالِ نَصْبِهِ ، وَكَانَ لَغَيْرِهِ مَكْسَبُهُ .
- ٤٧٧ — فِي الْإِعْتِبَارِ غَنَى عَنِ الْإِخْتِبَارِ .
- ٤٧٨ — غِيْظُ الْبَخِيلِ عَلَى الْجَوَادِ أَعْجَبُ مِنْ بَخْلِهِ .
- ٤٧٩ — أَذَلُّ النَّاسِ مُعْتَذِرٌ إِلَى اللَّئِيمِ .
- ٤٨٠ — أَشْجَعُ النَّاسِ أَثْبَتُهُمْ عَقْلًا فِي بَدَاهَةِ الْخَوْفِ .
- ٤٨١ — الْمُعْتَذِرُ مُنْقَصِرٌ ، وَالْمُعَاتِبُ مُفَاضِلٌ .
- ٤٨٢ — الْمَرْوُوءَةُ بِلَا مَالٍ كَالْأَسَدِ الَّذِي يُهَابُ وَلَمْ يَفْتَرَسْ ، وَكَالسَيْفِ الَّذِي يَخَافُ وَهُوَ مُفْعَدٌ ؛ وَالْمَالُ بِلَا مَرْوُوءَةٍ كَالْكَلْبِ الَّذِي يَحْتَنِبُ عَقْرًا وَلَمْ يَعْقُرْ ، .
- ٤٨٣ — عَلَيْكُمْ بِالْأَدَبِ ، فَإِنْ كُنْتُمْ مُلُوكًا حَزَنْتُمْ ، وَإِنْ كُنْتُمْ وَسَطًا قُتِمْتُمْ ، وَإِنْ أَعُوْزْتُمْكَ الْمَعِيشَةُ عَشْتُمْ بِأَدَبِكُمْ .
- ٤٨٤ — الْمُلُوكُ حُكَّامٌ عَلَى النَّاسِ ، وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى الْمُلُوكِ .
- ٤٨٥ — لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِي إِحْدَى مَنَزَلَتَيْنِ : إِمَّا فِي الْغَايَةِ الْقَصْوَى مِنْ مَطَالِبِ الدُّنْيَا ، وَإِمَّا فِي النَّايَةِ الْقَصْوَى مِنَ التَّرَكُّ لَهَا .
- ٤٨٦ — مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ الْجُودُ فِي الْعُسْرِ ، وَالصَّدَقُ فِي الْغَضَبِ ، وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ .
- ٤٨٧ — إِنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَى الْعِبَادِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ ، وَكَلَفَهُمْ مِنَ الشُّكْرِ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِمْ .
- ٤٨٨ — الْعَيْشُ فِي ثَلَاثٍ : صَدِيقٌ لَا يَعُدُّ عَلَيْكَ فِي أَيَّامِ صِدَاقَتِكَ مَا يَرْضَى بِهِ أَيَّامَ عِدَاوَتِكَ ، وَزَوْجَةٌ تَسْرُكُ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهَا وَتَحْفَظُ غَيْبَكَ إِذَا غَبْتَ عَنْهَا ، وَغُلَامٌ يَأْتِي عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ كَأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مَا تَرِيدُ .

- ٤٨٩ - تحتاجُ القِراءةُ إلى مودَّةٍ ولا تحتاجُ المودةَ إلى قِراءةٍ .
- ٤٩٠ - الصَّابرُ على محالطةِ الأشرارِ وصحبَتهم ، كراكِبِ البحرِ إنْ سَلَمَ بِيَدِهِ
منَ التلفِ ، لم يَسَلَمْ بقلبه منَ الحذرِ .
- ٤٩١ - لأخيك عايكَ إذا حزبه أمرٌ أنْ تُشيرَ عليه بالرأى ما أطاعَكَ ، وتبذلَ
لَهُ النصرَ إذا عصاكَ .
- ٤٩٢ - الغيبةُ ربيعُ اللثامِ .
- ٤٩٣ - أطولُ الناسِ نصَباً الحَريصُ إذا طمعَ ، والحقودُ إذا مُنعَ .
- ٤٩٤ - الشَّريفُ دُونَ حَقِّهِ يُقَتَّلُ ويُعْطى نَافِلَةٌ فوقَ الحقِّ عليه .
- ٤٩٥ - اجعلْ عَمركَ كمنفقَةٍ دَفَعْتَ إِلَيْكَ ؛ فَكَمَا لَا تَحِبُّ أَنْ يَذْهَبَ مَا تَنْفِقُ
ضَياعاً فَلَا تَذْهَبْ عَمركَ ضَياعاً .
- ٤٩٦ - مَنْ أَظْهَرَ شُكْرَكَ فِيمَا لَمْ تَأْتِ إِلَيْهِ ، فَاحْذَرُ أَنْ يَكْفُرَكَ فِيمَا
أَسَدَيْتَ إِلَيْهِ .
- ٤٩٧ - لَا تَسْتَمِنْ فِي حَاجَتِكَ بِمَنْ هُوَ الْمَطْلُوبُ إِلَيْهِ أَنْصَحُ مِنْهُ لَكَ .
- ٤٩٨ - لَا يُوْثِقُكَ مِنْ شَرٍّ جَاهِلٍ قِرَابَةٌ وَلَا جَوَارٌ ، فَإِنْ أَخُوفَ
مَا تَكُونُ لِحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَيْهَا .
- ٤٩٩ - كُنْ فِي الْحَرَمِ عَلَى تَفَقُّدِ عِي�ِيكَ كَعَدْوِكَ .
- ٥٠٠ - عَلَيْكَ بِسُوءِ الظَّنِّ ، فَإِنْ أَصَابَ فَالْحَزَمَ وَإِلَّا فَالْإِسْلَامَةُ .
- ٥٠١ - رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لَا تَدْرُكُ ، فَتَحَرَّ الْخَيْرَ بِجَهْدِكَ ، وَلَا تَبَالِ بِسَخَطِ مَنْ
يَرْضِيهِ الْبَاطِلُ .

٥٠٢ — لا تَمَّا كَسْ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ ؛ فَمَا بَضِيعٌ مِنْ عَرْضِكَ أَكْثَرُ مِمَّا تَنْتَالُ مِنْ عَرْضِكَ .

٥٠٣ — الدِّينُ رِقٌّ فَلَا تَهْذُلْ رِقَّكَ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ حَقَّكَ .

٥٠٤ — احْذَرُ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ يَخْدَعَكَ الشَّيْطَانُ فَيَمِثْلَ لَكَ التَّوَانِي فِي صُورَةِ التَّوَكُّلِ ، وَيُورِثُكَ الْهَوِيَّ بِالْإِحَالَةِ عَلَى الْقَدَرِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالتَّوَكُّلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْحِيلِ ، وَبِالتَّسْلِيمِ لِلْقَضَاءِ بَعْدَ الْإِعْذَارِ ، فَقَالَ : ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ^(١) ﴾ ، ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ^(٢) ﴾ ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ» .

٥٠٥ — لَا تَصْحَبْ فِي السَّفَرِ غَنِيًّا ؛ فَإِنَّكَ إِنْ سَاوَيْتَهُ فِي الْإِنْفَاقِ أَضَرَّ بِكَ ، وَإِنْ تَفَضَّلَ عَلَيْكَ اسْتَدَلَّكَ .

٥٠٦ — إِذَا سَأَلْتَ كَرِيْمًا حَاجَةً فَدَعُهُ بِفَكْرٍ ، فَإِنَّهُ لَا يَفْكُرُ إِلَّا فِي خَيْرٍ ؛ وَإِذَا سَأَلْتَ لُثْمًا حَاجَةً فَنَافِصُهُ ^(٣) فَإِنَّهُ إِذَا ^(٤) فَكَّرَ عَادَ إِلَى طَبْعِهِ .

٥٠٧ — مَا أَقْبَحَ بِالصَّبِيحِ الْوَجْهَ أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا ؛ كَذَّابٍ حَسَنَ الْبَنَاءِ وَسَاكِنَهَا شَرًّا ، وَكَجَنَةِ يَسْمُرُهَا بُؤْمٌ ، أَوْ صِرْمَةٍ يَحْرُسُهَا ذَنْبٌ .

٥٠٨ — قَبِيحٌ بَذَى الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ بِهِمَةً وَقَدْ أَمَكَّنَهُ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا ، وَأَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا وَقَدْ أَمَكَّنَهُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا ، وَأَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بَقِيَّةً مُعَارَةً وَحَيَاةً مُسْتَرْدَّةً ؛ وَلَهُ أَنْ يَتَخَذَ قُنْيَةً مُخَلَّدَةً وَحَيَاةً مُؤَبَّدَةً .

٥٠٩ — الَّذِي يَسْتَحِقُّ اسْمَ السَّعَادَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ : بَقَاءٌ بِلَا فَنَاءٍ ؛ وَعِلْمٌ بِلَا جَهْلِ ، وَقُدْرَةٌ بِلَا عَجْزٍ ، وَغِنَى بِلَا فَقْرٍ .

(٢) سورة البقرة ٩٥ .

(٤) ب : « إِنْ أَفْكُرَ » .

(١) سورة النساء ٧١ .

(٣) غافضه : أَيْ أَخْذَهُ عَلَى غَرَّةٍ .

٥١٠ — ما خاب من استخار

٥١١ — الدين قد كشف عن غطاء قلبه ، يرى مطلوبه قد طبق الخافقين فلا يعم بصره على شيء إلا رآه فيه .

٥١٢ — من غرس التخل أكل الرطب ، ومن غرس الصفصاف والعليق عدم ثمرة ، وذهبت ضياعاً خدمته .

٥١٣ — إذا أردت العلم والخير فانفض عن يدك أداة الجهل والشر ، فإن الصانع لا يهيأ له الصياغة إلا إذا ألقى أداة الفلاحة عن يده .

٥١٤ — الصبر مفتاح الفرج .

٥١٥ — غاية كل متعمق في علمنا أن يجهد .

٥١٦ — ستعرف الحال على حقيقتها ؛ ولكن حيث لا تستطيع أن تذكر أحداً بها .

٥١٧ — السعادة التامة بالعلم ، والسعادة الناقصة بالزهد ، والعبادة من غير علم ولا زهادة تعب الجسد .

٥١٨ — الآمال مطايا ؛ وربما حيرت ، وتعبت أخفافها .

٥١٩ — حب الرئاسة شاغل عن حب الله سبحانه

٥٢٠ — يا أبا عبدة ، طال عليك العهد فنسيت أم نأفست فأنسيت ! لقد سمعتها ووعيتها فهلاً رعيته !

٥٢١ — قال لما سمعت خطبة عمر بالمدينة التي شرح فيها قصة التقيفة : معذرة ورب الكعبة ؛ ولكن بعد ماذا هيبات علقته معالقتها ، وصراً الجندب .

٥٢٢ — أول من جرأ الناس علينا سعد بن عباد ؛ فتح باباً ووجه

غيرُهُ ، وأُضرمَ ناراً كانَ لِبَها عليه ، وضوءُها لِأعدائه .

٥٢٣ — مالنا وإقربش ! يَخْضِصُونَ الدُّنْيَا بِأَسْمِنَا وَيَطَّوُّونَ عَلَي رِقَابِنَا ؛ فَيَا اللَّهُ وَالْعَجَب !
من اسمٍ جليلٍ لِمُسَمَّى ذَلِيلٍ .

٥٢٤ — الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي السَّيْفِ ، وَمَا قَامَ هَذَا الدِّينُ إِلَّا بِالسَّيْفِ ؛ أَتَعْلَمُونَ مَا مَعْنَى
قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ ؟ هَذَا هُوَ السَّيْفُ .

٥٢٥ — لَمْ يَفُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ .

٥٢٦ — مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ ، فَإِنَّهُ لَوْ غَصَّ بِغَيْرِهِ لَأَسَاغَ
الْمَاءُ غُصَّتَهُ .

٥٢٧ — مَنْ ضَنَّ بِعَرَضِهِ فَأَيَّدَعَ الْمِرْيَاءَ .

٥٢٨ — مَنْ أَيْقَظَ فِتْنَةً فَهُوَ أَكْلَاهَا .

٥٢٩ — مَنْ أَتَى كَرُمَ عَلَى أَهْلِهِ ، وَمَنْ أَمْلَقَ هَانَ عَلَى وَلَدِهِ .

٥٣٠ — مَنْ أَمَلَ أَحَدًا هَابَةً ، وَمَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَابَةً .

٥٣١ — أَسْوَأُ النَّاسِ حَالًا مَنْ لَا يَتَّقُ بِأَحَدٍ لِسُوءِ ظَنِّهِ ، وَلَا يَتَّقُ بِهِ أَحَدٌ
لِسُوءِ أَثَرِهِ .

٥٣٢ — أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِيهِ عِنْدَكَ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَمَنْ كَثُرَتْ
أَيْدِيكَ عِنْدَهُ .

٥٣٣ — مَنْ طَالَ صِمَّتُهُ اجْتَلَبَ مِنَ الْهَيْبَةِ مَا يَنْفَعُهُ ، وَمَنِ الْوَحْشَةُ مَا لَا يَضُرُّهُ .

٥٣٤ — مَنْ زَادَ عَقْلُهُ نَقَصَ حَقْلُهُ ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِأَحَدٍ عَقْلاً وَافِراً إِلَّا اخْتَسَبَ
بِهِ عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهِ .

٥٣٥ — مَنْ عَمِلَ بِالْعَدْلِ فِيمَنْ دُونَهُ ؛ رَزَقَ الْعَدْلَ مِمَّنْ فَوْقَهُ .

- ٥٣٦ — مَنْ طَلَبَ عِزًّا بَظَلِمَ وَبَاطِلٍ أَوْرَثَهُ اللَّهُ ذُلًّا بِإِنصَافٍ وَحَقٍّ .
- ٥٣٧ — مَنْ وَطِنَتْهُ الْأَعْيُنُ ، وَطِنَتْهُ الْأَرْجُلُ .
- ٥٣٨ — يَنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَنْ كَانَ لَهُ أَجْرٌ عَلَى اللَّهِ فَلْيَقُمْ ؛ فَيَوْمَ الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ .
- ٥٣٩ — اصْصَحِبِ النَّاسَ بِأَيِّ خَلْقٍ شِئْتَ يَصْحَبُوكَ بِمِثْلِهِ .
- ٥٤٠ — كَأَنَّكَ بِالْذُّنْيَا لَمْ تَكُنْ ، وَكَأَنَّكَ بِالْآخِرَةِ لَمْ تَزَلْ .
- ٥٤١ — قَالَ لِمَرِيضٍ أَبْلَى مِنْ مَرَضِهِ : إِنْ اللَّهُ ذَكَرَكَ فَادْكُرْهُ ، وَأَقَالَكَ فَاشْكُرْهُ .
- ٥٤٢ — الدَّارُ دَارٌ مَنْ لَا دَارَ لَهُ ، وَبِهَا يَفْرَحُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ، فَأَنْزِلُوهَا مَنْزِلَتِهَا .
- ٥٤٣ — لَا تَسْتَضِرَّ مَنْ أَمَرَ عَدُوَّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدْ ، وَإِنْ ظَفَرَ بِكَ لَمْ تُعَذَّرْ ؛ وَالضَّعِيفُ الْمُحْتَرَسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيَّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُفْتَرِّ بِالضَّعِيفِ .
- ٥٤٤ — لَا تَصْغَبْ مَنْ تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَكْتُمَهُ مَا يَعْرِفُ اللَّهُ مِنْكَ .
- ٥٤٥ — لَا تَسْأَلْ غَيْرَ اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ أَعْطَاكَ أَغْنَاكَ .
- ٥٤٦ — الصَّاحِبُ كَالرُّقْمَةِ فِي الثَّوْبِ ، فَاتَّخِذْهُ مُشَاكِلًا .
- ٥٤٧ — إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الْإِخْوَانِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُؤْذِيكَ إِلَّا مَنْ يَعْرِفُكَ .
- ٥٤٨ — دَعِ الْبَيْنَ لِلَّهِ إِجْلَالًا ، وَلِلنَّاسِ جَمَالًا .
- ٥٤٩ — الْعَادَاتُ قَاهِرَاتٌ ، فَمَنْ اعْتَادَ شَيْئًا فِي سِرِّهِ فَضَحَّهُ فِي عِلَانِيَتِهِ .
- ٥٥٠ — إِذَا كَانَ لَكَ صَدِيقٌ وَلَمْ تَحْمَدْ إِخَاءَهُ وَمُودَتَهُ فَلَا تَظْهَرُ ذَلِكَ لِلنَّاسِ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ بِعِزِّهِ السَّيْفُ الْكَائِلُ فِي مَنْزِلِ الرَّجُلِ ؛ يُرْهِبُ بِهِ عَدُوَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ الْعَدُوُّ أَصَارِمٌ هُوَ أَمْ كَلِيلٌ !

٥٥١ — دَعِ الذُّنُوبَ قَبْلَ أَنْ تَدْعَكَ

٥٥٢ — إِذَا نَزَلَ بِكَ مَكْرُوهٌ فَانْظُرْ ؛ فَإِنْ كَانَ لَكَ حِيلَةٌ فَلَا تَعْجِزْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حِيلَةٌ فَلَا تَجْزَعْ .

٥٥٣ — تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، فَإِنَّهُ زَيْنٌ لِلْفَتَى وَعَوْنٌ لِلْفَقِيرِ ، وَلَسْتُ أَقُولُ إِنَّهُ يَطْلُبُ بِهِ ، وَلَكِنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْقَنَاعَةِ .

٥٥٤ — لَا تَرْضَيْنَ قَوْلَ أَحَدٍ حَتَّى تَرْضَى فِعْلَهُ ، وَلَا تَرْضَ فِعْلَهُ حَتَّى تَرْضَى عَقْلَهُ ، وَلَا تَرْضَ عَمَلَهُ حَتَّى تَرْضَى حَيَاءَهُ ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَطْبُوعٌ عَلَى كَرَمٍ وَلُؤْمٍ ؛ فَإِنْ قَوِيَ الْحَيَاءُ عِنْدَهُ قَوِيَ الْكَرَمُ ، وَإِنْ ضَعُفَ الْحَيَاءُ قَوِيَ اللَّؤْمُ .

٥٥٥ — تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَإِنْ لَمْ تَنَالُوا بِهِ حِظًّا ؛ فَلَا تَزِدْ الزَّمَانَ لَكُمْ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ يَزِدَّ بِكُمْ .

٥٥٦ — اجْعَلْ سِرِّكَ إِلَى وَاحِدٍ ، وَمَشُورَتَكَ إِلَى أَلْفٍ .

٥٥٧ — إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ خَلْقَ النِّسَاءِ مِنْ عِيٍّ وَعَوْرَةٍ ، فَدَاوُوا عَيْنَيْكُمْ بِالسَّكُوتِ ، وَاسْتُرُوا الْعَوْرَةَ بِالْبَيُوتِ .

٥٥٨ — لَا تَعِدَنَّ عِدَّةَ لَا تَتَّقِي مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا ، وَلَا يَفْرُتْكَ الْمُرْتَقَى السَّهْلُ إِذَا كَانَ الْمُنْعَدَّرُ وَغَرًّا ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً ، فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ ، وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَفَنَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ .

٥٥٩ — لَا تَجَاهِدِ الطَّلَبَ جِهَادَ الْمُغَالِبِ ، وَلَا تَشْكِلْ عَلَى الْقَدَرِ أَشْكَالَ الْمُسْتَسْلِمِ ؛ فَإِنَّ ابْتِغَاءَ الْفَضْلِ مِنَ الشَّنَةِ ، وَالْإِجْهَالِ فِي الطَّلَبِ مِنَ الْعِقَةِ : وَلَيْسَتْ الْعِفَّةُ بِرَافِعَةٍ رِزْقًا ، وَلَا الْحِرْصُ بِجَالِبٍ فَضْلًا .

٥٦٠ — مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ لِنَفْسِهِ ، فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ .

- ٥٦١ - من رُجِيَ الرِّزْقُ لديه صُرِفَتْ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ إليه .
- ٥٦٢ - من انتَجَمَكَ مُؤَمِّلاً قَدْ أَسْلَفَكَ حُسْنَ الظَّنِّ .
- ٥٦٣ - إذا شئتَ أنْ تَطَاعَ فاسْأَلْ ما يُسْتَطَاعُ .
- ٥٦٤ - من أعذرَ كمن أنجح .
- ٥٦٥ - مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ كَثُرَ فِي الْقِيَامَةِ غَمُّهُ .
- ٥٦٦ - من أجهلَ في الطَّلَبِ أَنَاهُ رِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .
- ٥٦٧ - مَنْ رَكِبَ الْعَجَلَةَ لَمْ يَأْمَنْ السَّكْبُوتَ .
- ٥٦٨ - مَنْ لَمْ يَتَّقِ لَمْ يُوثِقْ بِهِ .
- ٥٦٩ - مَنْ أَفَادَهُ الدَّهْرُ أَفَادَ مِنْهُ (١) .
- ٥٧٠ - مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الضَّعَافِ كَثَبَ الْعِدَاؤُةَ .
- ٥٧١ - مَنْ لَمْ يَحْمَدْ صَاحِبَهُ عَلَى حَسَنِ النِّيَّةِ لَمْ يَحْمَدْهُ عَلَى حَسَنِ الصَّدِيقَةِ .
- ٥٧٢ - تَأَمَّلْ مَا تَتَعَدَّثُ بِهِ ، فَإِنَّمَا تُتَمَلَّى عَلَى كَاتِبِكَ صَحِيفَةٌ يُوصِلَانِهَا إِلَى رَبِّكَ ؛ فَانْظُرْ عَلَى مَنْ تَمَلَّى ، وَإِلَى مَنْ تَكْتَبُ .
- ٥٧٣ - أَقِمِ الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ مَقَامَ الْحَرَمَةِ بِكَ ، وَعَظِّمْ نَفْسَكَ عَنِ التَّعَظُّمِ ، وَتَطَوَّلْ وَلَا تَتَطَوَّلْ .
- ٥٧٤ - عَامِلُوا الْأَحْرَارَ بِالْكَرَامَةِ الْحَضَّةِ ، وَالْأَوْسَاطَ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَالسُّفَلَةَ بِالْهَوَانِ .
- ٥٧٥ - كُنْ لِلْعَدُوِّ الْمَكَاتِمِ أَشَدَّ حَذراً مِنْكَ لِلْعَدُوِّ الْمُبَارِزِ .
- ٥٧٦ - احْفَظْ شَيْئَكَ مِمَّنْ تَسْتَحْيِ أَنْ تَسْأَلَهُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ الشَّيْءِ إِذَا ضَاعَ لَكَ .

- ٥٧٧ — إذا كنتَ في مجلسٍ ولم تكن المحدث ولا المحدث فقم .
- ٥٧٨ — لا تستصفرن حدثاً^(١) من قریش ، ولا صغيراً من الكتاب ؛ ولا صلوكاً من الفرسان ؛ ولا تصادقن ذمياً ولا خصياً ولا مؤثناً ، فلا ثبات لموداتهم .
- ٥٧٩ — لا تدخل في مشورتك بخيلاً فيقصر بفعلك ، ولا جباً فيخوفك مالا تخاف ، ولا حرباً فيعدك مالا يرضى ؛ فإن الجبن والبخل والحرص طبيعة واحدة ؛ يحجمها سوء الظن بالله تعالى .
- ٥٨٠ — لا تسكن بمن تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن .
- ٥٨١ — اعصِ هوأك والنساء وافعل ما بدا لك .
- ٥٨٢ — ما كنت كاتمة من عدوك فلا تظهر عليه صديقك .
- ٥٨٣ — كل من الطعام ما تشتهي ، والبس من الثياب ما يشتهي الناس .
- ٥٨٤ — ولتكن دارك أول ما يبتاع وآخر ما يباع .
- ٥٨٥ — من كان في يده شيء من رزق الله سبحانه فليصليحه ؛ فإنكم في زمان إذا احتاج المرء فيه إلى الناس كان أول ما يبذله لهم دينه .
- ٥٨٦ — ابذل لصديقك مالك ، ولمعرفتك رفقك ومحضرك ؛ وللعامّة بشرتك وتحنك ، ولعدوك عدلك وإنصافك ، واضنن بدبك وعرضك عن كل أحد .
- ٥٨٧ — جالس العقلاء أعداء كانوا أو أصدقاء ؛ فإن العقل يقع على العقل .
- ٥٨٨ — كن في الحرب بحيلتك أوثق منك بشدتك ، ونحذر أفرح منك بنجدتك ؛ فإن الحرب حرب للتهور وغنيمة المتحذر .
- ٥٨٩ — التعم وحشة فقيدوها بالمعروف .

٥٩٠ — إذا أخطأتك الصنعة إلى من يتقى الله فاصنعها إلى من يتقى العار .

٥٩١ — لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض .

٥٩٢ — إذا أكرمك الناس لمالٍ أو سلطانٍ فلا يُعجبَنَّكَ ذاك ، فإن زوال
الكرامة يزوالهما ؛ ولكن لمُعجبكَ إن أكرمكَ الناسُ لدينٍ أو أدبٍ .

٥٩٣ — ينبغي لمن لم يكرم وجهه عن مسألتك أن تُكرم وجهك عن ردِّه .

٥٩٤ — إِيَّاكَ ومشاورة النساء ؛ فإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَقْنٍ ، وعِزُّهُنَّ إِلَى وَهْنٍ ،
واكْتِفَتْ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْارْتِيَابِ ،
وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ دُخُولِهِنَّ مِنْ لَا يَتَّقِي بِهِ عَلَيْهِنَّ ؛ وَإِنْ اسْتَطَعْتَ الْإِيعَافَ
غَيْرَكَ فَافْعَلْ ؛ وَلَا تَمَكِّنْ امْرَأَةً مِنَ الْأَمْرِ مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْعَمُ لِبَالِهَا ،
وَأَرْخَى لِحَالِهَا ؛ وَإِنَّمَا الْمَرْأَةُ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ ؛ فَلَا تُعِدُّ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا ، وَلَا
تَعْطَاهَا أَنْ تَشْفَعَ لِنَفْسِهَا ؛ وَلَا تُطِلَّ اتِّخَاذَ مَعَهُنَّ فِيمَلَّتْكَ ، وَتَعْلَمُهُنَّ ، وَاسْتَبَقِ مِنْ نَفْسِكَ
بَقِيَّةً ؛ فَإِنَّ إِمْسَاكَكَ عَنْهُنَّ وَهُنَّ يُرِدُّنَكَ ذَلِكَ بِاِقْتِدَارٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَهْجُمَنَّ مِنْكَ
عَلَى انْكَسَارٍ . وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الْفِتْرَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ
مِنْهُنَّ إِلَى الشُّقْمِ .

٥٩٥ — إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَحْتَمَّ عَلَى كِتَابٍ ؛ فَأَعِدِ النَّظَرَ فِيهِ ؛ فَإِنَّمَا تَحْتَمُّ
عَلَى عَقْلِكَ .

٥٩٦ — إِنْ يَوْمًا أُسْكِرَ الْبَكِيمَارُ وَشَيَّبَ الصَّغَارَ لَشَدِيدُهُ .

٥٩٧ — كَمْ مِنْ مُبَرِّدٍ لَهُ الْمَاءُ وَالْحَمِيمُ يُغْفَى لَهُ .

٥٩٨ — الصَّلَاةُ صَابُونَ الْخَطَايَا .

٥٩٩ — إِنْ أَمْرًا عَرَفَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، وَزَهَّدَ فِيهِ لِأَحَقِّ ، وَإِنْ أَمْرًا
جَبَلَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ مَعَ وَضُوحِهِ لِلْجَاهِلِ .

٦٠٠ — إذا قال أحدكم : والله ، فلينظر ما يضيف إليها .

٦٠١ — رأيتك لا يتسع لكل شيء ؛ فقرغته اللهم من أمورك ، ومالك لا يعني الناس كلمهم فاحصن به أهل الحق ، وكرامتك لا تطيق بذلها في العامة ، فتوخر بها أهل الفضل ؛ وليك ومنهارك لا يستوعبان حوائجك فأحسن القسمة بين عملك ودعائك .

٦٠٢ — أخى المعروف بإمانيته .

٦٠٣ — اصحبوا من يذكركم إخوانكم إليه ، وينسى أياديته عندكم .

٦٠٤ — جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم .

٦٠٥ — إذا رغبت في السكارم فاجتنب المحارم .

٦٠٦ — لا تثقن كل الثقة بأخيك ، فإن سرعة الاسترسال لا تقال .

٦٠٧ — انتقم من الحرص بالقناعة ، كما تنتقم من العدو بالقصاص .

٦٠٨ — إذا قصرت يدك عن المكافأة ، فليطل لسانك بالشكر .

٦٠٩ — من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤنة الاستماع منك .

٦١٠ — الزمان ذو ألوان ، ومن يصحب الزمان يروا ألوان .

٦١١ — لا ترهقن في معروف ، فإن الدهر ذو صروف ؛ كم من راغب أصبح مرغوباً إليه ، ومشبوع أمسى تائباً .

٦١٢ — إن غابت يوماً على المال فلا تغابن على الحيلة على كل حال .

٦١٣ — كن أحسن ما تكون في الظاهر حالاً أقل ما تكون في الباطن مآلاً .

٦١٤ — لا تكونن المحدث من لا يسمع منه ، والدأخل في سيرة اثنين لم بد خلاه

فيه ، ولا الآتي وليمة لم يدع إليها ، ولا الجالس في مجلس لا يستحقه ، ولا طالب الفضل من أيدى اللئيم ، ولا التحقق في الدالة ، ولا المتعرض للخير من عند العدو .

٦١٥ — اطبع الطين مادام رطباً ، واغرس العود مادام لدنأ .

٦١٦ — خف الله حتى كأنك لم تطعمه ، وازج الله حتى كأنك لم تعصيه .

٦١٧ — لا تبلغ في سلامك على الإخوان حداً النفاق ، ولا تقصّرهم عن

درجة الاستحقاق .

٦١٨ — انصح نكل مستشير ، ولا تستشير إلا الناصح اللبيب .

٦١٩ — ما أقبح بك أن ينادى غداً يا أهل خطيئة كذا ؛ فتقوم معهم ، ثم ينادى

ثانياً : يا أهل خطيئة كذا ، فتقوم معهم ، ما أراك يأمسكين إلا تقوم مع أهل كل خطيئة !

٦٢٠ — ما أصاب أحد ذنباً ابلاً إلا أصبح وعليه مذلة .

٦٢١ — الاستغفار يحث الذنوب حث الورق ؛ ثم تلا قوله : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً

أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ ^(١) .

٦٢٢ — أيها المستكثر من الذنوب ، إن أباك أخرج من الجنة

بذنوب واحد .

٦٢٣ — إذا عصى الرب من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه .

٦٢٤ — لقاء أهل الخير عمارة القلوب .

٦٢٥ — أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالعضد من المنكب ، وكالذراع

من العَصْدِ ، وكالكَفِّ من الذراع ؛ رَبَّانِي صَغِيرًا ، وآخَانِي كَبِيرًا ؛ ولقد عَلِمْتُمْ أَنِّي
كَانَ لِي مِنْهُ بِجَلْسِ سِرٍّ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ غَيْرِي ؛ وَأَنَّهُ أَوْضَى إِلَيَّ دُونَ أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ
بَيْتِهِ ؛ وَلَا قَوْلَنِّي مَا لَمْ أَقُلْهُ لِأَحَدٍ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ ، سَأَلْتُهُ مَرَّةً أَنْ يَدْعُوَنِي بِالْمَغْفِرَةِ
فَقَالَ : أَفْعَلُ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى ؛ فَلَمَّا رَفَعَ يَدَهُ لِلدُّعَاءِ اسْتَمَعْتُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ قَائِلٌ : اللَّهُمَّ
بِحَقِّ عَلِيِّ عِنْدَكَ اغْفِرْ لِعَلِيٍّ ؛ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : أَوْاحِدٌ أَكْرَمُ
مِنْكَ عَلَيْهِ فَأَسْتَشْفِعُ بِهِ إِلَيْهِ !

٦٢٦ — وَاللَّهِ مَا قُلْتُ بِأَبِ خَيْبَرٍ ، وَدَكَدْتُ^(١) حِصْنَ يَهُودٍ بِقُوَّةِ
جِسْمَانِيَّةٍ بَلْ بِقُوَّةِ إِلَهِيَّةٍ .

٦٢٧ — يَا بَنَ عَوْفٍ ؛ كَيْفَ رَأَيْتَ صَانِعَكَ مَعَ عُمَانَ ! رَبُّبَا وَائِقِي خَجَلًا ، وَمَنْ
لَمْ يَتَوَخَّ بِعَمَلِهِ وَجْهَ اللَّهِ عَادَ مَا دَحَاهُ مِنَ النَّاسِ لَهُ ذَائِعًا .
٦٢٨ — لَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ لَخَسَمْتَ عَلَى لِسَانِكَ .

٦٢٩ — لَيْسَ الْحَلَمُ مَا كَانَ حَالُ الرِّضَاءِ ، بَلِ الْحَلَمُ مَا كَانَ حَالُ الْغَضَبِ .
٦٣٠ — لَيْسَ شَيْءٌ أَقْطَعَ لظَهْرِ إِبْلِيسَ مِنْ قَوْلٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
كَلِمَةُ الْقَوِيِّ .

٦٣١ — لَا تَحْمِلُوا ذُنُوبَكُمْ وَخَطَايَاكُمْ عَلَى اللَّهِ ، وَتَذَرُوا أَنْفُسَكُمْ وَالشَّيْطَانَ .
٦٣٢ — إِنَّ أَخَوَفَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الدَّجَالِ ، أُمَّةٌ مُضِلُّونَ وَهُمْ رُؤَسَاءُ
أَهْلِ الْبِدْعِ .

٦٣٣ — إِذَا زَلَلْتَ فَارْجِعْ ، وَإِذَا نَدِمْتَ فَاقْلَعْ ، وَإِذَا أَسَأْتَ فَانْدِمْ ؛ وَإِذَا مَنَنْتَ
فَاكْتُمْ ، وَإِذَا مَنَعْتَ فَاتَّجِلْ ، وَمَنْ يُسَلِّفِ الْمَعْرُوفَ يَكُنْ رِجْهُ الْحَدَّ .

- ٦٣٤ — استشرْ عدوكَ تجربةً لتعلمَ مقدارَ عداوتِهِ .
- ٦٣٥ — لا تطلُبَنَّ مِنْ نَفْسِكَ العامَّ ما وعدتَكَ طاماً أوَّلَ .
- ٦٣٦ — أطولُ الناسِ عُمرًا مَنْ كَثُرَ علَمُهُ ، فَتَأَدَّبَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ ، أَوْ كَثُرَ معروفُهُ فَشُرِفَ بِهِ عَقِبُهُ .
- ٦٣٧ — استهيئوا بالموتِ فَإِنْ مرَّ رتَهُ فِي خوفِهِ .
- ٦٣٨ — لَادِينِ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ ، وَلَا مَالِ لِمَنْ لَا تَدْبِيرَ لَهُ ، وَلَا عَيْشَ لِمَنْ لَا رِفْقَ لَهُ .
- ٦٣٩ — مَنْ اشْتَغَلَ بِتَفْقُهِ اللَّفْظَةِ ، وَطَلَبِ السَّجْعَةِ ^(١) ، نَسِيَ الْحُجَّةَ .
- ٦٤٠ — الدُّنْيَا مَطْيَةُ الْمُؤْمِنِ ، عَلَيْهَا يَرْحَلُ إِلَى رَبِّهِ ، فَأَصَاحُوا مَطَابَاكُمْ تُلْفَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ .
- ٦٤١ — مَنْ رَأَى أَنَّهُ مَسِيٌّ فَهُوَ مُحْسِنٌ ، وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ مُحْسِنٌ فَهُوَ مَسِيٌّ .
- ٦٤٢ — سَيِّئَةُ نَسْوِكَ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَةِ تَعْجِيكَ .
- ٦٤٣ — اطْلُبُوا الْحَاجَاتِ بَعْزَةَ الْأَنْفُسِ ؛ فَإِنْ بَدَّرَ اللَّهُ قَضَاءَهَا .
- ٦٤٤ — غَضَبٌ حُسَادُكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ .
- ٦٤٥ — إظهارُ الفاقةِ مِنْ خَوْلِ الهمةِ .
- ٦٤٦ — يَا عَالِمُ ، قَدْ قَامَ عَلَيْكَ حُجَّةُ الْعِلْمِ ، فَاسْتَيْقِظْ مِنْ رَقَدِكَ .
- ٦٤٧ — الرُّقُقُ يَفْلُحُ حَدَّ الْخَالِفَةِ .
- ٦٤٨ — أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلاً ، وَأَكْمَلُهُمْ فَضْلاً مِنْ صَحْبِ أَبَائِهِ بِالْمَوَادَعَةِ ، وَإِخْوَانِهِ بِالْمَسَالَةِ ، وَقَبْلَ مِنَ الزَّمَانِ عَفْوُهُ .

(١) أى من طلب تزيين الكلام .

٦٤٩ — الوجوه إذا كثرت تقابلها ، اعتصر بعضها ماء بعض .

٦٥٠ — أداء الأمانة مفتاح الرزق .

٦٥١ — حصن علمك من العجب ، ووقارك من الكبر ، وعطاءك من السرف ، وصرامتك من العجلة ، وعقوبتك من الإفراط ، وعنوك من تعطيل الحدود ، وصمتك من النسي ، واستماعك من سوء الفهم ، واستثناسك من البذاء ، وخلوانك من الإضاعة ، وغرمانك من اللجاجة ، وروغانك من الاستسلام ، وحذرانك من الجبن .

٦٥٢ — لا تجدد الموتور المحذور أماناً من أذاه أوثق من البعد عنه ، والاحتراس .

٦٥٣ — احذر من أفعالك ومخاطبتك الكثير المسألة ، الحسن البحث ، اللطيف الاستدراج ، الذي يحفظ أول كلامك على آخره ، ويعتبر ما أخرت بما قدمت ، ولا تظهر له الخافة فيرى أنك قد تحررت وتحفظت . واعلم أن من بقطة النطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر ، غلط هذا مخالطة الآمن ، وتحفظ منه تحفظ الخائف ؛ فإن البحث يظهر الخفي ، ويبدى المستور الكامن .

٦٥٤ — من بره الغنى بلا سلطان ، والكثرة بلا عشيرة ، فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته ؛ فإنه واجد ذلك كله .

٦٥٥ — الشيب إعدار الموت .

٦٥٦ — من ساس نفسه بالصبر على جهل الناس صالح أن يكون سائساً .

٦٥٧ — لله تعالى كل لحظة ثلاثة عساكر : فمسكر ينزل من الأصلاب إلى الأرحام ، وعسكر ينزل من الأرحام إلى الأرض ، وعسكر يرتحل من الدنيا إلى الآخرة .

- ٦٥٨ — اللَّهُمَّ ارحمني رحمة الغفران ، إن لم ترحمني رحمة الرضا .
- ٦٥٩ — إلهي كيف لا يحسن مني الظن ؛ وقد حسن منك المن ؛ إلهي إن عاملتنا بعدلك لم يبق لنا حسنة ، وإن أنلتنا فضلك لم يبق لنا سيئة .
- ٦٦٠ — العلم سلطان ، من وجدته صال به ، ومن لم يجدته صيل عليه .
- ٦٦١ — يا ابن آدم إنما أنت أيامٌ مجموعة ؛ فإذا مضى يومٌ مضى بعضك .
- ٦٦٢ — حيث تكون الحكمة تكون خشية الله ، وحيث تكون خشية الله تكون رحمة .
- ٦٦٣ — اللَّهُمَّ إني أرى لدى من فضلك ما لم أسألك ، فعلت أن لديك من الرحمة ما لا أعلم ، فصبرت قيمة مطايي فيما عابيت ، وقصرت غاية أملى عندما رجوت ، فإن ألحقت في سؤالي قلما فاقني إلى ما عندك ، وإن قصرت في دعائي فيما عوذت من ابتدائك .
- ٦٦٤ — من كان همه ما يدخل جوفه كانت قيمته ما يخرج منه .
- ٦٦٥ — يقول الله تعالى : يا ابن آدم ، لم أخلقك لأربح عليك ، إنما خلقتك لتربح علي ، فاتخذني بدلاً من كل شيء فإني ناصر لك من كل شيء .
- ٦٦٦ — الرجاء للخالق سبحانه أقوى من الخوف ، لأنك تخافه لذنبك ، وترجوه لجوده ، فالخوف لك والرجاء له .
- ٦٦٧ — أسألك بعزّة الوحدانية ، وكرّم الإلهية ، ألا تقطع عني برّك بعد مماتي ، كما لم تر تراني أيام حياتي ، أنت الذي تجيب من دعائك ، ولا تحجب من رجائك ، صل من يدعو إلا إليك ، فإنك لا تحجب من أتاك ، وتفضل على من

عصاك ، وَلَا يَفُوتُكَ مِنْ نَاوَاكَ ، وَلَا يُعْجِزُكَ مِنْ عَادَاكَ ؛ كُلُّ فِي قُدْرَتِكَ ، وَكُلُّ بِأَكْلِ رِزْقِكَ .

٦٦٨ — لَا تَطْلُبَنَّ إِلَى أَحَدٍ حَاجَةً لَيْلًا ؛ فَإِنَّ الْحَيَاءَ فِي الْعَيْنَيْنِ .

٦٦٩ — مَنْ أَزْدَادَ عِلْمًا فَلْيَحْذَرْ مِنْ تَوْكِيدِ الْحِجَّةِ عَلَيْهِ .

٦٧٠ — الْعَاقِلُ يُنَافِسُ الصَّالِحِينَ لِيَأْتِيَ بِهِمْ ، وَيُحِبُّهُمْ لِشَارِكِهِمْ بِمَحَبَّةٍ ؛ وَإِنْ قَصَّرَ عَنْ مِثْلِ عَمَلِهِمْ ، وَالْجَاهِلُ يَذُمُّ الدُّنْيَا وَلَا يَسْتَخُو بِإِخْرَاجِ أَقْلَاهَا ، يَمْدَحُ الْجُودَ ، وَيَبْخُلُ بِالْبَذْلِ ، يَتَمَنَّى التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ ، وَلَا يُعْجَلُهَا لَخَوْفِ حُلُولِ الْأَجْلِ ، يَرْجُو ثَوَابَ عَمَلٍ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ ، وَيَفْرُغُ مِنَ النَّاسِ لِيُطْلَبَ ، وَيَخْفَى شَخْصَهُ لِيَسْتَتِيرَ ، وَيَذُمُّ نَفْسَهُ لِيَمْدَحَ ، وَيَنْهَى عَنِ مَدْحِهِ وَهُوَ يَحِبُّ أَلَّا يَنْتَهَى مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ .

مركز تحقيق الكتب التراثية والعلوم الإسلامية

٦٧١ — الْآنَسُ بِالْعِلْمِ مِنْ نَبْلِ الْهَمَّةِ .

٦٧٢ — اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجْهِي عَنِ السُّجُودِ لِفَيْزِكَ ، فَصُنْ وَجْهِي عَنِ مَسْأَلَةِ غَيْرِكَ .

٦٧٣ — مِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْقُصُكَ إِذَا زِدْتَهُ ، وَيَهُونُ عَلَيْكَ إِذَا خَاصَصْتَهُ ، لَيْسَ لِرِضَاهُ مَوْضِعٌ تَعْرِفُهُ ، وَلَا لِسَخَطِهِ مَكَانٌ تَحْذَرُهُ ، فَإِذَا لَقِيتَ أَوْلَئِكَ فَاذْكُرْ لَهُمْ مَوْضِعَ الْمَوَدَّةِ الْعَامَّةِ ، وَاحْرِمْهُمْ مَوْضِعَ الْخَاصَّةِ ؛ لِيَكُونَ مَا بَدَلْتَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَائِلًا دُونَ شَرِّهِمْ ، وَمَا حَرَمْتَهُمْ مِنْ هَذَا قَاطِعًا لِحَرَمَتِهِمْ .

٦٧٤ — مَنْ شَبَّحَ عُوقِبَ فِي الْحَالِ ثَلَاثَ عُقُوبَاتٍ : يُلْقَى الْفِطَاءُ عَلَى قَائِمِهِ ، وَالشُّعَاسُ عَلَى عَيْنِهِ ، وَالْكَسَلُ عَلَى بَدَنِهِ .

٦٧٥ — دَمُ الْعُقْلَاءِ أَشَدُّ مِنْ عُقُوبَةِ السُّلْطَانِ .

٦٧٦ — يَقْطَعُ الْبَلِيعُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ أَمْرَانِ : ذُلُّ الطَّلَبِ ، وَخَوْفُ الرَّدِّ .

٦٧٧ — الْمُؤْمِنُ مُحَدِّثٌ .

- ٦٧٨ — قلّ أن ينطق لسانُ الدَّعوى إلا ويخْرِسه كِعامُ الامتحان .
- ٦٧٩ — انظر ما عندك فلا تَضَعْهُ إلا في حَقِّه ؛ وما عند غيرك فلا تأخُذْهُ إلا بحَقِّه .
- ٦٨٠ — إذا صافاك عدوك رِياءَ منه فتلقَ ذلك بأوكد مودَّةٍ ؛ فإنه إن أَلِفَ ذلك واعتادَهُ خلصت لك مودَّتُهُ .
- ٦٨١ — لا تألّف المسألة فيألفك النعم .
- ٦٨٢ — لا تسأل الخواصَّ غيرَ أهلها ، ولا تسألها في غيرِ حينها ، ولا تسأل مالستَ لَهُ مُستحقاً فتكونَ للحرمانِ مُستوجباً .
- ٦٨٣ — إذا غَشَّكَ صديقك فاجمعه معَ عدوك .
- ٦٨٤ — لا تمدَّنْ من إخوانك من آخاك في أيامِ مقدرتك للمقدرة ، واعلم أنه ينتقلُ عنك في أحوالٍ ثلاث : يَكُونُ صديقاً يومَ حاجته إليك ، ومُعرِضاً يومَ غناه عنك ، وعدوّاً يومَ حاجتك إليه .
- ٦٨٥ — لا تسرَّنْ بكثرةِ الإخوانِ ما لم يَكُونُوا أخياراً ؛ فإن الإخوانَ بمنزلةِ النار التي قَلِيماها متاعٌ وكثيرُها بوارٌ .
- ٦٨٦ — كفالك خيانةً أن تكونَ أميناً للخونة .
- ٦٨٧ — لا تحقرن شيئاً من الخير وإن صغر ؛ فإنك إذا رأيتَ سركَ مكانه ؛ ولا تحقرن شيئاً من الشرِّ وإن صغرُ فإنك إذا رأيتَ ساءك مكانه .
- ٦٨٨ — يابن آدم ؛ ليس بك غناه عن نصيبك من الدنيا ، وأنتَ إلى نصيبك من الآخرةِ أَفقرُ .

٦٨٩ — معصية العالم إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها ، وإذا ظهرت ضرت صاحبها والعامة .

٦٩٠ — يجب على العاقل أن يكون بما أحيأ عقله من الحكمة أكثر منه بما أحيأ جسمه من الغذاء .

٦٩١ — أعسر العيوب صلاحاً العيوب واللحاجة .

٦٩٢ — لكل نعمة مفتاح ومفلاق ، ففناها الصبر ، ومفلاقها الكسل .

٦٩٣ — الحزن والغضب أميران تابعان لوقوع الأمر بخلاف ماتحجب ، إلا أن المكروه إذا أتاك ممن فوقك نتج عليك حزناً ، وإذا أتاك ممن دونك نتج عليك غضباً .

٦٩٤ — أول المعروف مستخف ، وآخره مستغل ؛ تكاد أوائله تكون للهوى دون الرأي ، وآخره للرأي دون الهوى ؛ ولذلك قيل : رب الصنعة أشد من الابتداء بها .

٦٩٥ — لا تدع الله أن يفتيك عن الناس فإن حاجات الناس بعضهم إلى بعض متصلة كاتصال الأعضاء فمتى يستغنى المرء عن يده أو رجليه ولكن ادع الله أن يفتيك عن شرارهم .

٦٩٦ — احترم من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه ؛ ومن ذكر القديم الشرف عند من لا قديم له ، فإن ذلك مما يحقد لها عليك .

٦٩٧ — ينبغي لذوي القربات أن يتزاوروا ولا يتجاوزوا .

٦٩٨ — لا تواخ شاعراً فإنه يمدحك بشمن ، ويهجوك بحجاًنا .

٦٩٩ — لا تنزن حوائجك بجيد اللسان ، ولا بمقترع إلى الضمان .

- ٧٠٠ — كلُّ شيءٍ طلبتهُ في وقتهِ فقد فات وقتهُ .
- ٧٠١ — إذا شككتَ في مودةِ إنسانٍ فاسألْ قلبكَ عنه .
- ٧٠٢ — العقلُ لم يجنِ على صاحبه قطُّ ؛ والعلمُ من غيرِ عقلٍ يجنى على صاحبه .
- ٧٠٣ — يا بن آدم ؛ هل تنتظرُ إلا هَرَمًا حائلًا^(١) ، أو مرضًا شاعلاً ، أو موتًا نازلًا !
- ٧٠٤ — ابنك يأكلُ صَغيراً وبرئتك كبيراً ، وابنتك تأكلُ من وطائك ، وترثُ من أعدائك ، وإن عمك عدوك وعدوك عدوك ، وزوجتك إذا قلتَ لها قومي قامت .
- ٧٠٥ — إذا ظفرتُم فأكرموا العبيَّة ، وعليكم بالنفاقِ فإنه فعلُ الكرام ، وإياكم والبنّ فإنه مهْدمةٌ للصنعة ، منبهةٌ للصميمة .
- ٧٠٦ — من لم يزوجْ إلا ما استوجبه أذرك حاجته .
- ٧٠٧ — بلغ من خدع الناس ؛ أن جعلوا شكرَ الموتى تجارةً عندَ الأحياء ، والثناء على الغائبِ استمالةً للشاهد .
- ٧٠٨ — من احتاج إليك تقلَّ عليك ، ومن لم يصلحه الخيرُ أصلحه الشرُّ ، ومن لم يصلحه الطالِ أصلحه الكاوي .
- ٧٠٩ — من أكثر من شيءٍ عرف به ، ومن رأى زنى به ، ومن طلب عفايا خاطرَ بمظلمته ، ومن أحبَّ أن يصيرَ أخاهُ فليقرضه ثم لينقاضه ؛ ومن أحبَّ لشيءٍ ملكَ عندَ انقضاءه ، ومن عرفَ بالحكمةِ لاحظته الميؤنُ بالوقار .

(١) حائلًا ؛ أي مانعاً يمنع من أداء أعماله .

- ٧١٠ — مَنْ بَلَغَ السَّبْعِينَ اشْتَبَكَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ .
- ٧١١ — فِي الْمَالِ ثَلَاثُ خِصَالٍ مَذْمُومَةٌ : إِمَّا أَنْ يُكْتَسَبَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ، أَوْ يَمْنَعَ إِنْقَاقُهُ فِي حَقِّهِ ، أَوْ يُشْتَغَلَ بِإِصْلَاحِهِ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى .
- ٧١٢ — يُبَاعِدُكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ إِلَّا تَغْضَبَ .
- ٧١٣ — لَا تَسْتَبْدِلَنَّ بِأَخِيكَ قَدِيمَ أَخِيكَ مُسْتَفَادًا مَا اسْتَقَامَ لَكَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ فَقَدْ غَيَّرْتَ ، وَإِنْ غَيَّرْتَ تَنَيَّرْتَ نَعْمُ اللَّهُ عَلَيْكَ .
- ٧١٤ — أَشَدُّ مِنَ الْبَلَاءِ شِمَانَةُ الْأَعْدَاءِ .
- ٧١٥ — لَيْسَ يَزْنِي فَرْجُكَ إِنْ غَضَضْتَ طَرْفَكَ .
- ٧١٦ — كَمَا تَرَكَ لَكُمْ الْمُلُوكُ الْحِكْمَةَ وَالْعِلْمَ فَاتْرَكُوا لَهُمُ الدُّنْيَا .
- ٧١٧ — الْهَدْيَةُ تَقْفَأُ عَيْنَ الْحَكِيمِ .
- ٧١٨ — لِيَكُنْ أَصْدِقَاؤُكَ كَثِيرًا ، وَاجْعَلْ سِرَّكَ مِنْهُمْ إِلَى وَاحِدٍ .
- ٧١٩ — يَا عِبِيدَ الدُّنْيَا ؛ كَيْفَ تُخَالِفُ فُرُوعَكُمْ أَصُولَكُمْ ، وَعُقُولَكُمْ أَهْوَاءَكُمْ ، قَوْلُكُمْ شِفَاءُ يُبْرِئُ الدَّاءَ ، وَعَمَلُكُمْ دَاءٌ لَا يَقْبَلُ الدَّوَاءَ ؛ وَأَنْتُمْ كَالْكَرْمَةِ الَّتِي حَسَنُ وَرْقُهَا ، وَطَابَ ثَمَرُهَا ، وَسَهْلُ مَرْثَقَاهَا ؛ وَلَكِنَّكُمْ كَالشَّجَرَةِ الَّتِي قَلَّ وَرْقُهَا ، وَكَثُرَ شَوْكُهَا ، وَخُبْتُ ثَمَرُهَا ، وَصَعِبَ مَرْثَقَاهَا . جَعَلْتُمْ الْعِلْمَ تَحْتَ أَوْدَامِكُمْ ، وَالْدُّنْيَا فَوْقَ رُءُوسِكُمْ ؛ فَالْعِلْمُ عِنْدَكُمْ مُذَالٌّ عَمْتَيْنِ ، وَالْدُّنْيَا لَا يُسْتَطَاعُ تَنَاوُلُهَا ؛ فَقَدْ مَنَعْتُمْ كُلَّ أَحَدٍ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا ؛ فَلَا أَحْرَارَ كَرَامٍ أَنْتُمْ ، وَلَا عِبِيدَ اتَّقِيَاهُ . وَيَحْكُمُ بِأَجْرَاءِ السُّوءِ ! أَمَّا الْأَجْرُ فَنَأْخُذُونَ ، وَأَمَّا الْعَمَلُ فَلَا تَعْمَلُونَ ؛ إِنْ عَمِلْتُمْ فَلِلْعَمَلِ تَفْسُدُونَ ، وَسَوْفَ تَلْقَوْنَ مَا تَفْعَلُونَ ، يُوشِكُ رَبُّ الْعَمَلِ أَنْ يَنْظُرَ فِي عَمَلِهِ الَّذِي أَفْسَدْتُمْ ، وَفِي أَجْرِهِ الَّذِي أَخَذْتُمْ . يَا غُرْمَاءَ السُّوءِ ، تَبْدَعُونَ بِالْهَدْيَةِ قَبْلَ قَضَاءِ

الدِّينَ ، تَتَطَوَّعُونَ بِالنَّوْافِلِ وَلَا تُؤَدُّونَ الْقَرَائِصَ ، إِنْ رَبَّ الدِّينِ لَا يَرْضَى بِالْهَدِيَّةِ حَتَّى يُقْضَى دَيْنُهُ .

٧٢٠ — الدُّنْيَا مَرْعَةٌ لِإِبْلِيسَ ، وَأَهْلُهَا أَكْرَةُ حَرَّاثُونَ لَهُ فِيهَا .

٧٢١ — وَاعْجَبَا مَنْ يَعْمَلُ لِلدُّنْيَا وَهُوَ يَرْزُقُ فِيهَا بِغَيْرِ عَمَلٍ ، وَلَا يَعْمَلُ لِلْآخِرَةِ وَهُوَ لَا يَرْزُقُ فِيهَا إِلَّا بِالْعَمَلِ !

٧٢٢ — لَا تُجَالِسُوا إِلَّا مَنْ يَذْكُرُكُمْ اللَّهُ رَوْيَتُهُ ، وَيَزِيدُ فِي عَمَلِكُمْ مَنْطِقَةً ، وَيَرْغِبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ .

٧٢٣ — كَثْرَةُ الطَّعَامِ تَمِيتُ الْقَلْبَ كَمَا تَمِيتُ كَثْرَةُ الْمَاءِ الزَّرْعَ .

٧٢٤ — ضَرْبُ الْوَالِدِ الْوَالِدَ كَالضَّرْبِ لِلزَّرْعِ .

٧٢٥ — إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصَادِقَ رَجُلًا فَأَغْضِبْهُ ، فَإِنْ أَنْصَفَكَ فِي غَضَبِهِ وَلَا فَدَعَهُ .

٧٢٦ — إِذَا أُتِيتَ بِمَجْلِسٍ قَوْمٍ فَارْمِهِمْ بِسَهْمِ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ اجْلِسْ — يَعْنِي السَّلَامَ — فَإِنْ أَفَاضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَأَجِلْ سَهْمَكَ مَعَ سَهْمِهِمْ ، وَإِنْ أَفَاضُوا فِي غَيْرِهِ تَحَلَّاهُمْ وَانْهَضْ .

٧٢٧ — الْأَوْطَارُ تَكْسِبُ الْأَوْزَارَ ، قَارِضٌ وَطَرَكَ ، وَاغْضَضٌ بَصَرَكَ .

٧٢٨ — إِذَا قَعَدْتَ عِنْدَ سُلْطَانٍ فَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَقْعَدُ رَجُلٍ ؛ فَلَعَلَّهُ أَنْ بَأْتِيَهُ مِنْ هُوَ آتَرُ عِنْدَهُ مِنْكَ ؛ فَيُرِيدُ أَنْ تَنْتَحَى عَنْ مَجْلِسِكَ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ نَقْصًا عَلَيْكَ وَشَيْنًا .

٧٢٩ — اِرْحَمِ الْفُقَرَاءَ لِقَلَّةِ صَبْرِهِمْ ، وَالْأَغْنِيَاءَ لِقَلَّةِ شُكْرِهِمْ ؛ وَارْحَمِ الْجَمِيعَ لِطُولِ غَفْلَتِهِمْ .

٧٣٠ — العالمُ مصباحُ الله في الأرضِ ، فمن أرادَ الله به خيراً اقتبسَ منه .

٧٣١ — لا يهونَنَّ عليك من قُبْحِ منظره ورثَ لباسه ؛ فإنَّ الله تعالى ينظرُ إلى القلوبِ ويَجْزِي بالأعمالِ

٧٣٢ — من كَذَبَ ذَهَبَ بِمَاءِ وجهه ، ومن ساءَ خُلُقُهُ كَثُرَ غَمُّهُ ، ونقلَ الصَّخُورِ مِنْ مواضعها أَهْوَنُ مِنْ تفهيمِ مَنْ لا يفهمُ .

٧٣٣ — كنتُ في أَيَّامِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كَجُرْدٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ، ينظرُ إلى النَّاسِ كما يُنظرُ إلى الكواكبِ في أفقِ السماءِ ، ثم غَضَّ الدَّهْرُ مِنِّي ، ففَرَنَ بِي فلانٌ وفلانٌ ، ثم قُرِنتُ بِخَمْسَةِ أمثالِهِمْ عِمانُ ، فقلتُ : واذقواهُ ^(١) ! ثم لم يَرْضَ الدَّهْرُ لِي بِذَلِكَ ؛ حتى أُرذِلْنِي ، فجعلني نظيراً لابنِ هِنْدٍ وابنِ النابغةِ ! لقد استنَّتَ الفصالُ حتى القرعى .

٧٣٤ — أما والذي فلقَ الحَبَّةَ ، وبرَأَ النَّسَمَةَ ، إنه لَمَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ إلى أنْ الأُمَّةُ سَتَفْدِرُ بِكَ مِنْ بعدى .

٧٣٥ — لامتهُ فاطمةُ على قعودِهِ وأطالت تعنيفهُ ؛ وهو ساكتٌ حتى أذَنَ الْمُؤَذِّنُ ، فلما بلغَ إلى قوله : « أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ » ، قالَ لها : اتَّحِشَّيْنِ أَنْ تَزُولَ هَذِهِ الدَّعْوَةُ مِنَ الدُّنْيَا ؟ قالتَ : لا ، قالَ فهوَ ما أَقولُ لَكَ .

٧٣٦ — قالَ لِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله : إِنْ اجتمعوا عَلَيْكَ فاصنعْ ما أَمَرْتُكَ ؛ وإِلَّا فَأَلْصِقْ كَنَاسَكَ بِالْأَرْضِ ؛ فلما تَفَرَّقُوا عَنِّي جَرِيتُ على المَكْرُوهِ ذِلِّي ، وأَغْضَيْتُ على القَدَى جَفَنِي ، وأَلْصَقْتُ بِالْأَرْضِ كَنَاسَكِي .

٧٣٧ — الدُّنْيَا حُلْمٌ وَالْآخِرَةُ يَقْظَةٌ ؛ ونحنُ بَيْنَهُمَا أَصْفَاتُ أَحْلَامٍ .

٧٣٨ — لَمَّا عَرَفَ أَهْلُ الْقَصَصِ حَالَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الْكَمَالِ ، اسْتَعَانُوا بِالْكَثِيرِ لِيُعْظَمَ صَغِيرًا ، وَيَرْفَعَ حَقِيرًا ، وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ .

٧٣٩ — لَوْ تَمَيَّزَتِ الْأَشْيَاءُ كَانَتِ الْكَذِبُ مَعَ الْجُبْنِ ، وَالصَّدْقُ مَعَ الشَّجَاعَةِ ، وَالرَّاحَةُ مَعَ الْيَأْسِ ، وَالتَّعَبُ مَعَ الطَّمَعِ ، وَالْحَرَمَانُ مَعَ الْحَرَصِ ، وَالذُّلُّ مَعَ الدَّيْنِ .

٧٤٠ — الْمَعْرُوفُ غُلٌّ لَا يَفُكُّهُ إِلَّا شُكْرٌ أَوْ مَكَافَاةٌ .

٧٤١ — كَثْرَةُ مَالِ الْمَيِّتِ تَسْلِيُ وَرَثَتَهُ عَنْهُ .

٧٤٢ — مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَ عَلَيْهِ مَالُهُ .

٧٤٣ — مَنْ كَثُرَ مُزَاحُهُ لَمْ يَسَلَمْ مِنْ اسْتِخْفَافِهِ بِهِ ، أَوْ حَقْدِهِ عَلَيْهِ .

٧٤٤ — كَثْرَةُ الدَّيْنِ تَضْطَرُّ الصَّادِقَ إِلَى الْكُذْبِ وَالْوَاعِدَ إِلَى الْإِخْلَافِ .

٧٤٥ — عَارُ النَّصِيحَةِ بِكَدَرِ لَذَنُهَا .

٧٤٦ — أَوَّلُ الْعَضَبِ جَنُونٌ ، وَآخِرُهُ نَدَمٌ .

٧٤٧ — انْفِرْذِ بِسَرِّكَ وَلَا تَوَدِّعْ حَازِمًا فَيَزِلَّ ، وَلَا جَاهِلًا فَيُغْوِنَ .

٧٤٨ — لَا تَقْطَعْ أَخَاكَ إِلَّا بَعْدَ عَجْزِ الْحِيلَةِ عَنْ اسْتِصْلَاحِهِ ، وَلَا تُتْبِعْهُ بَعْدَ

الْقُطْعَةِ وَقِيعةً فِيهِ ؛ فَتُسَدَّ طَرِيقُهُ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَيْكَ ، وَلَعَلَّ التَّجَارِبَ أَنْ تَرُدَّهُ عَلَيْكَ وَتُصْلِحَهُ لَكَ .

٧٤٩ — مَنْ أَحْسَنَ بَصُفِّ حِيلَتِهِ عَنِ الْاِكْتِسَابِ بَخِلَ .

٧٥٠ — الْجَاهِلُ صَغِيرٌ وَإِنْ كَانَ شَيْخًا ، وَالْعَالِمُ كَبِيرٌ وَإِنْ كَانَ حَدَثًا .

٧٥١ — الْمَيِّتُ يَقِلُّ الْحَسْدُ لَهُ ، وَيَكْثُرُ الْكَذِبُ عَلَيْهِ .

٧٥٢ — إِذَا نَزَلَتْ بِكَ النِّعْمَةُ فَاجْعَلْ قِرَاحًا لِلشُّكْرِ .

٧٥٣ - الحرصُ ينقصُ من قدرِ الإنسانِ ولا يزيدُ في حظِّهِ .

٧٥٤ - الفرصةُ سريعةُ القوتِ بطيئةُ الموَدِّ .

٧٥٥ - أبخلُ الناسِ بمالهٍ أجودهم بمرضه .

٧٥٦ - لا تتبعِ الذنوبَ العقوبةَ واجعلْ بينهما وقتاً للاعتذارِ .

٧٥٧ - اذكرْ عندَ الظلمِ عدلَ اللهِ فيكَ ، وعندَ القدرةِ قدرةَ اللهِ عليكِ .

٧٥٨ - لا يحملَنَّ الحقُّ على اقرارِ الإثمِ فتشفي غيظك وتسقم دينك .

٧٥٩ - الملِكُ بالدينِ يبقى والدينُ بالملكِ يقوى .

٧٦٠ - كانَ الحاسدُ إنما خلقَ ليغتاظَ .

٧٦١ - عقلُ الكاتبِ في قلمه .

٧٦٢ - اقتصرْ من شهوةٍ خالفتِ عقلك بالخلافِ عليها .

٧٦٣ - اللهمَّ صُنْ وجهي باليسارِ ، ولا تبذلْ جاهي بالإقتارِ ؛ فأستزقَ طالبي

رزقك ، وأستعطفَ شرارَ خالقك ، وأبتلي بحمد من أعطاني ، وأفتنَ بدم من منعي ؛ وأنت من وراء ذلك وليُّ الإعطاء والمنعِ ، إنك على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

٧٦٤ - كلُّ حقدٍ حقدته قريشٌ على رسولِ الله صلى الله عليه وآله أظهرته في

وسْطَ ظهْرِهِ في ولدي من بعدى ، مالى وقريشٍ ! إنما وترتهم^(١) بأمرِ الله وأمرِ رسولِهِ ؛ أفهذا جزاء من أطاعَ الله ورسولَهُ إن كانوا مسلمينَ !

٧٦٥ - محباً لسعدٍ وابنِ عمر ! يزعمانِ أنى أحاربُ على الدنيا ، أفكانَ رسولُ

الله صلى الله عليه وآله يحاربُ على الدنيا ! فإن زعما أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله حاربَ لتكسيرِ الأصنامِ ، وعبادةِ الرحمنِ ؛ فإنما حاربتُ لدفعِ الضلالِ والنهي عن

(١) وترتهم : أحدثت عندهم وتراً ..

الفحشاء والفساد ؛ أفغلى بزن بحب الدنيا ! والله لو تمثلت لي بشراً سوية
لضربتها بالسيف .

٧٦٦ — اللهم أنت خلقتني كما شئت ، فارحمي كيف شئت ، ووقني لطاعتك ،
حتى تكون ثقتي كلها بك ، وخوفي كله منك .

٧٦٧ — لا أكبن إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر .

٧٦٨ — من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها فاقرها .

٧٦٩ — لا تطمع في كل ما تسمع .

٧٧٠ — من عاب ووبخ فقد استوفى حقه .

٧٧١ — الجود الذي استطاع أن يناول به كل أحد ، هو أن ينوي الخير
لكل أحد .

٧٧٢ — من حجب السلطان بالصحة والنصيحة كان أكثر عدواً ممن حجب
بالفسق والخيانة .

٧٧٣ — من عاب سفة فقد رفعه ، ومن عاب كريماً فقد وضع نفسه .

٧٧٤ — الموالى ينصرون ، وبنو العم يحسدون .

٧٧٥ — الصدق عز ، والكذب مذلة ، ومن عرف بالصدق جزأ كذبه ، ومن
عرف بالكذب لم يجز صدقه .

٧٧٦ — إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطي لها فإنها تتخطأك .

٧٧٧ — نحن نريد ألا نموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب حتى نموت .

٧٧٨ — أنزل الصديق منزلة العدو في رفع المؤنة عنه ، وأنزل العدو منزلة
الصديق في تحمل المؤنة له .

٧٧٩ — أَوَّلُ عَقُوبَةِ الْكَاذِبِ أَنْ صَدَقَهُ يُرَدُّ عَلَيْهِ .

٧٨٠ — الْأَدَبُ عِنْدَ الْأَحَقِّ كَلِمَاءُ الْمَذْبِ فِي أَصُولِ الْخُذْلِ ، كَمَا أَزْدَادُ رِيًّا
ازداد مرارة .

٧٨١ — إِيَّاكُمْ وَحَيَّةُ الْأَوْغَادِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَرُونَ الْعَفْوَ ضَيْمًا .

٧٨٢ — الْكَرِيمُ لَا يَسْتَقْصِي فِي مُحَافَةِ الْمُعْذِرِ ، خَوْفًا أَنْ يَجْزَى مِنْ لَا يَجْدُ
مُخْرَجًا مِنْ ذَنْبِهِ .

٧٨٣ — الْعَفْوُ عَنِ الْمُقْرِ لَا عَنِ الْمَصْرِ .

٧٨٤ — مَا اسْتَغْنَى أَحَدٌ بِاللَّهِ إِلَّا افْتَقَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ .

٧٨٥ — مَنْ جَادَ بِمَالِهِ فَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَادًا بِهَا بَعِيْنَهَا فَقَدْ
جَادَ بِقَوَامِهَا .

٧٨٦ — الدِّينُ مَيْسَمُ الْكِرَامِ ، وَطَالَمَا وَقَّرَ الْكِرَامُ بِالْدِّينِ !

٧٨٧ — الْمَاضِي قَبْلَكَ هُوَ الْبَاقِي بَعْدَكَ ، وَالتَّهْنِئَةُ بِأَجْلِ الثَّوَابِ أَوْلَى مِنَ التَّعْزِيَةِ
بِأَجْلِ الْمَصَابِ .

٧٨٨ — إِمَّا تَسْكُنُ بِهَ الْحَبَّةُ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا كَجَاهِلٍ ، وَوَاعِظًا كَمُعَظِّ .

٧٨٩ — لَا تَحْمَدَنَّ الصَّبِيَّ إِذَا كَانَ سَخِيًّا ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ فَضِيلَةَ السَّخَاءِ ؛ وَإِنَّمَا
يُعْطَى مَا فِي يَدِهِ ضَعْفًا .

٧٩٠ — خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْكَ فِي الْمَوَدَّةِ ، وَإِنْ احْتَجَّتَ
إِلَيْهِ لَمْ يَنْقُصْكَ مِنْهَا .

٨٩١ — عَجَبًا لِلسُّلْطَانِ ، كَيْفَ يُخْسِنُ ، وَهُوَ إِذَا أَسَاءَ وَجَسَدَ مِنْ
يَزْغِيهِ وَيَعْدَحُهُ !

٧٩٢ — إذا صادقت إنساناً وجب عليك أن تكون صديقاً صديقه ، وليس يجب عليك أن تكون عدوً عدوه ؛ لأن هذا إنما يجب على خادمه وليس يجب على منائلي له .

٧٩٣ — ليس يكمل فضيلة الرجل حتى يكون صديقاً لمتعاديين .

٧٩٤ — من سعادة الحدث ألا يتم له فضيلة في رزيلة .

٧٩٥ — إذا منعت من شيء قد التمسته ، فليكن غيظك منه على نفسك في المسألة أكثر من غيظك على من منعت .

٧٩٦ — الأسخياء يشمتون بالبخلاء عند الموت ، والبخلاء يشمتون بالأسخياء عند الفقر .

٧٩٧ — ليس يضبط العدد الكثير من لا يضبط نفسه الواحدة .

٧٩٨ — إذا أحسن أحد من أضعائك فلا تخرج إليه بناية برك ؛ ولكن اترك منه شيئاً تزيد إياه عند تبينك منه الزيادة في نصيحته .

٧٩٩ — الوقوع في المكروه أسهل من توقع المكروه .

٨٠٠ — الحسود ظالم ، ضعفت يده عن انتزاع ما حسدك عليه ؛ فلما قصر عليك بحث إليك تأسفه .

٨٠١ — أعم الأشياء نفعا موت الأشرار .

٨٠٢ — الشيء المرئى للناس عن مصائبهم علم العلماء إنها نفعاء اضطرارية وتأسى العامة بعضها ببعض .

٨٠٣ — العقل الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان .

٨٠٤ — يا عَجَباً للناسِ قد مكَنَّهُم اللهُ من الاقتداء به ، فيدَعُونَ ذلكَ إلى الاقتداء بالبهائم .

٨٠٥ — سَلُوا القلوبَ عنِ الموداتِ ؛ فإنها تُهَوِّدُ لا تقبلُ الرِّشاً .

٨٠٦ — إِنَّمَا يَحْزَنُ الحَسَدَةُ أَبَداً لأنَّهُمْ لَا يَحْزَنُونَ لِمَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الشَّرِّ قَطُّ ؛ بَلْ وَلَمَّا يَنْالُ النَّاسُ مِنَ الْخَيْرِ .

٨٠٧ — العَشَقُ جَهْدٌ عَارِضٌ صَادَفَ قَلْباً فارِغاً .

٨٠٨ — تُعَرَفُ خَاسَةُ الْمَرْءِ بِكَثْرَةِ كَلَامِهِ فِيْمَا لَا يَنْبَغِيهِ ، وَإِخْبَارِهِ عَمَّا لَا يُسْأَلُ عَنْهُ .

٨٠٩ — لَا تُؤَخِّرْ زِيَارَةَ الْمُحْتَاجِ إِلَى غَدٍ ، فَإِنَّكَ لَا تَعْرِفُ مَا يَعْصِرُ فِي غَدٍ .

٨١٠ — إِنْ تَتَّعَبَ فِي الْبِرِّ ؛ فَإِنَّ التَّعَبَ يَزُولُ وَالْبِرُّ يَبْقَى .

٨١١ — أَجْهَلُ الْجَهَالِ مَنْ عَثَرَ بِحَجَرٍ مَرَّتَيْنِ .

٨١٢ — كُفَّاكَ مُؤَبِّخًا عَلَى الْكَذِبِ عِلْمُكَ بِأَنَّكَ كَاذِبٌ ، وَكُفَّاكَ نَاهِيًا عَنْهُ خَوْفُكَ مِنْ تَكْذِيبِكَ حَالِ إِخْبَارِكَ .

٨١٣ — الْعَالِمُ يَعْرِفُ الْجَاهِلَ لِأَنَّهُ كَانَ جَاهِلًا ، وَالْجَاهِلُ لَا يَعْرِفُ الْعَالِمَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا .

٨١٤ — لَا تَتَّكِلُوا عَلَى التَّيَحُّتِ فَرُبَّمَا لَمْ يَكُنْ وَرُبَّمَا كَانَ وَزَالَ ، وَلَا عَلَى الْحَسَبِ فَطَالَمَا كَانَ بَلَاءٌ عَلَى أَهْلِهِ ، يُقَالُ لِلنَّاقِصِ : هَذَا ابْنُ قُلَانٍ الْفَاضِلِ ؛ فَيَتَضَاعَفُ غَمُّهُ وَعَارُهُ ؛ وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ؛ فَإِنَّ الْعَالِمَ يُكْرَمُ وَإِنْ لَمْ يَنْتَسِبْ ، وَيُكْرَمُ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا ، وَيُكْرَمُ وَإِنْ كَانَ حَدِيثًا .

٨١٥ — خيرٌ ما عُوْشِرَ به الملكُ قلةُ الخُلافِ وتخفيفُ المؤنة ، وأصعبُ الأشياءِ على الإنسان أن يعرفَ نفسه ، وأن يكتم سرَّهُ .

٨١٦ — العدلُ أفضلُ من الشجاعةِ ، لأنَّ الناسَ لو استعملوا العدلَ عموماً في جميعهم لاستغنوا عن الشجاعةِ .

٨١٧ — أولى الأشياءِ أن يتعلَّمها الأحداثُ الأشياءُ التي إذا صاروا رجالاً احتاجوا إليها .

٨١٨ — لا ترغِبْ في اقْتِناءِ الأموالِ ؛ وكيفَ ترغِبُ فيما ينالُ بالبختِ لا بالاستحقاقِ ، ويأمرُ البخلُ والشرُّ بحفظه والجودُ والزهدُ بإخراجه !

٨١٩ — إذا عاتبتَ الحديثَ فاتركْهُ موضعاً من ذنبه ، ثلاثاً يحمله الإخراجُ على الكابرةِ .

٨٢٠ — ما انتقم الإنسانُ من عدوِّه بأعظمَ من أن يردادَ من الفضائلِ .

٨٢١ — إنما لم يجمع الحكمةُ والمالُ ، لعزَّةِ وجودِ الكمالِ .

٨٢٢ — يمنعُ الجاهلُ أن يجدَ ألمَ الحقِّ المستقرَّ في قلبه ما يمنعُ السكرانُ أن يجدَ مسَّ الشوكةِ في يده .

٨٢٣ — القُنيةُ مخدومةٌ ، ومن خدمَ غيرَ نفسه فليس بحُرٍّ .

٨٢٤ — لا تطلبِ الحياةَ لتأكلَ ؛ بل اطلبِ الأكلَ لتحيَا .

٨٢٥ — إذا رأتِ العامةُ منازلَ الخاصَّةِ من السلطانِ حسدتها عليها ، وتمتَّ أمثالها . فإذا رأتِ مصارعها بدا لها .

٨٢٦ — الشيء الذي لا يستغنى عنه أحدٌ هو التوفيقُ .

٨٢٧ — لَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَقَعَ التَّصَدِيقُ إِلَّا بِمَا يَصِحُّ ، وَلَا الْعَمَلُ إِلَّا بِمَا يَحِلُّ ، وَلَا الْإِبْتِدَاءُ إِلَّا بِمَا تَحْسُنُ فِيهِ الْعَاقِبَةُ .

٨٢٨ — الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ رَفِيقٍ السَّوِّءِ .

٨٢٩ — لِكُلِّ شَيْءٍ صِنَاعَةٌ ، وَحَسَنُ الْإِخْتِبَارِ صِنَاعَةُ الْعَقْلِ .

٨٣٠ — مَنْ حَسَدَكَ لَمْ يَشْكُرْكَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ .

٨٣١ — الْبَغْيُ آخِرُ مَدَّةِ الْمُلُوكِ .

٨٣٢ — لَأَنْ يَكُونَ الْحُرُّ عَبْدًا لِعَبِيدِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لَشَهْوَاتِهِ .

٨٣٣ — مَنْ أَمَضَى يَوْمَهُ فِي غَيْرِ حَقٍّ قِصَاصًا ، أَوْ فِرَاسٍ أَدَاءً ، أَوْ مَجْدٍ بِنَاءً ، أَوْ حَمْدٍ حَصْلَةً ، أَوْ خَيْرٍ أَسْهَةً ، أَوْ عِلْمٍ اقْتِبَاسَةً ، فَقَدْ عَقَّ يَوْمَهُ .

٨٣٤ — أُرْسِلَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يَمِينُهُ بِأَشْيَاءَ ، مِنْهَا أَنَّهُ يَسْتَمِي حَسَنًا وَحُسَيْنًا وَلَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ لِرَسُولِهِ : قُلْ لِلثَّانِي ابْنِ الثَّانِي ؛ لَوْ لَمْ يَكُونَا وَلَدَيْهِ لَكَانَ أَبْتَرُ ؛ كَارِزَعَهُ أَبُوكَ !

٨٣٥ — قَالَ مَعَاوِيَةُ لَمَّا قُتِلَ عَمَارٌ وَاضْطَرَبَ أَهْلُ الشَّامِ لِرَوَايَةِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ كَانَتْ لَهُمْ : « تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ » : إِيَّاهُ قَتَلَهُ مَنْ أَخْرَجَهُ إِلَى الْحَرْبِ وَعَرَّضَهُ لِلْقَتْلِ ؛ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَنْ قَاتِلْ حِمْرَةَ !

٨٣٦ — هَذَا يَدِي — يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ — وَهَذَا عَيْنَايَ — يَعْنِي حَسَنًا وَحُسَيْنًا — وَمَا زَالَ الْإِنْسَانُ يَذُبُّ بِيَدِهِ عَنْ عَيْنَيْهِ ؛ قَالَهَا لِمَنْ قَالَ لَهُ : إِنَّكَ تُعَرِّضُ مُحَمَّدًا لِلْقَتْلِ ، وَتَقْذِفُ بِهِ فِي نَحْوِ الْأَعْدَاءِ دُونَ أَخَوَيْهِ .

٨٣٧ — شَكَرْتَ الْوَاهِبَ ، وَبُورِكَ لَكَ فِي الْوُهُوبِ ، وَرُزِقْتَ خَيْرَهُ وَبِرَّهُ ، خُذْ إِلَيْكَ أَبَا الْأَمْلَاقِ ؛ قَالَهَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ لَمَّا وُلِدَ ابْنُهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .

- ٨٣٨ — مَا يَسْرُنِي أَنِّي كَفَيْتُ أَمْرَ الدُّنْيَا كُلَّهُ ، لِأَنِّي أَكْرَهُ عَادَةَ الْعَجْزِ .
- ٨٣٩ — اجْتِمَاعُ الْمَالِ عِنْدَ الْأَسْخِيَاءِ أَحَدُ الْخَصَبَيْنِ ، وَاجْتِمَاعُ الْمَالِ عِنْدَ الْبُغْلَاءِ أَحَدُ الْجَذْبَيْنِ .
- ٨٤٠ — مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَيُّهُ كَفَى نِصْفَ التَّعَبِ .
- ٨٤١ — الْمُصْطَنِعُ إِلَى التَّئِيمِ كَمَنْ طَوَّقَ الْخَنَازِيرَ تَبْرَأً ، وَقَرَّطَ الْكَلْبَ دُرًّا ، وَابْسَ الْحَمَارَ وَشِيًّا ، وَأَتَمَّ الْأَفْصَى شَهْدًا .
- ٨٤٢ — الْحَازِمُ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ ^(١) الرَّأْيُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ أَضَلَّ لُؤْلُؤَةً ، فَجَمَعَ مَا حَوَّلَ مَسْقَطَهَا مِنَ التَّرَابِ ثُمَّ التَّمَسَّهَا حَتَّى وَجَدَهَا ، وَلِذَلِكَ الْحَازِمُ يَجْمَعُ وَجُوهَ الرَّأْيِ فِي الْأَمْرِ الْمَشْكَلِ ، ثُمَّ يَضْرِبُ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَيْهِ الصَّوَابُ .
- ٨٤٣ — الْأَشْرَافُ يَمَاقِبُونَ بِالْهَجْرَانِ لَا بِالْحَرَمَانِ .
- ٨٤٤ — الشَّيْءُ أَضَرُّ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الْفَقْرِ ، لِأَنَّهُ الْفَقِيرُ إِذَا وَجَدَ اتَّسَعَ ، وَالشَّحِيحُ لَا يَتَّسَعُ وَإِنْ وَجَدَ .
- ٨٤٥ — أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا عَدُوًّا ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَاقِلًا كَانَ مِنْهُ فِي عَافِيَةٍ .
- ٨٤٦ — عَلَيْكَ مَعْجَالَسَةُ أَصْحَابِ التَّجَارِبِ فَإِنَّهَا تَقْوِمُ عَلَيْهِمْ بِأَعْلَى الْفَلَاحِ ، وَتَأْخُذُهَا مِنْهُمْ بِأَرْخَصِ الرُّخَصِ .
- ٨٤٧ — مَنْ لَمْ يَحْمَدَكَ عَلَى حُسْنِ النِّيَّةِ لَمْ يَشْكُرَكَ عَلَى تَجَمُّلِ الْعَطِيَّةِ .
- ٨٤٨ — لَا تَتَكَبَّرُوا النِّسَاءَ الْحُسَنَى ، فَمَنْ حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ ، وَلَا لِأَمْوَالِهِنَّ

(١) أَشْكَلَ عَلَيْهِ الرَّأْيُ : اسْتَقْبَهُمْ .

ففسى أموالهن أن تُطْفِئَنَّ ، وانكِحُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ ؛ وَلَأَمَّةٌ سَوْدَاءُ خَرَمَاهُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ .

٨٤٩ — أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْإِمْسَاكُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ الشُّبْهَةِ .

٨٥٠ — ذَمُّ الرَّجُلِ نَفْسَهُ فِي الْعِلَانِيَةِ مَدْحٌ لَهَا فِي السِّرِّ .

٨٥١ — مَنْ عَدِمَ فَضِيلَةَ الصَّدَقِ فِي مَنْطِقِهِ فَقَدْ فَجِيعَ بِأَكْرَمِ أَخْلَاقِهِ .

٨٥٢ — لَيْسَ بِضُرِّكَ أَنْ تَرَى صَدِيقَكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَنْفَعَكَ لَمْ يَضُرَّكَ .

٨٥٣ — قَلَّ أَنْ تَرَى أَحَدًا تَكَبَّرَ عَلَى مَنْ دُونَهُ إِلَّا وَبِذَلِكَ الْمِقْدَارِ يَحُودُ بِالذَّلِّ لِبَيْنِ فَوْقَةٍ .

٨٥٤ — مَنْ عَظُمَتْ عَلَيْهِ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ ؛ فَإِنَّهَا تَهُونُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ ضَاقَ بِهِ أَمْرٌ فَلْيَذْكُرِ الْقَبْرَ فَإِنَّهُ يَتَمَسَعُ .

٨٥٥ — خَيْرُ الشُّعْرِ مَا كَانَ مَثَلًا ، وَخَيْرُ الْأَمْثَالِ مَا لَمْ يَكُنْ شِعْرًا .

٨٥٦ — اتَّقِ النَّاسَ عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْكَ بِالْبُشْرِ وَالتَّوَاضُّعِ ، فَإِنْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ ، وَحَالَتْ بِكَ حَالٌ ، لَقَيْتَهُمْ وَقَدْ أُمِنْتَ ذِلَّةَ التَّنَصُّلِ إِلَيْهِمْ وَالتَّوَاضُّعِ .

٨٥٧ — إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُعْفَى عَنْ زَلَّةِ السَّرِيِّ .

٨٥٨ — مَنْ طَالَ لِسَانُهُ وَحَسُنَ بَيَانُهُ ، فَلْيَتْرِكِ النَّحْدَثَ بِغَرَائِبِ مَا سَمِعَ ، فَإِنَّ الْحَسَدَ لِحَسَنِ مَا يَظْهَرُ مِنْهُ يُحْمَلُ أَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وَمَنْ عَرَفَ أَسْرَارَ الْأُمُورِ الْإِلَهِيَةِ فَلْيَتْرِكِ الْخَوْضَ فِيهَا ، وَإِلَّا حَلَّتْهُمُ الْمُنَافَسَةُ عَلَى تَكْفِيرِهِ .

٨٥٩ — لَيْسَ كُلُّ مَكْتُومٍ بِسَوْغٍ إِظْهَارُهُ لَكَ ، وَلَا كُلُّ مُعْلُومٍ يَجُوزُ أَنْ تَعْلَمَهُ غَيْرُكَ .

٨٦٠ — ليس يفهم كلامك من كان كلامه لك أحب إليه من الاستماع منك ، ولا يعلم نصيحتك من غاب هواه على رأيك ، ولا يسلم لك من اعتقد أنه أتم معرفة بما أشرت عليه به منك .

٨٦١ — خف الضيف إذا كان تحت راية الإنصاف أكثر من خوفك القوى تحت راية الجور ، فإن النصر يأتي من حيث لا يشعر ، وجرحه لا يندمل .

٨٦٢ — إخافة العبيد والتضييق عليهم يزيد في عبوديتهم وصيانتهم ، وإظهار الثقة بهم يكسبهم أنفة وجبرية .

٨٦٣ — أضر الأشياء عليك أن تعلم رئيسك أنك أعرف بالرياسة منه .

٨٦٤ — عداوة العاقين أشد العداوات وأنكها ، فإنها لا تقع إلا بعد الإعذار والإنذار ، وبعد أن ينس صلاح ما بينهما .

٨٦٥ — لا تخدم من رئيساً كنت تعرفه بالحمول ، وسمت به الحال ، ويعرف منك أنك تعرف قديمه ، فإنه وإن سر بمكانك من خدمته ، إلا أنه يعلم العين التي تراه بها ، فينقبض عنك بحسب ذلك .

٨٦٦ — إذا احتجت إلى المشورة في أمر قد طرأ عليك فاستبد به بداية الشبان ، فإنهم أحد أذهاناً ، وأمرع حذساً ، ثم رده بعد ذلك إلى رأى الكهول والشيوخ ليستعقبوه ، وتحسنوا الاختيار له ؛ فإن تجربتهم أكثر .

٨٦٧ — الإنسان في سعيه وتصرفاته كالعائم في اللجة ، فهو يكافح الجرية في إدباره ، ويجري معها في إقباله .

٨٦٨ — ينبغي للعامل أن يستعمل فيما ياتمه الرفق ، ومجانبة الهذر ،

فإن العَلَّةَ ^(١) تأخذ بهدوها من الدِّم مالا تأخذه البعوضة باضطرابها وفرط صياحها .

٨٦٩ — أقوى ما يكون التصنع في أوائله ، وأقوى ما يكون التطبع في أواخره .

٨٧٠ — غاية المروءة أن يستحي الإنسان من نفسه ، وذلك أنه ليس العلة في الحياء من الشيخ كبر سنه ولا بياض لحيته ، وإنما علة الحياء منه عقله ، فينبغي إن كان هذا الجوهر فينا أن نستحي منه ولا نخصره قبيحاً .

٨٧١ — من ساس رعية حرم عليه الشكر عقلاً ، لأنه قبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه .

مركز تحقيق الكتب العربية

٨٧٢ — لا تتابعن مملوكاً قوى الشهوة ، فإن له مولى غيرك ، ولا غصوباً فإنه يؤذيك في استخدامك له ، ولا قوى الرأي فإنه يستعمل الحيلة عليك ، لكن اطلب من العبيد من كان قوى الجسم ، حسن الطاعة ، شديد الحياء .

٨٧٣ — لا تعادوا الدول المقبلة ، وتشرّبوا قلوبكم بغضها ، فتدبروا بإقبالها .

٨٧٤ — الغريب كالفرس الذي زایل شربه ، وفارق أرضه ، فهو ذاو لا يتقيد وذایل لا يشمر .

٨٧٥ — السفر قطعة من العذاب ، والرفيق السوء قطعة من النار .

٨٧٦ — كل خلق من الأخلاق فإنه يكسده عند قوم من الناس إلا الأمانة فإنها نافقة عند أصناف الناس ، يفضل بها من كانت فيه ، حتى إن الآية إذا لم تنشف فإنها نافقة .

وَبَقِيَ مَا بَوَدَّعَ فِيهَا عَلَى حَالِهِ لَمْ يَنْقُصْ ، كَانَتْ أَكْثَرَ ثَنَاءٍ مِنْ غَيْرِهَا مِمَّا
يَرْشَحُ أَوْ يُنَشَّفُ .

٨٧٧ — اصْبِرْ عَلَى سُلْطَانِكَ فِي حَاجَاتِكَ ، فَلَسْتَ أَكْبَرَ شَغْلِهِ ، وَلَا بَكَ
قِوَامُ أَمْرِهِ .

٨٧٨ — قُوَّةُ الْاسْتِشْعَارِ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ .

٨٧٩ — إِذَا أَحْسَسْتَ مِنْ رَأْيِكَ بِإِكْدَادٍ ، وَمِنْ تَصَوُّرِكَ بِفَسَادٍ ، فَاتَّهَمْ نَفْسَكَ
بِمَجَالِسَتِكَ لِعَامَى الطَّبِيعِ ، أَوْ لِسَيِّئِ الْفِكْرِ ، وَتَدَارَكَ إِصْلَاحَ مَزَاجِ تَخَيُّلِكَ بِمَكَائِرَةِ
أَهْلِ الْحِكْمَةِ ، وَمَجَالِسَةِ ذَوِي السَّدَادِ ، فَإِنْ مَقَاوِضَهُمْ تَرِيحُ الرَّأْيِ الْمَكْدُودَ ، وَتَرْدُ
ضَلَالَةِ الصَّوَابِ الْمَقْضُودِ .

٨٨٠ — مَنْ جَلَسَ فِي ظِلِّ الْمَلِكِ ، لَمْ يَسْتَقِرَّ بِهِ مَوْضِعُهُ ، لِكثَرَةِ تَنَقُّلِهِ وَتَصَرُّفِهِ مَعَ
الطَّبَايِعِ ، وَعَرَفَهُ النَّاسُ بِالْخَدِيعَةِ .

٨٨١ — كَثِيرٌ مِنَ الْحَاجَاتِ تُقْضَى بِرَمٍّ لَا كَرَمًا .

٨٨٢ — أَصْحَابُ السُّلْطَانِ فِي أَمَثَلِ كَقَوْمٍ رَقُوا جِبَلًا ثُمَّ سَقَطُوا مِنْهُ ، فَاقْرَبُهُمْ إِلَى
الْمَلَكَةِ وَالتَّنَافُ أَعْدَمُ كَانَ فِي الرِّتَقِ .

٨٨٣ — لَا تَضَعْ سِرَّكَ عِنْدَ مَنْ لَا سِرَّ لَهُ عِنْدَكَ .

٨٨٤ — سَعَةُ الْأَخْلَاقِ كِيمِيَاءُ الْأَرْزَاقِ .

٨٨٥ — الْعِلْمُ أَفْضَلُ الْكُنُوزِ وَأَجْمَلُهَا ، خَفِيفُ الْحَمَلِ ، عَظِيمُ الْجَدْوَى ، فِي الْمَلَا
جَمَالٍ ، وَفِي الْوَحْدَةِ أُنْسٌ .

٨٨٦ — السَّبَابُ مُزَاجُ النَّوْكِ ، وَلَا يَأْسَ بِالْمَفَاكِهِ يُرَوِّحُ بِهَا الْإِنْسَانُ عَنْ
نَفْسِهِ ، وَيَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الْعُبُوسِ .

٨٨٧ — ثلاثة أشياء تدلُّ على عقولٍ أربابها : الهدية ، والرُّسول ، والكتاب .

٨٨٨ — التعزية بعد ثلاثٍ تجديده للصيبة ، والتهنئة بعد ثلاثٍ

استخفاف بالوَدَّة .

٨٨٩ — أنتَ محيَّرٌ في الإحسانِ إلى من تحسنُ إليه ، ومرتبَّين بدوامِ الإحسانِ

إلى من أحسنتَ إليه ، لأنك إن قطعتَه فقد أهدرتَه ، وإن أهدرتَه فلم تقطعته .

٨٩٠ — الناس من خوف الدُّلِّ في دُلِّ .

٨٩١ — إذا كانَ الإيجازُ كافياً كانَ الإكثارُ عيباً ، وإذا كانَ الإيجازُ مقصراً

كانَ الإكثارُ واجباً .

٨٩٢ — بُسِّ الزَّادُ إلى المَعَادِ ، العَدْوَانُ على العِبَادِ .

٨٩٣ — الخلقُ عيالُ اللهِ ، وأحبُّ الناسِ إلى اللهِ أشفقهم على عياله .

٨٩٤ — تحريكُ الساكنِ أسهلُ من تسكينِ المتحرِّكِ .

٨٩٥ — العاقلُ بخشونةِ العيشِ مع العقلاء ، آنسُ منه بآلِ العيشِ مع الشُّفهاء .

٨٩٦ — الانقباضُ بينَ المنبسطين ثقلٌ ، والانبساطُ بينَ المنقبضين سَخَفٌ ^(١) .

٨٩٧ — السخاهُ والجودُ بالطعامِ لا بالمالِ ، ومن وهبَ ألفاً وشعَّ بصحفةٍ طعامِ

فليسَ بجوادٍ .

٨٩٨ — إن بقيتَ لم يبقَ الهمُّ .

٨٩٩ — لا يقومُ عزُّ الغضبِ بذلَّةُ الاعتذارِ .

٩٠٠ — الشقيعُ جناحُ الطالبِ .

٩٠١ — الأملُ رفيقٌ مؤنسٌ ، إن لم يبلغك فقد استمعتَ به .

٩٠٢ — إعادةُ الاعتذارِ تذكيرٌ بالذَّنْبِ .

- ٩٠٣ — الصبرُ في المواقِبِ شافٍ أو مريحٌ .
- ٩٠٤ — من طالَ عمرُهُ ، رأى في أعدائِهِ ما يَسِرُّهُ .
- ٩٠٥ — لا نعمةَ في الدنيا أعظمُ من طولِ العمرِ ، وصحةِ الجسدِ .
- ٩٠٦ — الناسُ رجلانِ : إما مُؤَجِّلٌ يفقدُ أحبائِهِ ، أو مُعَجِّلٌ يفقدُ نفسه .
- ٩٠٧ — العقلُ غريزةٌ تربيها التجاربُ .
- ٩٠٨ — النصيحُ بينَ المَلَأِ تقريعٌ .
- ٩٠٩ — لا تُنكِحْ خاطِبَ ميركٍ .
- ٩١٠ — من زادَ أدبُهُ على عقلِهِ كانَ كالرَّاعِي الضَّعِيفِ معَ الغنمِ الكثيرِ .
- ٩١١ — الدَّارُ الضَّيِّقَةُ العَمَى الأصغرُ .
- ٩١٢ — النِّعَامُ جسرُ الشرِّ . *مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامی*
- ٩١٣ — لا تُشِنْ وجهَ العفوِ بالتقريعِ .
- ٩١٤ — كثرةُ النصيحِ تهجمُ بكِ على كثرةِ الظَّنِّ .
- ٩١٥ — لكلِّ ساقطةٍ لاقطةٌ .
- ٩١٦ — سنساقِ إلى ما أنتِ لاقٍ .
- ٩١٧ — عاداكِ من لاحاكِ .
- ٩١٨ — جدِّك لا كدِّك .
- ٩١٩ — تذكرِ قبلَ الوُرْدِ الصدرَ ، والحذرِ لا يعني من القدرِ ، والصبرُ من أسبابِ الظفرِ .
- ٩٢٠ — عازِ النساءِ باقٍ يلحقُ الأبناءَ بعدَ الآباءِ .
- ٩٢١ — أمجلِ العقوبةَ عقوبةَ البغيِ والندمِ واليمينِ الكاذبةِ ، ومن إذا تُضَرَّعَ إليهِ وسُئِلَ العفوَ لم يغفرِ .

٩٢٢ — لا تردّ بأس العدوّ القوىّ وغضبه بمثل الخضوع والذلّ ، كسلامة الحشيش من الريح العاصف بإثناائه معها كيفما مالت .

٩٢٣ — قاربْ عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك ، ولا تفرط في مقاربته فتذل نفسك وناصرك ، وتأمل حال الخشبة المنصوبة في الشمس التي إن ألماتها زاد ظلمها ، وإن أفرطت في الإمالة نقص الظل .

٩٢٤ — إذا زال الحمود عاينه علمت أن الحاسد كان يحسد على غير شيء .

٩٢٥ — العجز نائم ، والحزم يقظان .

٩٢٦ — من تجرأ لك تجرأ عليك .

٩٢٧ — ما عفا عن الذنب من قريح يرمي .

٩٢٨ — عبد الشهوة أذل من عبد الرق .

٩٢٩ — ليس ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره ، وطاعة نفسه عاينه ممتنعة .

٩٣٠ — الناس رجالان : واجد لا يكتفى ، وطالب لا يجد .

٩٣١ — كلما كثر خزان الأسرار ، زادت ضياعاً .

٩٣٢ — كثرة الآراء مفسدة ، كالقدر لا تطيب إذ كثر طباؤها .

٩٣٣ — من اشتاق خدام ، ومن خدام اتصل ، ومن اتصل وصل ، ومن وصل عرف .

٩٣٤ -- عجباً لمن يخرج إلى البساتين للفرجة على القدرة ، وهلاً شغلته رؤية القادر عن رؤية القدرة .

٩٣٥ — كل الناس أمروا بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، إلا رسول الله ، فإنه رفيع قدره عن ذلك ، وقيل له : فاعلم أنه لا إله إلا الله ، فأمر العالم لا بالقول .

- ٩٣٦ — كُلُّ مُصْطَنِعٍ عَارِفَةٌ فَإِنَّمَا يَصْنَعُ إِلَى نَفْسِهِ ، فَلَا تَلْتَمِسْ مِنْ غَيْرِكَ شُكْرَ مَا أُتَيْتَهُ إِلَى نَفْسِكَ وَتَمَتَّتْ بِهِ لَذَائِكَ ، وَوَقِيتَ بِهِ عِرْضَكَ .
- ٩٣٧ — وَلَذِكِ رَيْحَانَتُكَ سَبْعًا ، وَخَادِمُكَ سَبْعًا ، ثُمَّ هُوَ عَدُوُّكَ أَوْ صَدِيقُكَ .
- ٩٣٨ — مَنْ قَبِلَ مَعْرُوفَكَ فَقَدْ بَاعَكَ مَرُوءَتَهُ .
- ٩٣٩ — إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بِلَادَةَ الْأَمِينِ وَيَقْظَةَ الْخَائِنِ .
- ٩٤٠ — مَنْ أَكْثَرَ الْمَشُورَةَ لَمْ يَمْدَمْ عِنْدَ الصَّوَابِ مَادِحًا ، وَعِنْدَ الْخَطَا عَازِرًا .
- ٩٤١ — مَنْ كَثَرَ حَقْدُهُ قَلَّ عِتَابُهُ .
- ٩٤٢ — الْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَشْغَلْهُ الْبَطَرُ بِالنِّعْمَةِ عَنِ الْعَمَلِ لِلْعَاقِبَةِ ، وَالْهَمُّ بِالْحَادِثَةِ عَنِ الْحِيلَةِ لِدَفْعِهَا .
- ٩٤٣ — كَلَّمَا حَسُنَتْ نِعْمَةُ الْجَاهِلِ أَزْدَادَ قُبْحًا فِيمَا يَدْرِي .
- ٩٤٤ — مَنْ قَبِلَ عَطَاءَكَ فَقَدْ أَعَانَكَ عَلَى السَّكْرِ ، وَلَوْلَا مَنْ يَقْبَلُ الْجُودَ لَمْ يَكُنْ مَنْ يَجُودُ .
- ٩٤٥ — إِخْوَانُ السُّوءِ كَشَجَرَةِ النَّارِ ، يُحْرِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا .
- ٩٤٦ — زَلَّةُ الْعَالَمِ كَانْكَسَارِ السَّفِينَةِ ، تَفْرُقُ وَبِفَرْقٍ مَعَهَا خَلْقٌ .
- ٩٤٧ — أَهْوَنُ الْأَعْدَاءِ كَيْدًا أَظْهَرُهُمْ لِعَدَاوَتِهِ .
- ٩٤٨ — أَتُبْقِ لِرِضَاكَ مِنْ غَضَبِكَ ، وَإِذَا طُرْتُ فَقَعَ قَرِيبًا .
- ٩٤٩ — لَا تَلْتَمِسْ بِالسَّاطِطِ فِي وَقْتِ اضْطِرَابِ الْأُمُورِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْبَحْرَ لَا يَسْكَدُ بِسَلْمِ صَاحِبِهِ فِي حَالِ سُكُونِهِ ، فَكَيْفَ بِسَلْمٍ مَعَ اخْتِلَافِ رِيَاحِهِ وَاضْطِرَابِ أُمُوجِهِ !
- ٩٥٠ — إِذَا خُلِيَ عَيْنَانِ الْعَقْلِ ، وَلَمْ يَحْبِسْ عَلَى هَوَى نَفْسٍ ، أَوْ عَادَةِ دِينٍ أَوْ عَصِيَّةٍ لِسَافٍ ، وَرَدَ بِصَاحِبِهِ عَلَى النِّجَاحِ .

٩٥١ — إذا زادك الملك تائيساً فزده إجلالا

٩٥٢ — مَنْ تَكَلَّفَ مَالاً يَعْنِيهِ قَاتَهُ مَا يَعْنِيهِ

٩٥٣ — قَلِيلٌ يَسْتَرْقِي مِنْهُ إِلَى كَثِيرٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يَنْحَطُّ عَنْهُ إِلَى قَلِيلٍ

٩٥٤ — جَنَّبُوا مَوْتَكُمْ فِي مَدَاقِفِهِمْ جَارِ الشُّوءِ ، فَإِنَّ الْجَارَ الصَّالِحَ يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ
كَمَا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا .

٩٥٥ — زُرِ الْقُبُورَ تَذَكُّرَ بِهَا الْآخِرَةِ ، وَغَسِّلِ الْمَوْتَى يَتَحَرَّكَ قَلْبُكَ ، فَإِنَّ
الْجَسَدَ الْخَاوِي عِظَةٌ بَلِيغَةٌ وَصَلَتْ عَلَى الْجَنَائِزِ لَعْلَهُ يُحْزِنُكَ ، فَإِنَّ الْحَزِينَ قَرِيبٌ
مِنَ اللَّهِ .

٩٥٦ — الْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَتَمَجَّلُ لَهُ النِّعَمُ ، وَأَمَّا
الْكَافِرُ فَيَقْلُ عَذَابُهُ ، وَآيَةُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِلْأَبْرَارِ ^(١) ۝ وَلَا يَحْسَبُنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي
لَهُمْ لِيَازِدُوا إِثْمًا ^(٢) ۝ ﴾ .

٩٥٧ — جَزَعُكَ فِي مُصِيبَةِ صَدِيقِكَ أَحْسَنُ مِنْ صَبْرِكَ ، وَصَبْرُكَ فِي مُصِيبَتِكَ
أَحْسَنُ مِنْ جَزَعِكَ .

٩٥٨ — مَنْ خَافَ إِسَاءَتَكَ اعْتَقَدَ مَسَاءَتَكَ ، وَمَنْ رَهَبَ صَوْلَتَكَ نَاصَبَ دَوْلَتِكَ .

٩٥٩ — مَنْ فَعَلَ مَا شَاءَ أَقْبَىٰ مَا شَاءَ

٩٦٠ — يَسُرُّنِي مِنَ الْقُرْآنِ كَلِمَةٌ أَرْجُوهَا لَعْنُ اسْتَرْفَ عَلَى نَفْسِهِ ﴿ قَالَ عَذَابِي
أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ^(١) ۝ فَجَعَلَ الرَّحْمَةُ عُمُومًا
وَالْعَذَابُ خُصُوصًا .

٩٦١ — الاستِثْثَارُ يُوجِبُ الحَسَدَ ، والحَسَدُ يوجب البَغْضَةَ ، والبَغْضَةُ تُوجِبُ الاختِلَافَ ، والاختِلَافُ يوجب الفرقةَ ، والفرقةُ توجب الضَّعْفَ ، والضَّعْفُ يوجب الذُّلَّ ، والذلُّ يوجب زوال الدَّوْلَةِ ، وذهاب النِّعْمَةِ .

٩٦٢ — لا يسْكَادُ يَصَحُّ رُؤْيَا الكَذَابِ ، لأنه يَخْبُرُ فِي اليَقَظَةِ بِمَا لَمْ يَسْكُنْ ، فَأَحْرَبَ بِهِ أَنْ يَرَى فِي النِّسَامِ مَا لَا يَكُونُ .

٩٦٣ — لَا يُفْسِدُكَ الظَّنُّ عَلَى صَدِيقٍ قَدْ أَصْلَحَكَ اليَقِينُ لَهُ .

٩٦٤ — لَا تَسْكَادُ الظُّنُونُ تَزْدَحِمُ عَلَى أَمْرِ مُسْتَوْرٍ إِلَّا كَشَفَتْهُ .

٩٦٥ — الْمَشُورَةُ رَاحَةٌ لَكَ وَتَعَبٌ عَلَى غَيْرِكَ .

٩٦٦ — حَقُّ كُلِّ سِرٍّ أَنْ يَصَانَ ، وَأَحَقُّ الْأَسْرَارِ بِالصِّيَانَةِ سِرُّكَ مَعَ مَوْلَاكَ ، وَسِرُّهُ مَعَكَ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ فَضَّحَ فَضَّحَ ، وَمَنْ بَاحَ قَلَدِمَهُ أَبَاحَ .

٩٦٧ — يَا مَنْ أَلَمَّ بِجَنَابِ الْجَلَالِ ، احْفَظْ مَا عَرَفْتَ ، وَارْكُمْ مَا اسْتَوْدَعْتَ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ رَشَحْتَ لِأَمْرِ قَافِظٍ لَهُ ، وَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ خَائِنًا ؛ فَمَنْ لَمْ يُوَدِّ الْأَمَانَةَ فِيمَا اسْتَوْدَعَ ، أَخْلَقَ النَّاسَ بِسِمَةِ الْخِيَانَةِ ، وَأَجْسَدُ النَّاسِ بِالْإِبَادِ وَالْإِهَانَةِ .

٩٦٨ — لَا تَعَامِلِ الْعَامَّةَ فِيمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْعَالَمِ ، كَمَا تَعَامِلُ الْخَاصَّةَ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ رَجَالًا أَوْدَعَهُمْ أَسْرَارًا خَفِيَّةً ، وَمَنْعَهُمْ عَنْ إِشَاعَتِهَا ؛ وَاذْكُرْ قَوْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ نُوسَى وَقَدْ قَالَ لَهُ : هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ مَا عُلِّمْتَ رُشْدًا . قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا .

٩٦٩ — اِكْلُ دَارٍ بَابٌ ، وَبَابُ دَارِ الْآخِرَةِ الْمَوْتُ .

٩٧٠ — إِنْ لَكَ فِيمَنْ مَضَى مِنْ آبَائِكَ وَإِخْوَانِكَ لَعِبْرَةٌ ، وَإِنْ مَلَكَ الْمَوْتُ دَخَلَ

على داود النبي ، فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : مَنْ لَا يَهَابُ الْمُلُوكَ ، وَلَا تَمْنَعُ مِنْهُ الْقُصُورَ ، وَلَا يَقْبَلُ الرِّشَاءَ ، قَالَ : فَإِذَا أَنْتَ مَلِكُ الْمَوْتِ جِئْتَ ؟ وَلَمْ أَسْتَعِدَّ بَعْدَ ، فَقَالَ : فَأَيْنَ فَلَانُ جَارِكَ ؟ أَيْنَ فَلَانُ نَسِيبِكَ ؟ قَالَ : مَاتُوا ، قَالَ : أَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِي هَؤُلَاءِ عِبْرَةٌ لَتَسْتَعِدَّ !

٩٧١ — مَا أَخْسَرَ صَفْقَةَ الْمُلُوكِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهَ ، بِاعُوا الْآخِرَةَ بِنَوْمَةٍ .

٩٧٢ — إِنْ هَذَا الْمَوْتُ قَدْ أَفْسَدَ عَلَى النَّاسِ نَعِيمَ الدُّنْيَا ؛ فَهَلْ لَكُمْ لَا تَلْتَمِسُونَ نَعِيماً لَا مَوْتَ بَعْدَهُ !

٩٧٣ — انْظُرِ الْعَمَلَ الَّذِي يَسْرُكُ أَنْ يَأْتِيكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَيْهِ فَافْعَلْهُ الْآنَ ، فَلَسْتَ تَأْمَنُ أَنْ تَمُوتَ الْآنَ .

٩٧٤ — لَا تَسْتَبْطِئِ الْقِيَامَةَ فَتَسْكُنْ إِلَى طَوْلِ الْمُدَّةِ الْآتِيَةِ عَلَيْكَ بَعْدَ الْمَوْتِ ، فَإِنَّكَ لَا تَفْرُقُ بَعْدَ عَوْدِكَ بَيْنَ أَلْفِ سَنَةٍ وَبَيْنَ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ قَرَأَ : « وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ » ^(١) الْآيَةَ .

٩٧٥ — لَا بَدَأَ لَكَ مِنْ رَفِيقٍ فِي قَبْرِكَ ، فَاجْعَلْهُ حَسَنَ الْوَجْهِ طَيِّبَ الرَّيْحِ . وَهُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ .

٩٧٦ — رَبُّ مُرْتَاجٍ إِلَى بَلَدٍ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَنَّ حِمَامَهُ فِي ذَلِكَ الْبَادِ .

٩٧٧ — الْمَوْتُ قَانَصٌ يُصْمِي وَلَا يَشْوِي .

٩٧٨ — مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا يَتَصَفَّحُ مَلِكُ الْمَوْتِ فِيهِ وَجُوهَ الْخَلَائِقِ ، فَمَنْ رَأَاهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ أَوْ هَوًى ، أَوْ رَأَاهُ ضَاحِكاً فَرِحاً ، قَالَ لَهُ يَا مَسْكِينُ : مَا أَغْفَلَكَ عَمَّا يَرَادُ بِكَ ! اْعْمَلْ مَا شِئْتَ ؛ فَإِنْ لِي فِيكَ غَمْرَةٌ أَقْطَعُ بِهَا وَتَيْنَكَ ^(٢) .

(٢) الْوَتِينُ : عَرَفَ فِي الْقَلْبِ إِذَا انْقَطَعَ مَا تَصَاحَبَهُ .

(١) سُورَةُ يُونُسَ ٤٥ .

٩٧٩ — إذا وُضع الميتُ في قَبْرِهِ اعتُورَتْهُ نيرانُ أربعٍ ، فتجىءُ الصلاةُ فتُطْفئُ ،
واحدةٌ ، وتجىءُ الصومُ فيُطْفئُ واحدةٌ ، وتجىءُ الصدقةُ فتُطْفئُ واحدةٌ ، وتجىءُ
العلمُ فيُطْفئُ الرابعةُ ، ويقولُ . لو أدرُ كُتِبْنَ لأُطْفَأْنَ كُتِبْنَ ، ففَرَّ عَيْنًا فَأَدَا
مَعَكَ ، وَلَنْ تَرَى بُؤْسًا .

٩٨٠ — استَجِبرُوا باللهِ تعالى . واستَجِبروه في أمورِكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا يُسَلِّمُ مُسْتَجِيرًا
وَلَا يُحَرِّمُ مُسْتَجِيرًا .

٩٨١ — أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى ثَمَرَةِ الْجَنَّةِ ! لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِشَرْطِ الْإِخْلَاصِ .

٩٨٢ — مِنْ شَرَفِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَهِيَ الْحَمْدُ لِلَّهِ . أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهَا فَاتِحَةً لِكِتَابِهِ ،
وَجَعَلَهَا خَاتِمَةً دَعَاؤِ أَهْلِ جَنَّتِهِ ، فَقَالَ : وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

٩٨٣ — ذَا كَرَّمَ اللَّهُ فِي الْعَافِلِينَ كَالشَّجَرَةِ الْخَضِرَاءِ فِي وَسْطِ الْمَشْرِيمِ ، وَكَالِدَّارِ
الْعَامِرَةِ بَيْنَ الرَّبُوعِ الْخَرِبَةِ .

٩٨٤ — أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

٩٨٥ — الذِّكْرُ ذِكْرَانٍ : أَحَدُهُمَا ذِكْرُ اللَّهِ وَتَحْمِيدُهُ ، فَأَحْسَنُهُ وَأَعْظَمُ أَجْرُهُ ،
وَالثَّانِي ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَوَّلِ !

٩٨٦ — مَا أَضْيَقَ الطَّرِيقَ عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ الْحَقُّ تَعَالَى دَلِيلَهُ ، وَمَا أَوْحَشَهَا عَلَى مَنْ
لَمْ يَكُنْ أُنَيْسَهُ ! وَمَنْ اعْتَصَمَ بِغَيْرِ عِزِّ اللَّهِ ذَلَّ ، وَمَنْ تَسَكَّثَ بِغَيْرِ اللَّهِ قَلَّ .

٩٨٧ — اللَّهُمَّ إِنْ فَهِمْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي ، أَوْ عَمِمْتُ عَنْ طَلَبَتِي ، فَدُلَّنِي عَلَى مَصَاحِفِي
وَاخْذْ بِنَاصِيَتِي إِلَى مَرِاشِدِي . اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَذَابِكَ .

٩٨٨ — مُخِ الْإِيمَانَ التَّقْوَى وَالْوَرَعَ ، وَهَمَّا مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ ، وَأَحْسَنُ أَفْعَالِ
الْجَوَارِحِ أَلَّا تَزَالَ مَالِكًا فَالِكَ بِذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

٩٨٩ — اللهم فرغني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما تكلفت لي به ، ولا تحرمني وأنا أسألك ، ولا تعذبني وأنا أستغفرك .

٩٩٠ — سبحان من ندعوه لحظنا فيسرع ! ويدعونا لحظنا فنبطئ ! خيرُهُ إلينا نازل ، وشرُّنا إليه صاعد ؛ وهو مالكٌ قادرٌ :

٩٩١ — اللهم إنا نعوذُ بك من نِيَّاتٍ غفلة وصباحٍ ندامة .

٩٩٢ — اللهم إني أستغفرك لما ثبت منه إليك ثم عدت فيه ، وأستغفرك لما وعدتُك من نفسي ثم أخلفتك ، وأستغفرك للثم التي أنعمت بها عليّ فتقويتُ بها على معصيتك . .

٩٩٣ — اللهم إني أعوذُ بك أن أقولَ حقًّا ليس فيه رضاك ألتمسُ به أحدًا سِوَاكَ ، وأعوذُ بك أن أتزين للناسِ بشيءٍ يشينني عندك ، وأعوذُ بك أن أكونَ عبْرَةً لأحدٍ من خلقك ، وأعوذُ بك أن يكونَ أحدٌ من خلقك أسعدَ بما علمتني مِنِّي .

٩٩٤ — يا من ليسَ إلا هوَ ، يا من لا يعلمُ ما هو إلا هو ، اعف عني .

٩٩٥ — اللهم إن الآمالَ منوطةٌ بكرمك ، فلا تقطعْ علائقها بسخطك . اللهم إني أبرأ من الخول والقوَّة إلا بك ، وأدِّرأ بنفسي عن التوكل على غيرك .

٩٩٦ — اللهم صلِّ على محمدٍ وآلِ محمدٍ ؛ كما ذكرهُ الذاكرون ، وصلِّ على محمدٍ وآلِ محمدٍ كما غَنَلْ عن ذِكرِهِ الغافلون . اللهم صلِّ على محمدٍ وآلِ محمدٍ عددَ كلماتك ، وعددَ معلوماتك ، صلاةً لا نهايةَ لها ، ولا غايةَ لأمدِّها .

٩٩٧ — سبحانَ الواحد الذي ليسَ غيرُهُ ، سبحانَ الدائم الذي لا نقادَ له ، سبحانَ القديم الذي لا ابتداءَ له ، سبحانَ الغنيِّ عن كلِّ شيءٍ ولا شيءٍ من الأشياءِ يغني عنه .

٩٩٨ — يا الله يا رحمن يا رحيم يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام اعف عني ^(١).

وهذا حين انتهاء قولنا في شرح نهج البلاغة ، ولم ندرك ما أدركناه منه بقوتنا وحوالنا ، فإننا عاجزون عما هو دونه ، ولقد شرعنا فيه وإنه لفي نفسنا كالطود الأملس ترل الوعول العضم ^(٢) عن قذافته ^(٣) ، بل كالفلك الأطلس ^(٤) لا تبلغ الأوهام والعقول إلى حدود غاياته ، فما زالت معونة الله سبحانه وتعالى تسهل لنا حزنه ، وتذل لنا صعبه ، حتى أحسب أبيه ، وأطاع عصبه ، وفجحت علينا بحسن النية ، وإخلاص الطوية ، في تصنيفه أبواب البركات ، وتيسرت علينا مطالب الخيرات ؛ حتى لقد كان الكلام ينال علينا انبثالا ، ويواتينا بدسمة وإرتجالاً ، فتم تصنيفه في مدّة قدرها أربع سنين وثمانية أشهر ، وأولها غرة شهر رجب من سنة أربع وأربعين وثمانمائة . وآخرها سابع صفر من سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، وهو مقدار مدّة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ، وما كان في الظن والتقدير أن الفراغ منه يقع في أقل من عشر سنين ؛ إلا أن الألفاظ الإلهية والعناية السماوية ، شملتنا بارتفاع العوائق ، وانتفاء الصّوارف ، وشحذت بصيرتنا فيه ، وأرهفت هممتنا في تشييد مبانيه ، وتنضيد ألقاظه ومعانيه .

وكان لسعادة المجلس المولوي المولى بدوي الوزيرى أجرى الله بالخير أعلامه ، وأمضى

(١) كذا كان عدد هذه الحسم على حسب المحفوظات التي وفقت لدينا . وقد أشار المؤلف إلى أن عددها ألف ، ولعلنا هنا سقطاً ؛ أو أن حكمتين قد امتزجتا بفعل النسخ ؛ ونرجو حين تقع لدينا نسخ أخرى في الطبعة الثانية أن نصل إلى العدد الصحيح .

(٢) الوعل : نيس الجبل ، والأنهم منه ما في ذراعيه أو أحدهما يابس وسائر أسود أو أحمر .

(٣) القذات : جمع قذفة ؛ وهو ما أشرف من رهوس الجبال .

(٤) هو مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن العلقمي وزير المنعم بالله . وانظر ترجمته في حواشي الجزء الأول ١ : ٤ .

في طَلَى الأعداء حُسَامُهُ في المعونة عليه أَوْفَرُ قِسطٍ ، وأوفى نصيب وحظٍ ؛ إذ كان مصنوعاً
لِحِزَانَتِهِ ، وَمَوْسُوماً بِسِمَتِهِ ؛ ولأنَّ هِمَّتَهُ أَعْلَاهَا اللهُ مَا زَالَتْ تَتَقاضَى عنده بِإِتْمَامِهِ
وَتَحَنُّهُ على إنجازِهِ وإبرامِهِ ، ونَاهِيكَ بها من همة راضَتِ الصَّعبَ الجَامِحَ ، وخَفَفَتِ
العِيبَ القَادِحَ ، وَيَسَّرَتِ الأمرَ العسيرَ ، وقَطَعَتِ المَدَى الطَّوِيلَ في الزَّمنِ القصيرِ .

وقد استعملتُ في كثيرٍ من فُصولِهِ فيما يتعلَّقُ بكلامِ المُتَكَلِّمينَ . والحُكَمَاءِ خاصَّةً
ألفاظَ القومِ ، مع علمي بأنَّ العربية لا تُجَيِّزُهَا ، نحو قولهم : المحسوساتُ ، وقولهم :
الكلُّ والبعضُ ، وقولهم : الصفاتُ الذاتيةُ ، وقولهم : الجُسمانياتُ ، وقولهم أَمَّا
أولاً فالحال كذا ؛ ونحو ذلك مما لا ينبغي عَمَّنْ له أدنى أنسٍ بالأدبِ ؛ ولكنَّا
استهجنَّا تبديلَ ألفاظِهِم وتغييرَ عباراتِهِم ، فمن كَلَّمَ قوماً كَلَّمَهُم بِاصطلاحِهِم ، ومن
دخلَ ظَفَارٍ حَجَرٍ (١) .

والنسخةُ التي بُنِيَ هَذَا الشَّرْحُ على فَضْلِهَا أتمُّ نسخةٍ وجدتها بنهجِ البلاغةِ فإنها
مشملةٌ على زياداتٍ تخلو عنها أ كثرُ النسخِ .

وأنا أستغفرُ اللهَ العظيمَ من كلِّ ذنبٍ يُبْعِدُني من رَحْمَتِهِ ، ومن كلِّ خاطِرٍ يَدْعُوني إلى
الخروجِ عن طاعَتِهِ ؛ وأستشفعُ إليه بمن أنصبتُ جَسَدِي ، وأسهرتُ عيني ، وأعملتُ
فكري ، واستغفرتُ طائفةً من عمرِي ، في شرحِ كلامِهِ ، والتَّقَرُّبِ إلى اللهِ بتعظيمِ
مَنزَلِهِ ومقامِهِ ، أن يمتنَّ رِقْبتي مِنَ النَّارِ ، وألَّا يبتليني في الدُّنيا ببلَاءٍ تَعْجِزُ عنه
قُوَّتِي ، وتَضَعُفُ عنه طاقَتِي ، وأن يصونَ وَجْهِي عن المخلوقينَ ، ويَكْفِيَ عَنِّي
عَادِيَةَ الظَّالِمِينَ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ ، وَحَسْبُنَا اللهُ وَحْدَهُ وَصَلَوَاتُهُ على سيدنا مُحَمَّدٍ
النَّبِيِّ وآلِهِ وَسَلَامُهُ !

﴿ آخِرُ الْجُزْءِ الْعَشْرِينَ وَبِهِ تَمُّ الْكِتَابُ ﴾

(وقد الحمد كما هو أهله حمداً دائماً لا انقضاء له ولا نقاد له آمين)

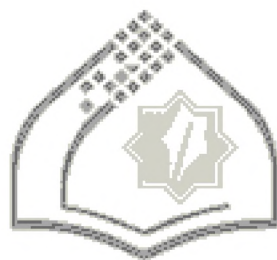
(١) ظفار : قرية باليمن . وحجر : تكلم بالحيرة ؛ وهو مثل يضرب للرجل يدخل في القوم فيأخذ بزيمهم
(المبدأ ٢ : ٣٠٦) .

فهرسالموضوعات

صفحة	
٣ -	تابع ماورد من حكمه عايه السلام ومختار أجوبة مسائله وكلامه
٨-١٠	المغيرة بن شعبه
١٠-٣٥	إيراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة ، والرد عايه
٣٥-٣٨	عمار بن ياسر وطرف من أخباره
٤١-٤٤	نسكت في العقل وما قيل فيه
٥٧-٦٠	فصل في الاستغفار والتوبة
١٠٣-١٤٩	عبد الله بن الزبير وذكر طرف من أخباره
١٥٠-١٥١	فصل في الفخر وما قيل في النهي عنه
١٥٣، ١٥٤	في مجلس علي بن أبي طالب
١٥٥-١٧٣	اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض
١٨٧-٢١٤	فصل في ألفاظ الكنايات وذكر الشواهد عايها
٢١٥-٢١٧	حديث عن امرئ القيس
٢٢١-٢٢٦	فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة
٢٣٠-٢٣٢	مختارات مما قيل من الشعر في الشيب والحضاب
٢٣٣-٢٤٣	نبد وحكايات حول العفة
٢٥٥	الحكم للنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

تنبيه

وقع خطأ في أرقام الحكم القصيرة ما بين صفحتي ٣٩ و ٢٥١ والصواب أن يكون الرقم في ص ٣٩ هو ٤١٤ ثم تصاح بقية الأرقام لتصل إلى ٤٨٨ في ص ٢٥٥ بدلا من ٤٨٥ .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مراجع التحقيق في جميع الأجزاء

- إتحاف فضلاء البشر للدمياطي : (حنفى ١٣٥٩)
إحياء علوم الدين للغزالي : (نشرة المكتبة التجارية)
أخبار أبي تمام للصولي : (طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦)
الأخبار الطوال لابن قتيبة : (عيسى الحلبي ١٩٦٠ م) .
أدب السكاتب لابن قتيبة : (الساقية ١٣٤١) .
أسباب النزول للواحدي : (مطبعة هندية ١٣١٥) .
الاستيعاب لابن عبد البر : (حيدر آباد ١٣٣٦ ، نسخة مصر ١٣٨٠) .
أسد الغابة في أسماء الصحابة ، لابن الأثير : (المطبعة الوهبية ١٢٨٦)
الأشباه والنظائر للسيوطي : (حيدر آباد ١٣١٦)
الاشتقاق لابن دريد : (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٨ م)
الإصابة في أسماء الصحابة لابن حجر : (نشرة المكتبة التجارية ١٩٣٩ م)
الأصمعيات : (دار المعارف ١٣٧٠)
إحجاز القرآن للباقلاني : (دار المعارف ١٩٥٤ م)
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : (مطبعة التقدم ١٣٢٣ م ، ومطبعة دار الكتب المصرية)
الاقتضاب لابن السيد البطليوسي : (بيروت ١٩٠١ م)
الألفاظ المعربة لأدى شير : (بيروت ١٩٠٨ م) .
أمالى ابن الشجري : (حيدر آباد ١٣٤٩)
أمالى القالى : (دار الكتب ١٣٤٤)
أمالى المرتضى : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٤ م)
أمالى اليزيدي : (حيدر آباد ١٣٦٩) .

- الإمامة والسياسة لابن قتيبة : (مطبعة النيل ١٣٢٢) .
- إنباه الرواه على أنباه النجاة للقنطري : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٠ م)
- أنساب الأشراف للبلاذري : (دار المعارف ١٩٥٩ م)
- إيمان أبي طالب : (النجف ١٩٥٦ م - ضمن مجموعة نقائس المخطوطات)
- البداية والنهاية لابن كثير : (السعادة ١٣٢٨) .
- بغداد ، لأحمد بن طاهر المعروف بابن طيفور : (عزت ، لقطار ١٣٦٨) .
- البيان والتبيين للجاحظ : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٠ م) .
- تاج العروس للمرثضى الزبيدي : (القاهرة ١٣٠٦) .
- تاريخ الطبري : (الحسينية ، ١٣٢٦ دار المعارف) .
- تاريخ ابن الأثير = الكامل
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : (مطبعة السعادة ١٣٤٩)
- تاريخ السعدي = مروج الذهب
- تاريخ ابن الوردي : (المطبعة الوهبية ١٢٨٥) .
- التبيان في شرح الديوان للعكبري : (مصطفى الحلبي ١٣٥٥) .
- تبين كذب المفترى لابن عساكر : (دمشق ١٣٤٧) .
- تفسير ابن كثير : (عيسى الحلبي) .
- تقديم أبي بكر لابن حجة الموحى : (المطبعة الخيرية ١٣٠٤) .
- تكملة الفرر والدر للشريف المرتضى : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٤ م) .
- تأخيص مجمع الآداب لابن الفوحي : (مصورة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية) .
- تنزيه الأنبياء ، للشريف المرتضى : (المطبعة الحيدرية بالنجف ١٣٥٢ هـ) .
- تنقيح المقال في أحوال الرجال لعبد الله اللامقاني : (طبع العجم ١٣٤٩) .

- تهذيب التهذيب لابن حجر : (طبع الهند ١٣٢٥) .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي : (مطبعة الظاهر ١٣٢٦) .
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي : (طبع دار الكتب) .
- الجامع الصحيح للترمذي : (بولاق ١٢٩٢) .
- الجامع الصحيح للبخاري : (مطبعة عيسى الحلبي) .
- الجامع الصغير للسيوطي : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٥ م) .
- جهرة أشعار العرب : (بولاق ١٣٠٨) .
- جهرة الأمثال للعسكري - على هامش مجمع الأمثال : (انطبعة الخيرية ١٣١٠ هـ) .
- حاشية البكري على متن الرحبية ، في الفرائض : (طبع مصر سنة ١٣١٠) .
- حلية الأولياء لأبي نعيم : (مطبعة السعادة ١٩٣٣ م) .
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة : (طبعة المكتبة العربية ببغداد) .
- الحيوان للجاحظ : (مصطفى الحلبي ١٣٥٧) .
- خزانة الأدب للبندادي : (بولاق ١٢٩٩) .
- درة الأسلاك في دول الأتراك لابن حبيب الحلبي (مصورة دار الكتب رقم ٦١٧٠ ح)
- درة الفواص للتحريري : (الجواثب ١٣٥٠) .
- ديوان الأخطل : (بيروت ١٨٩١ م) .
- ديوان أبي الأسود الدؤلي - ضمن مجموعة نفائس المخطوطات : (بغداد ١٩٥٤ م) .
- ديوان الأعشى : (فينا ١٩٢٧ م) .
- ديوان امرئ القيس : (دار المعارف ١٩٥٨ م) .
- ديوان أوس بن حجر : (دار صادر بيروت سنة ١٩٦٠ م) .
- ديوان البحتري : (هندية ١٩١١ م) .

- ديوان بشار بن برد : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠ م).
- ديوان بشر بن أبي خازم : (دمشق ١٩٦٠).
- ديوان أبي تمام : (دار المعارف بمصر ١٩٥١ م ، بيروت ١٣٢٣ هـ).
- ديوان نعيم بن المعز : (طبعة دار الكتب).
- ديوان جرير : (مطبعة الصاوي ١٣٥٣).
- ديوان جميل : (دار مصر للطباعة).
- ديوان حاتم الطائي - ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهبية ١٢٩١ هـ).
- ديوان حسان بن ثابت : (الرحمانية ١٩٣٩ م).
- ديوان الخطيئة : (التقديم بالقاهرة).
- ديوان الحماسة : (بشرح التبريزي : مطبعة حجازي بالقاهرة ١٩٣٨ م ، بشرح
المرزوقي : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١ م)
- ديوان حميد بن ثور : (مطبعة دار الكتب).
- ديوان ابن حيوس : (المجمع العلمي بدمشق).
- ديوان الخنساء : (المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٦ م).
- ديوان دعلج الخزاعي : (النجف ١٩٦٢ م).
- ديوان أبي دواد الإيادي : (بيروت ١٩٥٩ م).
- ديوان ذي الرمة : (كبرج ١٩١٩ م).
- ديوان ابن الرومي : (مخطوطة دار الكتب رقم ١٣٩ - أدب).
- ديوان زهير بن أبي سلمى : (طبع دار الكتب ١٣٦٣ هـ).
- ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس : (مطبعة دار الكتب).
- ديوان السري الرفاء : (القدس ١٣٥٥).

- ديوان السموئل : (مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٥ م).
- ديوان الشريف الرضي : (مصورة دار الكتب رقم ٢٦٣٢ از ، مطبعة نخبة الأخبار بالهند ١٣٠٦ ، المطبعة الأدبية بيروت ١٩٠٧ م)
- ديوان الشنفرى - ضمن مجموعة الطرائف الأدبية، (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ م)
- ديوان الشماخ : (السعادة ١٣٣٧)
- ديوان أبي طالب = غاية الطالب
- ديوان طرفة بن العبد : (فازان ١٩٠٩ ، الأنجلو ١٩٥٨ م)
- ديوان الطرماح : (ليون ١٩٣٧ م)
- ديوان العباس بن الأخنف : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٤ م)
- ديوان عبيد بن الأبرص : (مصطفى الحلبي ١٩٥٧ م)
- ديوان أبي القتاتية : (بيروت ١٩١٤ م)
- ديوان المعاج : (ليسك ١٩٠٢ م)
- ديوان المرجى : (بغداد سنة ١٩٥٦ م)
- ديوان عروة بن الورد - ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهبية ١٢٩٣ هـ)
- ديوان علي بن الجهم : (الهاشمية بدمشق ١٩٤٩ م)
- ديوان عمر بن أبي ربيعة : (مطبعة السعادة ١٩٦٠ م)
- ديوان عنتر بن شداد من مجموعة العقد الثمين : (لندن ١٨٧٠ م)
- ديوان أبي فراس الحمداني : (بيروت ١٩٤٥ م)
- ديوان الفرزدق : (الصاوى ١٣٥٤)
- ديوان قيس بن الخطيم : (مطبعة مدني ١٩٦٢ م)
- ديوان كعب بن زهير : (طبع دار الكتب المصرية)

- ديوان لييد : (الكويت ١٩٦٢ م)
- ديوان المتنبي - بشرح العكبري : (مصطفى الحلبي ١٩٣٦ م)
- ديوان مجنون ليلى : (دار مصر للطباعة)
- ديوان المعاني للعسكري : (القاهرة ١٣٥٢)
- ديوان معن بن أوس المزني : (مطبعة النهضة ١٩٢٧ م)
- ديوان النابغة الذبياني - ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهبية ١٢٩٣)
- ديوان أبي نواس : (العمومية ١٨٩٨ م)
- ديوان مهيार الديلمي : (طبع دار الكتب المصرية)
- ديوان ابن هاني الأندلسي : (دار المعارف ١٣٥٢ ، المطبعة الأميرية ١٢٧٤ هـ)
- ديوان الهذليين : (طبع دار الكتب المصرية)
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة لمحمد محسن : (مطبعة النجف ١٩٣٦ م)
- الرجال للتجاشي : (طبع العجم ١٣١٧)
- رسائل أبي حيان التوحيدى : (دمشق ١٩٥١)
- الرسالة القشيرية : (الميمنية ١٣٣٠)
- رغبة الآمل من كتاب الكامل للمرصفي : (مطبعة النهضة ١٣٤٦)
- الروض الأنف للسهيلى : (الجمالية ١٣٣٢)
- روضات الجنات لمحمد باقر الخوانسارى : (طبع العجم سنة ١٣٠٤)
- الرياض النضرة للمحب الطبرى : (المطبعة الحسينية ١٣٢٧)
- زهر الآداب للحصرى : (عيسى الحلبي سنة ١٩٥٣ م)
- سر القصاحة للخفاجي : (الرحمانية ١٩٣٢ م)

شرح الميرون في شرح قصيدة ابن زيدون لابن نباتة : (مطبعة الموسوعات ١٣٢١

مئذنى ١٩٦٣ م)

سقط الزند : (مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥ م)

سلوان المطاع في عدوان الأتباع : (تونس ١٢٧٩)

سنن أبي داود : (مطبعة السعادة ١٩٥٠ م)

السبيل = الروض الأنف

سير أعلام النبلاء للذهبي : (مصورة دار الكتب رقم ١٢١٩٥ ح) .

سيرة ابن هشام : (مطبعة حجازى بالقاهرة ١٣٥٦ هـ)

الشافى فى الإمامة للشريف المرتضى : (طبع العجم ١٣٠١)

الشاهنامة للفردوسى : (مطبعة دار الكتب المصرية)

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى : (مكتبة القدس سنة ١٣٥٠)

شرح شواهد العيني - على هامش خزانة الأدب : (بولاق ١٢٩٩)

شرح شواهد المعنى للسيوطى : (المطبعة البهية ١٣٢٢)

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : (مطبعة السعادة ١٩٤٧ م)

شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانى : (طبع العجم ١٢٧٦)

شروح سقط الزند للتبريزى والبطاوىسى والخوارزمى : (مطبعة دار الكتب ١٩٤٥ م)

الشعر والشعراء لابن قتيبة : (عيسى الحلبي ١٣٦٤)

شعراء النصرانية : (بيروت ١٩٢٦ م)

شفاء الغليل للشهاب الخفاجى : (المطبعة المنيرية ١٩٥٢ م)

صبح الأعشى للقلقشندي : (طبع دار الكتب)

صحاح الجوهري : (دار الكتاب العربى سنة ١٩٥٦ م)

- صحيح مسلم : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٥ م)
صفة الصفوة لابن الجوزي : (حيدر آباد ١٣٥٦)
صفي بن نصر بن مزاحم : (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٥)
طبقات الشافعية للسبكي : (الطبعة الحسينية ١٣٢٤ هـ)
طبقات الشعراء لابن سلام : (دار المعارف ١٩٥٢ م)
طبقات الشعراء لابن المعتز : (دار المعارف ١٩٥٦)
طبقات الصوفية للسلمي : (دار الكتاب العربي ١٩٥٣ م)
طبقات فقهاء اليمن المحدثين : (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٧ م)
طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : (مطبعة السعادة ١٩٥٤ م)
الطرائف الأدبية لعبد العزيز العتيبي : (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
سنة ١٩٣٧ م)
العمانية للجاحظ : (دار الكتاب العربي ١٩٥٥ م)
العقد لابن عبد ربه : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٠ هـ)
العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين : (ليدن ١٨٧٠ م)
عقد الجمان للعتيبي : (مخطوطة دار الكتب ١٥٨٤ تاريخ)
العلويات السبع لابن أبي الحديد : (العجم ١٣١٧)
العمدة لابن رشيق : (مطبعة السعادة ١٩٥٥ م)
عوارف المعارف للسهروردي - علي هامش الإحياء : (نشرة المكتبة التجارية)
عيون الأخبار لابن قتيبة : (مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣)
عيون التواريخ لابن شاذان : (مخطوطة دار الكتب ١٤٩٧ تاريخ)
غاية المطالب من ديوان أبي طالب : (طنطا ١٩٥١ م)

- غور الخصائص الواضحة للوطواط : (بولاق ١٢٨٤ هـ)
الفاخر للفضل بن سلامة : (عيسى الحلبي ١٩٦٠ م)
الفاضل للمبرد : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٦)
الفائق في غريب الحديث والأثر : (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٤ هـ)
الفخرى في الآداب السلطانية لابن طباطبا : (مطبعة الموسوعات ١٣٤٧)
الفرق بين الفرق للبغدادى : (المعارف ١٣٢٨)
الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الخديد : (طبع الهند سنة ١٣٠٩) .
فهرست ابن النديم : (ليسك ١٨٧١ م)
قوات الوفيات لابن شاكر : (مطبعة السعادة ١٩٥١ م)
القاموس المحيط للفيروز آبادى : (المطبعة الحسينية ١٣٣٠ هـ)
اللاالى لأبي عبيد البكرى : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ)
لزوم مالا يلزم : (مطبعة الجمالية ١٩١٥ م)
لسان العرب لابن منظور : (المطبعة الأميرية ١٣٠٠ هـ)
لسان اليزان لابن حجر : (طبع الهند ١٣٢٩ هـ)
الكامل لابن الأثير - في التاريخ : (إدارة الطباعة النيرية ١٣٤٨ هـ)
الكامل للمبرد : (ليسك ١٨٦٤ م ، نهضة مصر ١٩٥٦ م)
الكتاب لسيبويه : (بولاق ١٣١٦ هـ)
الكشاف للزمخشري : (مطبعة الاستقامة ١٩٥٣ م)
كشف الظنون لحاجي خليفة : (طبع إستانبول سنة ١٩٤٣ م)
الكناية والتعريض للشعالبي : (مطبعة السعادة ١٩٠٨ م)
ما هو نهج البلاغة ، للسيد هبة الله الشهرستاني : (مطبعة العرفان بصيدا)

- مجمع الآداب لابن الفوطى : (ترجمة ابن أبى الحديد فى ذيل الجزء الرابع من شرح نهج البلاغة طبعة الحلبي سنة ١٣٢٩ هـ)
- المثل السائر لابن الأثير : (مصطفى الحلبي ١٣٥٨ هـ)
- مجمع الأمثال للميداني : (مطبعة السنة الحمديّة ١٩٥٥ م)
- مجموعة خمسة داوودين : (للطبعة الوهبيّة ١٢٩٣)
- مجموعة المعاني : (الجوائب ١٣٠١)
- الحاسن والمساوى للبيهقي : (نهضة مصر ١٩٦١ م)
- محاضرة الأبرار لابن عربي : (مطبعة السعادة ١٩٠٦ م)
- محاضرات الأدباء للأراغب الأصفهاني : (الشرقية ١٣٢٦ هـ)
- المختار من شعر بشار للخالدين : (الاعتماد ١٣٥٣ هـ)
- مختارات ابن الشجري : (الاعتماد ١٩٢٥ م)
- مرآة الجنان لليافعي : (طبع الهند ١٣٣٤ هـ)
- مرصد الاطلاع لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٤ م)
- مروج الذهب للمسعودي : (مطبعة السعادة ١٩٤٨ م)
- المشتبه في أسماء الرجال للذهبي : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٢ م)
- المعارف لابن قتيبة : (المطبعة الإسلامية ١٣٥٣ هـ ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٠ م)
- معاني الشعر لابن قتيبة : (طبع الهند سنة ١٩٤٩ م)
- معاهد التنصيص للعباسي : (مطبعة السعادة ١٩٤٧ م)
- المعتمد لابن رسول الله الفسائي : (المطبعة الميمنية ١٣٢٧ هـ)
- معجم الأدباء لياقوت : (نشرة دار المأمون ١٩٣٦ م)
- معجم البلدان لياقوت : (مطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ)

- معجم الشعراء للفرزباني : (عيسى الحلبي ١٩٦٠ م)
معجم ما استعجم للبكري : (لجنة التأليف ١٣٦٤ هـ)
المعلقات - بشرح التبريزي : (مطبعة مدني ١٩٦٢ م)
مغازي الواقدي : (برلين ١٨٨٢ م)
مغني اللبيب لابن هشام : (نشرة المكتبة التجارية)
المفردات لابن البيطار : (طبع بولاق)
المفضليات : (دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م)
مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني : (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٨ هـ)
مقاييس اللغة لابن فارس : (عيسى الحلبي ١٣٦٨ هـ)
مقصودة ابن ديد : (مصر ١٣١٩ هـ)
الملل والنحل للشهرستاني : (مطبعة مخيمير ١٩٥٦ م)
المنتخب من كنايات الأدباء للجرجاني : (مطبعة السعادة ١٩٠٨ م)
المنتظم لابن الجوزي : (طبع الهند ١٣٥٧ هـ)
المهاج لابن جزلة الطيب : (مخطوطة دار الكتب برقم ١٠٧ - طب)
المؤتلف والمختلف (آمدى) : (عيسى الحلبي ١٩٦١ م)
الموشح للفرزباني : (الساقية ١٣٤٣)
النجوم الزاهرة لابن تغري بردي : (مطبعة دار الكتب ١٣٤٨)
نسب قریش المصعب بن عبد الله الزبيري : (دار المعارف ١٩٥٣ م)
نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ، ليوسف بن يحيى الصنعاني : (مصورة دار
الكتب رقم ١٣٨٤٩ ح)
نقائض جرير والفرزدق : (ايدن ١٩٠٥ م)

النسكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية لعمارة النينى : (باريس ١٨٩٧ م)

نهاية الأرب للنويرى : (طبع دار الكتب)

النهاية في غريب الحديث والأثر لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير

(المطبعة العثمانية ١٣١١)

نوادر أبى زيد : (بيروت ١٣٤٤)

الهاشميات للكفيت : (شركة التمدن ١٣٣٠)

وفيات الأعيان لابن خلكان : (المطبعة الميمنية ١٣١٠)



مركز تحقیقات کتابخانه و اسنادی